ريتشارد ريد

لو كان بإمكاني إخبارك شيئًا واحدًا فقط...

"إذا كنت تبحث عن الإلهام، أو عن دروس مفيدة للحياة، أنصحك بنسخة من هذا الكتاب"
السير ريتشارد برنسون

لقاءات مع أشخاص بارزين ونصائحهم الأثمن

بيل كلينتون، السيدة جودي دانش، أندي موراي، السير ريتشارد برانسون، مارينا أبراموفيتش، السير ديفيد آتينبارا، جوني إيف، آني لينوكس، مارك بلومبرغ، مارغريت أتوود، سيمون كويل، جوانا لوملي، توني بلير، ستيفن فراي، نيكولا ستارجن، جيمس كوردن، هيستون بلومنثال، جو مالون، ريتشارد كورتيس، هاري بيلافونت، مارثا لاين فوكس، بير غريلز، ألان دو بوتون، نيتين سوهني، إستر بيريل، مايكل ماكنتاير، أنطوني بوردين.

الطبعة الأولى

KALEMAT

لو كان بإمكاني إخبارك شيئاً واحداً فقط

• لو كان بإمكاني إخبارك شيئاً واحدًا فقط
• ريتشارد ريد
• دار كلمات للنشر والتوزيع
• الطبعة الأولى ٢٠١٨
دولة الكويت / محافظة العاصمة
تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤
تويتر : @Dar_kalemat
إنستجرام : Dar_kalemat
بريد إلكتروني :
Dar_Kalemat@hotmail.com
info@darkalemat.com
الموقع الإلكتروني :
http://www.darkalemat.com

رقم الإيداع / 2018-1245
ISBN:978-99966-95-60-5

لو كان بإمكاني إخبارك شيئاً واحداً فقط

لقاءات مع أشخاص بارزين ونصائحهم الأثمن

If I Could Tell You Just One Thing

Encounters with Remarkable People and Their Most Valuable Advice

ريتشارد ريد

RICHARD REED

مع بورتريهات لصامويل كِر

ترجمة

إكرام صغيري

٢٠١٨

KALEMAT

إلى الدجاج والسجق

المقدمة

يمكن لنصيحة واحدة أن تغير حياةً ، وقد غيرت حياتي في عدة مناسبات . وعلى مدى سنوات اكتسبت تقديراً عميقاً للتعلم من الناس الأكثر حكمة وخبرة مني ؛ لذا قبل عشر سنوات ، قطعت وعداً بسيطاً على نفسي : كلّما قابلت شخصاً بارزاً ، سأطلب منه تقديم أفضل نصيحة لديه . ويبدو الأمر دائماً أجدر بالاهتمام من طلب سيلفي .

إذا كان بإمكاني إخبارك بشيء واحد فقط . . . يمر عبر كامل أطياف التجارب والعواطف الإنسانية ، من تجربة سايمون كاول على أحد الطرفين ، إلى تجربة ليلي إبرت ، إحدى الناجين من معسكر أوشفيتز ، على الطرف الآخر . وبينهما ، ستجد الحكمة الثمينة من الرؤساء والنجوم ، ورجال الأعمال والفنانين والمشاهير والناجين . من الأشخاص الذين نجحوا في حياتهم والأشخاص الذين عانوا من مصاعب لا تصدق ، ومن أولئك الذين ارتقوا إلى أعلى مستوى ممكن في الحياة ، ومن الأشخاص الذين شهدوا أسوأ ما يمكن للبشر فعله ببعضهم البعض .

إن النصيحة الجيدة أشبه بحساء غني بالمغذيات ، صُنع من غلي عظام الحياة . ولأنني طعمت من هذا الحساء المستمد من هؤلاء الأشخاص البارزين الكثير ، فقد أثرى هذا حياتي وفهمي لرفاقي من البشر بما لا يقاس . وإذا تم اختيارها بشكل جيد ،

فيمكن لبضع كلمات أن تختصر الرؤى الأساسية المكتسبة على مدى سنوات الخبرة الطويلة لشخص ما وتنشرها ، مما يسمح لنا جميعاً بالاستفادة منها . هذا بالتأكيد هو الهدف من كل اللقاءات في هذا الكتاب .

كل شخص ورد في الكتاب هو شخص التقيت به ، إما من خلال إدارة أعمالي الخاص ، أو من خلال مسيرتي المهنية المتنوعة في العمل لدى الحكومة والجمعيات الخيرية والفنون ووسائط الإعلام . وبعض من هؤلاء الأشخاص البارزين هم أصدقاء ، وبعضهم أناس وافقوا بسخاء على أن أجري معهم مقابلات ، وقلة هم أشخاص غير مرتابين تربصت بهم عندما وضعنا القدر في نفس الحجرة في حفلة أو مؤتمر أو في حالة واحدة فقط ، في مبولة .

عندما أسأل الناس عن أفضل نصيحة لديهم ؛ أحثهم على التفكير فيما يعتبرونه أكثر أهمية . أطرح السؤال نفسه على الجميع : بالنظر إلى كل ما لديك من خبرة ، وفي ضوء كل ما تعرفه الآن وكل ما تعلمته ، إذا كان بإمكانك تقديم نصيحة واحدة فقط ، فماذا ستكون؟ هناك شيء ما حول مطالبة الناس بالوقوف وراء فص واحد فقط من فصوص الحكمة يجعلهم يفكرون بشكل أكثر جدية ، ويحفرون أكثر عمقاً ويكونون أكثر صراحة في إجابتهم ، وقد أدى ذلك إلى بعض الإجابات غير العادية . إن المادة متنوعة وواسعة النطاق ، وتشمل كل شيء ، من تحقيق النجاح إلى التعامل مع الفشل ، ومن العثور على الحب إلى امتلاك حياة جنسية أفضل ، ومن الحصول على أفضل النتائج من الناس إلى سوء المعاملة . لابد أن يكون هناك في هذه المجموعة شيء يخاطب الجميع .

معظم الناس حين تطلب منهم النصيحة يكونون سعداء لتقديمها . هذه الرغبة في المساعدة هي تجلٍّ لأفضل جزء في الطبيعة البشرية . إنها لا تكلف شيئاً ، ويمكن تقاسمها بشكل لا نهائي وسوف تستمر إلى أجل غير محدد . وأمل أن يكون هذا الكتاب الأول من بين عدة كتب . ذلك أن هناك عدداً لا يحصى من الأشخاص الرائعين على هذا الكوكب ، وهذه المجموعة الأولى تلتقط فقط رؤى جزء منهم . هناك عدد لا نهائي من القصص لتُروى والحكم لتُكتسب .

مع مرور الوقت ، آمل أن يساعد هذا في خلق مشاع عالمي للنصيحة ، تجمّع مشترك من الحكمة يمكن للجميع المساهمة فيه والاستفادة منه عَلى حد سواء . فبعد كل شيء ، نحن ، كبشر ، متشابهون أكثر مما نحن مختلفون . وعلى الرغم من أن مسار كل فرد في الحياة فريد من نوعه ، إلاّ أنّه يمكننا جميعاً الاستفادة من معرفة ذوي الخبرة ، والذين يمكنهم إخبارنا بأجمل الأشياء التي يمكن أن نراها ، ويرشدوننا إلى الأماكن الأكثر أماناً لعبور النهر .

ريتشارد ريد



داخل فقاعة مع الرئيس كلينتون

يصف موظفو مكتب الرئيس بيل كلينتون تجربة السفر مع حاشية الرئيس بـ «الفقاعة». حيث تستقل طائرةَ الرئيس، وتتجول في موكبه المسلّح، وتجلس على طاولته. إنك لا تتحرك بقدر ما تنسّل، ولن تضطر للوقوف في طابور مراقبة الجوازات، ولا تسجيل الوصول، ولا التحقق من المغادرة - إذ يحدث كل ذلك خلف الكواليس- بل تذهب إلى أينما وحيثما يذهب السيد الرئيس.

كان عليّ السفر في «الفقاعة» معِ مؤسسة كلينتون في رحلة حول أفريقيا. وكان جدولاً مرهقاً جدّاً: زيارة ثمانية بلدان أفريقية خلال ثمانية أيام. كنا نقوم بالشيء نفسه كل يوم: الاستيقاظ في بلد جديد، والالتحاق بالموكب، مع ساعات من القيادة عبر المسارات المغبرة والطرق المليئة بالحفر وسط العراء، لزيارة مشروع ما- عيادة اختبار الإيدز، ومنشأة لعلاج الملاريا، وجماعة نسائية ما- ثم العودة في سيارات الجيب والتوجه إلى المشروع التالي، لأربع مرات على الأقل في اليوم.

في كل زيارة، كان الرئيس بمثابة قوة لا يمكن ردعها، حيث ينزل مباشرة من سيارات الدفع الرباعي، يسلم على ممرضات المجتمع المحلي، يتحدث مع كبار الشخصيات، يرقص مع فناني القبائل المحلية، ويلتقط الصور، ويلقي الخطابات، ويدق النواقيس، ويتوقف للدردشة مع السكان المحليين، واللعب مع الأطفال،

ويلاحظ أولئك الهادئين في الخلف ، فيخلق فرصة للتحدث معهم ، ومعانقتهم ، وافتكاك ابتسامة منهم . في كل مناسبة ، في الحرارة الشديدة والغبار ، طوال اليوم ، لمدة ثمانية أيام على التوالي . لم أر شيئاً مثل ذلك على الإطلاق . ولا أعتقد أن هناك من يمتلك مثل هذه القدرة .

ظل يفكر لبرهة حين طرحت عليه سؤالي حول نصيحته في الحياة ، في لحظة نادرة بين الاستراحات . وجاءت إجابة الرئيس منطقية بالنسبة لما كنا نراه :

«لقد توصلت إلى قناعة أن أحد أهم الأشياء هو رؤية الناس . رؤية الشخص الذي يفتح لك الباب ، والشخص الذي يصب لك قهوة . كن ممتناً لهم ، وأظهر لهم الاحترام . إنّ التحية التقليديّة لشعب الزولو في جنوب أفريقيا هي «ساوبونا» ، وتعني «أنا أراك» ، وهذا ما أحاول القيام به» .

لم يسبق لأي شخص أن مارس أكثر مما يبشر به .

أما الجزء الأكثر جنوناً ، فهو عند عودتنا إلى الفندق ، بعد جولة تدوم اثنتي عشرة ساعة ، متعبين ، غُبرًا ، منهكين ، وفي الوقت الذي نكون فيه ، نحن البشر الهالكون ، في غرفنا نطلب خدمة الغرف ونتوارى عن الأنظار ، يكون الرئيس كلينتون في غرفة الطعام يتحدث إلى النُدُل ، ويمزح مع الضيوف الآخرين ، ويجعل من شهر عسل زوجين أمريكيين مميزاً ، ويقبل دعوة إحدى العائلات بالانضمام إلى طاولتهم ، حيث يجلس مع الأم والأب والطفلين ذوي العيون الواسعة . إنّه لا يتوقف . فهو يعرف ما الذي يعنيه أن يلتقي الناس برئيس ، أو بشكل أكثر تحديداً ، أن يلتقوا به هو ، فيرحب بالجميع ، ويشعر الجميع أنهم مهمون ، وينظر إلى الجميع .

«إن أحد أهم الأشياء
هو رؤية الناس .
رؤية الشخص الذي يفتح لك الباب ،
والشخص الذي يصب لك قهوة . كن ممتناً لهم .
وأظهر لهم الاحترام» .

بيل كلينتون



مارينا أبراموفيتش حاضرة بالكامل

أنا في وسط مدينة نيويورك أبحث عن الحساء. وتحديداً حساء المعكرونة بالدجاج مع الجمبري، أو أتساءل الآن: هل قالت دون جمبري؟ كنت قد رتبت هذا اللقاء مع مارينا أبراموفيتش، فنانة الأداء الصربية المعروفة على الصعيد الدولي، وكنا قد اتفقنا قبل شهر على أن أحضِر لها حساءها المفضل. لكنني لا أستطيع تذكر ما كان.

ولتجنب خطأ محتمل، طلبتهما معاً. وعليه، حين أصل إلى أستوديو غرينتش، أين تعمل مارينا، فإن أول عمل أقوم به هو تحديد أي نوع من الحساء سيحصل عليه كل واحد منا. يجب التخلص من الميولات الشخصية، ولذلك أصرت على رمي قطعة نقدية. على القدر أن يقرر.

وقد أظهرت حقيقةُ أنني كنت قلقاً من أنها قد تكون منزعجةً بسبب الحساء الذي أحضرته، بريطانيتي الميؤوس منها، وتجاهلي لحقيقة أن هذه الفنانة قد قامت بجلد جسدها العاري، وقطعه، وحرقه علناً في مناسبات عديدة لأجل فنّها. لذا، فعلى الأرجح أنها ليست من النوع الذي قد يشعر بالقلق حيال حساء.

في الواقع، هي امرأة لا تنتمي إلى أي نوع على الإطلاق. إنها فريدة من نوعها على نحو مجيد ورائع. وبإمكانها أن تكون صريحة، وبذيئة (إذ تحب إلقاء النكات الصربية القذرة)، ومتحررة، ومنضبطة، ومتهورة ومحبة في الوقت ذاته. إنها تقريباً أكثر شخص مثير للاهتمام ونابض بالحياة قابلته على الإطلاق.

في عروض أدائها الفني على مدار سنوات، دفعت بنفسها إلى حد فقدان الوعي، واكتساب الندوب، وإراقة دمها والمخاطرة بحياتها. وكان أحد أعمالها السابقة، *إيقاع*، يقوم على فكرة أن تتمدد فوق طاولة، بينما يُوضع أمام الناس اثنان وسبعون غرضاً مختلفاً - مقص، ريشة، مشرط، عسل، سوط، وما إلى ذلك- ويُطلب منهم استخدامها عليها على النحو الذي يرونه مناسباً. وبحلول النهاية، كانت قد جُردت من ثيابها، وجرحت رقبتها، ووُخزت بالأشواك على بطنها، ووضع مسدس على رأسها.

لقد بلغت مؤخراً سبعين سنة من العمر ولا تزال محل طلب أكثر من ذي قبل. وفي عام ٢٠١٠، قام «متحف الفن الحديث» باستعادة عملها، «الفنانة حاضرة بالكامل»، مما عزز مكانتها الدولية. وكجزء من هذا العرض، جلست مارينا على كرسي دون حراك، صامتة، لأكثر من سبعمائة ساعة بينما كان الآلاف من الزوار يصطفون، بعض منهم خلال الليل، للجلوس أمامها. فكانت تجري تواصلاً بالعينين مع كل شخص، مع حضور كامل في اللحظة الراهنة، دون أن تتفاعل معهم إلاّ إذا بكوا، حينها تبكي هي أيضاً.

ووضحت أن الحضور وكسب الوعي هو موضوع كبير في عملها. حيث ترى أن تنمية الوعي الداخلي هي أفضل طريقة لفصل أنفسنا عن الهياكل الصناعية للمجتمع، حتى لا نشعر بالضعف أو العجز. «*مع وجود العديد من الناس، هناك شعور بأن العالم يتداعى ويخلق هذا شعوراً بالاستسلام. والجمود هو الخطر الحقيقي على المجتمع. ينبغي أن يدرك الناس أنه بإمكاننا تحقيق التغيير من خلال تغيير أنفسنا*».

يمكن لهذا الوعي المتزايد أن يأتي فقط إذا توقفنا عن التفكير،

وحققنا حالة من الفراغ العقلي . عندئذ فقط يمكننا أن نتلقى ما تطلق عليه مارينا «*المعرفة السائلة - المعرفة العالمية التي ينتمي إليها الجميع*» . وتشرح مهمةُ مساعدة الناس لبلوغ ذلك عملَها الأخيرَ، *الذي تدعو من خلاله جمهورها إلى احتساب حبات الأرز أو قطرات الماء ، لتفتح الباب نفسه مرة تلو الأخرى* ، لأجل «*خلق التشتيت لوقف الإلهاء ، وإعادة اكتشاف الحاضر حتى يتمكنوا من إعادة اكتشاف أنفسهم*» .

ونظراً لأصالة عملها وطبيعته المتصلبة ، والمخاطر التي تحملتها والتضحيات التي قدمتها ، فإنه من غير المستغرب أن تكون نصيحتها الأساسية هي صيحة استنفار للالتزام بشدة بأيٍ كان ما تشعر أن عليك فعله .

«*لم تعد نسبة المائة بالمائة كافية اليوم . امنح المائة بالمائة ، ثم انتقل عبر هذه الحدود إلى ما هو أكثر مما يمكنك القيام به . عليك أن تخوض طريقاً غير معروفة إلى حيث لم يذهب أحد من قبل ، لأن هذه هي الطريقة التي تتحرك بها الحضارة إلى الأمام . المائة بالمائة غير كافية . نسبة المائة والخمسين بالمائة جيدة بما فيه الكفاية*» .

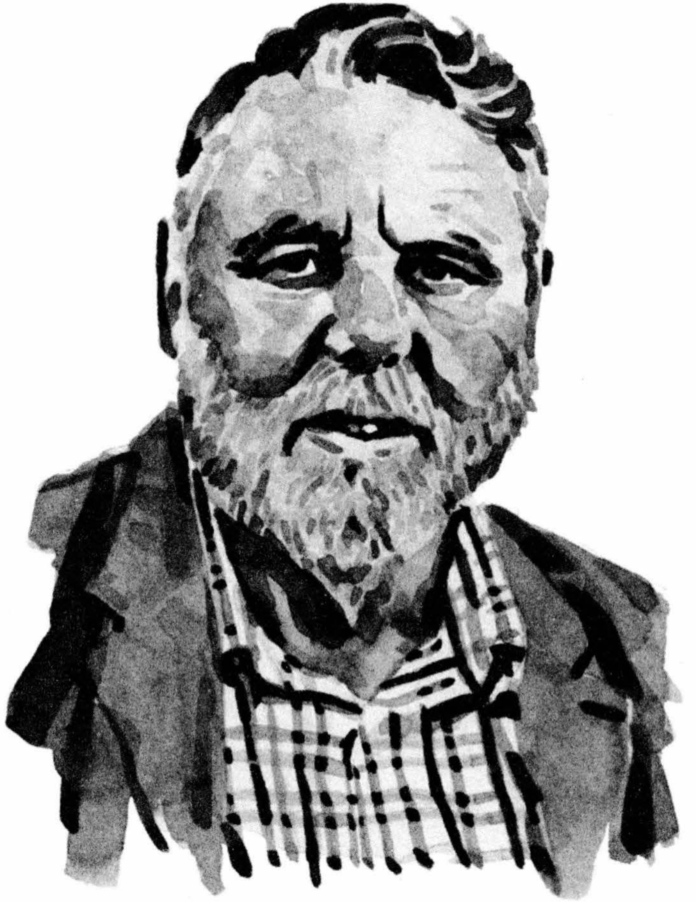
أقدر بشدة هذه النصيحة ، لكنني أجيب بأن معظم الناس قد لا يكونون مستعدين لأن يضعوا أنفسهم في طريق الأذى والألم الحقيقي لأجل أهوائهم كما فعلت هي . ولكن لهذا أيضا لديها نصيحة أخرى : «نعم ، *يمكن أن يكون الألم فظيعاً*» ، أجابت ، «*لكن إذا قلت لنفسك : «ماذا في ذلك؟ ماذا في الألم ، ما الذي يمكنك فعله»؟ وإذا قبلت الألم ولم تعد تخاف منه ، فسوف تعبر البوابة إلى حالة انعدام الألم*» .

نصيحة اخترت قبولها بدلاً من إخضاعها للتجربة .

«لم تعد نسبة المائة بالمائة
كافية اليوم . امنح المائة بالمائة ،
ثم انتقل عبر هذه الحدود
إلى ما هو أكثر
مما يمكنك القيام به . عليك أن تخوض طريقاً غير معروفة

إلى حيث لم يذهب أحد
من قبل ، لأن هذه هي الطريقة التي تتحرك بها الحضارة
إلى الأمام . المائة بالمائة
غير كافية . نسبة المائة والخمسين بالمائة
جيدة بما فيه الكفاية" .

مارينا أبراموفيتش



تيري وَيت، رجل صبور

لقد سمعت للتو ما لا بد وأن يكون أحد أكثر العبارات تهويناً التي يمكن للمرء أن يتلفظ بها . كنت أتناول الغداء مع تيري وَيت في كاتدرائية بلدته المحلية باري سانت إدموندس . وكان يخبرني عن تجربة احتجازه كرهينة لمدة خمس سنوات في لبنان أواخر الثمانينات ، حين ذهب إلى هناك كمبعوث لكنيسة إنجلترا للتفاوض حول الإفراج عن السجناء الموجودين هناك . وراح يصف سنواته الأربع من الحبس الانفرادي في زنزانة صغيرة بلا نوافذ ، مقيداً إلى جدار . وروى تعرضه للضرب ولعمليات إعدام وهمية . وشرح كيف كان عليه وضع عصابة على عينيه إذا دخل أحد الحراس إلى الزنزانة . وبالتالي ، لم يرَ أي وجه بشري على مدى أربع سنوات . وكيف أنّهم رفضوا منحه قلماً وورقة وكتباً ، ومنعوا عنه أي تواصل مع العالم الخارجي ، بما في ذلك عائلته . كان يستعيد على كل ذلك ويقول : «نعم ، *لقد كانت عزلة نوعاً ما*» .

تيري وَيت هو التجلي البشري لما يعنيه أن نكون متواضعين ، وأن نخدم ونضحي . لقد وضع نفسه في طريق الخطر على أمل أن يتمكن من مساعدة الآخرين . وبعد خمس وعشرين سنة ، ما زال يعمل بلا كلل لمساعدة الأشخاص الذين تعرض أحد أفراد عائلتهم للأسر ، ما يلخص كل شيء .

أما الشيء الأكثر جنوناً فهو ادعاؤه بأنه كان يفعل ذلك بشكل رئيسي لأجل نفسه . قلت له أنني على علم بالمفهوم القائل أنّه لا يوجد فعل خير خالٍ من أنانية ، لكن في هذا مبالغة . وأصرّ ، قائلاً

أنّ مسيرته المهنية كانت تتعلق بتحقيق التسويات، وأن اتباع هذا المسار ساعده في التوفيق بين الجوانب المختلفة من ذاته.

وسارع إلى الإشارة إلى أن العديد من الناس مضطرون لأن يتحملوا أكثر مما تحمّله هو بكثير. وتحدث عن الأشخاص المحتجزين داخل أجسادهم، الذين سلب مرض ما أو حادث قدرتهم على الحركة. ويعرف حق المعرفة الكثير من الرهائن الذين لم يعودوا إلى منازلهم على الإطلاق.

تدافع كل من كلمات تيري وأفعاله عن الأهمية العميقة لامتلاك التعاطف: إنّه مبدأ أساسي في منهجه في الحياة. وروى لي حين التقى بأمٍّ بريطانية لرجل قطع الإرهابيون في العراق رأسه، والتي، حتى في حزنها الرهيب، قالت إنّها تدرك أنّ معاناتها لا تختلف عن معاناة الأم في العراق، التي فقدت ابنها في الحرب أو التمرد. «*في هذا التصريح البسيط، لخصت بشجاعة هائلة لا يجب أن ننساها أبداً: نحن جميعاً أعضاء في نفس العائلة البشرية. لدينا جميعاً مخاوف وآمال وطموحات. لدينا جميعاً نقاط ضعف، لذلك يجب أن نكون حذرين للغاية قبل أن نلصق الصور النمطية السلبية بأشخاص آخرين*».

لقد ساعد التعاطف تيري على التمسك بالقواعد الثلاثة التي وضعها بنفسه عندما أدرك أنّه قد تم احتجازه كرهينة: لا ندم ولا شفقة على الذات ولا عاطفة. كما أنّه تمسك بمبدأ اللاعنف، وهي فلسفة خضعت لاختبار بلغ أقصى مداه حين عثر في يوم من الأيام على مسدس في دورة المياه كان أحد الحراس قد نسيه. (قال تيري: «*أعتقد أنك قد نسيت شيئاً*» *وأعاده إليه*).

إذاً، كيف يتعامل المرء مع أربع سنوات من الحبس الانفرادي الكامل والظالم؟

«لقد بذلت قصارى جهدي لأ نظم كل يوم . كان عليّ أن أخصّص فترة من الوقت لأقوم بتماريني ، ثم أكتب لمدة ساعة أو ساعتين في رأسي ، ثم أقوم بالحساب الذهني . لقد قضيت الكثير من الوقت أختلق الشّعر أيضا . بعد ذلك قد يكون هناك وقت لمزيد من التمارين ، وهلمّ جرّا» .

قلت له : يبدو أنّه كان صعباً بشكل مستحيل ملء كل تلك الساعات من الوحدة ، فأومأ تيري ، ضارباً بذلك مثالاً آخر رفيعاً على عدم المبالغة ، وأجاب قائلا : *«كما تعلم ، لم تكن التجربة بأكملها لتكون بذلك السوء لو أنّهم سمحوا لي بالحصول على بعض الكتب»* .

ويدّعي أنّه كانت هناك فوائد غير مقصودة لهذه المحنة ، فقد أعطته الثقة ليترك وظيفته ويعيش حياة أكثر حرية . لذا فإنّ إحدى الحكم ذات الصلة التي يحرص على تقديمها هي أن كل كارثة ، أو كارثة ظاهرية ، في الحياة يمكن أن تتحول في الغالب ويمكن أن ينبثق عنها شيء خلّاق . *«لا أقصد بهذا أن مثل هذه المعاناة ليست صعبة وقاسية جدّاً ، لكن لا حاجة إلى أن تكون مدمرة تماماً . كل ذلك يتوقف على الطريقة التي تنتهجها تجاهها ، والطريقة التي تنتهجها في الحياة بعد ذلك»* .

لذلك ، وفي ضوء هذا ، ما هي أفضل نصيحة تقدّمها حول كيفية التعامل مع الحياة؟

«إنّه نفس الدرس الذي تعلمته في تلك الزنزانة . ما عليك القيام به هو العيش ليومك ، عليك أن تقول : الحياة هي الآن ، في هذه اللحظة بالذات . الأمر ليس غداً ، ولا بالأمس ، إنه الآن ، لذا عليك أن تعيش بشكل كامل قدر الإمكان . استثمر في كل يوم» .

بعد التحدث مع تيري ، سأفعل .



طبعاً لوملي

كنت في حفل جوائز وقد ابتسم لي الحظ طوعاً ، إذ وضعني مخطط الجلوس بجوار جوانا لوملي ، واحدة من أكثر الممثلات شعبية في المملكة المتحدة ، وأيضا واحدة من أكثر الناشطين في البلاد وأكثرهم عطاء وفعالية . وحين تحدثت معها ، كانت كما يتوقع المرء : دافئة ، شاملة ، ومغرية . ولكن مع كل هذه المفاتن الناعمة هناك مبادئ حادة وملهمة ، الحس بالواجب المدني ، بالعدالة ، وبالقيام بالصواب . إنها مزيج مندفع من القلب الدافئ والإرادة الحديدية . وهو ما يفسر أنّه وعلى الرغم من أنّ عملها التلفزيوني والسينمائي يشكلان مسيرة تستحق أن تفخر بها في حد ذاتها ، إلاّ أنّ التزاماتها ومساهماتها خارج الشاشة هي الأبرز .

خذ على سبيل المثال جسر الغاردن الجديد الذي يعبر نهر التايمز في لندن . كانت مجرد فكرة سرعان ما تحولت إلى حقيقة ، ومنحت أجمل إضافة للمدينة هذا القرن . والجميع في لندن يعرفون عنه ذلك ويحبونه تماماً كما يحبون جوانا لوملي . لكن ما لا يعرفونه هو أنها كانت فكرتها بالكامل ، والتصور الذي حلمت به ، ثم سعت لتحقيقه ، لتخضع إرادة أولئك الذين أخبروها بسذاجةٍ في البدء أنّه لا يمكنها القيام بذلك .

أو انظر إلى قضية قدامى المحاربين النرويجيين في جوركا (الذين خدموا في القوات المسلحة البريطانية قبل عام ١٩٩٧) ،

الذين تم حرمانهم تاريخيا من حقهم في الاستقرار في المملكة المتحدة بعد أن قاتلوا لأجل البلد ، وهو قرار مفلس أخلاقياً ويحتاج إلى الإلغاء . كانت معركة غير مألوفة وغير خيالية ، ولكنها معركة خاضتها جوانا لوملي دون تحفظ ، مستغلة سحرها ومعرفتها وإيمانها وصمودها ، إلى أن تم تحقيق النصر وإقرار هذه الحقوق .

باختصار ، هي ليست امرأة عادية .

وحين ألقيت خطاباً قصيراً في وقت لاحق في حفل الجوائز ، وقلت أنّني كنت جالساً بجوار جوانا لوملي ، بدأ الجمهور بالتصفيق ، كان الجميع في القاعة يحبونها . وهكذا كان هناك تزامن مع النصيحة التي قدمتها لي .

«السر ، يا حبيبي ، هو أن تحب كل من تلتقي بهم ، منذ اللحظة التي تقابلهم فيها . أحسن الظن بالجميع ، وابدأ من منطلق أنهم محبوبون وأنك سوف تحبهم . سيستجيب معظم الناس لذلك ويكونون ودودين ويحبونك ، وستتحقق نبوءتك ، ويمكنك بعد ذلك تحقيق الأشياء الأكثر روعة» .

ثم مالت إلى الأمام وهمست في أذني .

«ولكن تخلص من أي وغد يخذلك» .

كما قلت : قلب دافئ ، وإرادة من حديد .

«السر، يا حبيبي،
هو أن تحب كل من
تلتقي بهم، منذ اللحظة التي تقابلهم فيها.
أحسن الظن
بالجميع».

جوانا لوملي



السيد فراي البليغ

في المرة السابقة التي تحدثت فيها مع ستيفن فراي كان إنساناً آليّاً . كان ذلك في إطار مؤتمر للتكنولوجيا ، وقد حضره عبر جهاز آي باد موصول برجل آلي يسير على عجلات ، يتحكم فيه عن بُعد من خلال عصا تحكم وكاميرا في غرفة نومه . لكن في هذه المرة تحدثنا شخصيّاً أثناء احتساء شاي بعد الظهر ، والذي قدم لنا في فناجين من الخزف الصيني في أحد نوادي لندن الدافئة . وكانت تصرفاته المتباينة تصور جانبين من رجل رائع : فمن ناحية ، يقر بنفسه أنّه مهووس بالتكنولوجيا ومهتم بأحدث الأدوات ، ومن جهة أخرى ، هو رجل بريطاني ظريف يتمتع بحب للتقاليد والثقافة التقليدية .

كما يمكنك أن تتخيل ، فإن الالتقاء بشخصه الحقيقي ، بدلاً من الافتراضي ، كان الأكثر ثراءً بين اللقاءين . فبحضوره تحس بالدفء وعمق التفكير ، مع شعور رائع بالتواطؤ من خلال القصص والاعترافات التي ينسجها في المحادثة . إنّه رجل لطيف لتمضية بعض الوقت معه .

وبتواضع ، أوضح أنّه يتوخى الحذر بشأن تقديم النصائح ، ومع ذلك ، فإن لديه بعض الأفكار التي يسره مشاركتها ، وتوقعت أن يقدم شيئاً أدبياً أو روحياً ، لكن من المدهش أن تكون فكرته الأولى هي التهجم على فكرة التدريب على الحياة . «*نصيحة واحدة أريد أن أقدمها هي تجنب جميع دروس التدريب على الحياة . إنّها مجرد*

شيء مزيّف ، دون استثناء ، وهي عبارة عن فن إبراز ما هو في غاية الوضوح ، ما يجعل أنفك ينزف» .

لابد من قول أنّني لم أكن أتوقع هذا .

وحين سألته عن السبب ، أفاض أكثر . وكان أحد من هذه الأسباب هو «هوَسَهم بوضع الأهداف . لأنّه إذا حققتُ أهدافي ، ماذا بعد ذلك؟ هل هذا كل شيء؟ هل انتهت حياتي؟ لقد حققت هدفي ، فهل أقوم بتعيين آخر؟ ما معنى الهدف الأول إذا كان يجب تحديد هدف ثان؟ أو إذا لم أحققها ، فهل يعني هذا أنني فاشل»؟

وبينما هو يتحدث ، قلبت سرّاً الصفحة في دفتر الملاحظات الذي كنت قد دونت عليه أهدافي لهذا اليوم .

ليس من المستغرب أنّ ستيفن ليس لديه مدرب في الحياة . لكن لديه نويل كوارد ، الذي يضع ستيفن اقتباساً له فوق مكتبه ، يقود منهجه في الحياة : إن العمل أكثر متعةً من المرح .

«إذا استطعت جعل ذلك صحيحاً في عملك ، فستحظى بحياة رائعة . أعلم كم أنا محظوظ لأنني عثرت على هذا ، وكم من الناس لم يحالفهم الحظ ليعثروا عليه . يتحدث الناس عن التوازن بين العمل والحياة . لكن فكرة الموازنة بين واحد مقابل الآخر لا معنى لها . عملي ليس ضد حياتي ، العمل هو حياتي» .

بالطبع ، إن مجرد حب عملك غير كاف . إذا كنت ترغب في الوصول إلى أي مكان ، يجب أن تكون مستعداً للعمل بجهد كبير أيضاً . «كل شخص ناجح أعرفه يعمل ، ويعمل بجد ، بجد كبير . ربما ينبغي أن تكون هذه هي نصيحتي : اعمل بجد» .

لكن أقوى توصية من ستيفن هي تجنب الوقوع في فخ الاعتقاد بأن الأمر أسهل بالنسبة إلى الآخرين .

«ليس من الصواب أبداً النظر إلى شخص ناجح ، والتفكير : «إن هذا الشخص يملك المال ، هذا الشخص يملك الوسامة ، هذا الشخص جيد في لعبة الكريكيت . . . وبالتالي فإن الأمر أسهل بالنسبة له» . تشير الاحتمالات إلى أنك مخطئ في ٩٠٪ من المرات . ولكن حتى لو كان الأمر صحيحاً إلى حد ما ، فإن التفكير في ذلك أمر مدمر جدّاً للذات . إنه يؤدي فقط إلى الاستياء الأكّال ، والذي يأتي على كل شيء عدا نفسه» .

يعتقد ستيفن أنه من الأفضل أن تحاول وضع نفسك مكانهم . وتتخيل ما هي الحياة بالنسبة لهم .

«إنه سر الفن ، وهو سر الحياة : كلّما قضيت مزيداً من الوقت في تخيل كيف يكون الأمر إذا كنت شخصاً آخر ، كلما زاد تعاطفك تجاه الآخرين ، وأصبح من الأسهل أن تعرف نفسك وأن تكون نفسك» .

وهو أفضل شيء بالنسبة لنا جميعاً .

«اعـمـل

بـجـــد»

ستيفن فراي



الذكاء الإيروتيكي لإستر بيريل

ربّما تكون هذه هي العلامة النهائية من علامات عصرنا : أنا في مؤتمر دولي للتكنولوجيا ، يضم فعليّاً الآلاف من مؤسسي شركات الإنترنت المتطورة ، لكن الحديث الذي يود الجميع سماعه هو حديث إستر بيرل ، أشهر معالجي العلاقات في العالم ، ومستشارة رئيسية في معالجة العلاقة الحميمة في العصر الحديث .

إستر مستعدة للتحدث ، لكن المنظمين لن يسمحوا لها بذلك . نحن في القاعة الرئيسية وهناك ٥٠٠ شخص أكثر من عدد المقاعد . جلس المؤسسون على درجات السلم ، وبعضهم وقف في الخلف ، مكتظين عند المداخل . ومع ذلك ، لا تسمح قواعد مكافحة الحريق بمثل هذه الأرقام ، ولذا أُعلن : لا يمكن لإستر أن تبدأ حتى يغادر الخمسمائة شخصٍ الإضافي . لكن لم يكن أحد على استعداد للتفويت ، وحدثت مواجهة ، لم يتم حلها إلا من طرف إستر التي وعدت بإعادة الحديث لاحقاً للأشخاص الذين لا يمكنهم البقاء . في الواقع ، هذا هو المطلب الذي انتهى بتقديمها أربع محاضرات في نهاية الأسبوع . في المقابل ، قدم مؤسس أوبر محاضرة واحدة فقط .

التحقتُ بإستر في وقت لاحق ، في مدينتها الحالية في نيويورك . سألتها لماذا تعتقد أن الكثير من الناس كانوا حريصين على الحصول على مشورتها حول الجنس والعلاقات ، فشرحت قائلة : «*لقد سرنا ، في هذه المرحلة ، باتجاه أسلوب رقمي للحياة .*

هناك جيل يتواصل بالنقر باستمرار، في بيئات محرومة حسيّاً. ويخلق هذا حاجة تقويمية للاتصال البشري، وللعلاقات وجهاً لوجه. ولكن بعد العالم الرقمي يمكننا في كثير من الأحيان أن نعاني مع الطبيعة غير الكاملة لدى الأشخاص الحقيقيين».

وحقيقة أن الناس المنغمرين في عالم الإنترنت قد يحتاجون أحياناً إلى المساعدة في التعامل مع الحياة الحقيقية ليست بالأمر الذي تحكم عليه أو تدينه، ولكنه أمر يثير قلقها في بعض الأحيان.

«يمكن أن يكون هناك شيء جميل فيما يتعلق بالاتصال الفوري الذي أتاحه العالم الرقمي، ولكن من ناحية أخرى فإن تطبيقات المواعدة، أين نتنقل يميناً أو يساراً، يمكنها ترك شعور لدى الأشخاص بالاستهلاك، بل وأنهم سلع حتى، وهذا الاستغلال التجاري مؤذ ومهين».

حظيت إستر لأول مرة بإشادة دولية لرؤاها حول العلاقات عندما نشرت كتابها «*التزاوج في الأَسْر*»، وهو استكشاف «*للذكاء الجنسي*»، وكيفية إبقاء الجنس على قيد الحياة في علاقات طويلة الأمد. واستحضرت إستر التناقضات الأساسية في الاقتران: حقيقة أننا نتوق إلى الحرية وإلى الأمان في آن واحد، ومع ذلك يحتاج الحب المتوقع إلى الرغبة في التجديد التي يتوق إليها. ويعطي الكتاب بعض الحلول الصريحة، ما أدّى إلى إنقاذ عدد لا يحصى من العلاقات منذ ذلك الحين.

عدا المضمون الفعلي لعملها، فإن الشيء الأكثر إثارة هو السبب الذي جعل إستر تتوجه لدراسة الناس والعلاقات في المقام الأول. «*إن اهتمامي بالناس، بالإنسانية، بالطريقة التي يعيش بها*

الناس ، سواء كانوا يصنعون حياة ذات معنى أم لا ، راجع إلى والديّ ، الناجيين من الهولوكوست . لقد أمضى كلاهما أربع سنوات إضافية في معسكرات الاعتقال وخرجا منها بلا شيء . كل ما كان يملكانه هو شعورهما بالاحترام وعلاقاتهما . هذا كل ما صمد ، وكان والدي يقول أن هذا هو كل ما يهم» .

ويتردد صدى حكمة والد إستر في النصيحة التي قدمتها ، وهي من بين النصائح الأفضل والأكثر عمقاً التي سمعتها :

«تعتمد جودة حياتك في النهاية على نوعية علاقاتك . ليس على إنجازاتك ، وليس على مدى ذكائك ، ولا على مدى ثرائك ، لكن على جودة علاقاتك ، والتي هي في الأساس انعكاس لشعورك بالاحترام ، وقدرتك على التفكير في الآخرين ، وكرمك . وفي نهاية حياتك ، إذا كان الناس سيثنون عليك ، فسيقولون كم كان إنساناً رائعاً . وحين يتحدثون عن الكائن البشري الذي كنت عليه ، لن يكون ذلك بسبب حسابك المصرفي الكبير ، لن يكون كذلك حقّاً . سيكون الأمر عن كيفية معاملتك للأشخاص من حولك وكيف كنت تجعلهم يشعرون» .

«تعتمد جودة حياتك
في النهاية على
نوعية علاقاتك . ليس على
إنجازاتك ، وليس
على مدى ذكائك ، ولا
على مدى ثرائك ،

لكن على جودة
علاقاتك ، والتي هي في الأساس انعكاس
لشعورك بالاحترام ،
وقدرتك على التفكير
في الآخرين ، وكرمك» .

إستر بيرل



داخل هيستون بلومنثال

الأمور لا تسير على ما يرام . نتيجة المباراة هي ١٠ مقابل ١ ، لصالح هيستون بلومنثال . الشيف المتحصل على نجمات ميشلان الثلاث وصاحب أفضل مطعم في العالم (بتصويت من قبل أفضل الطهاة في العالم) وقد تبين أنه مدمن أيضاً على تنس الطاولة . وكدفاع عن نفسي ، فقد أغدق عليّ قبل بدء المباراة من كوكتيل غريب اللون ، واعترف لي أنه يتلقى دروساً في تنس الطاولة ثلاث مرات في الأسبوع . على الأقل كان الإذلال سريعاً ، فضربته النهائية ، سارت بالطريقة التي كان كلانا يعرف أنها ستسير بها ، وانسحبت أنا إلى مقاعد البدلاء وعزائي في كأس آخر من الكوكتيل .

إن تجربة الذهاب لرؤية هيستون في منزله هي المعادل البريطاني لدى الطبقة الوسطى لزيارة هانتر ستوكتون ثومبسون : حيث يتم شُرب الخمر ، وتدخين السجائر ، وتبادل الدردشات العميقة . وعلى الرغم من غياب المسدسات ، فإن لديه آلة قذف لكرات التنس . وهي الآلة التي تقذف أكثر من مائة كرة في الدقيقة . شغلنا الآلة فانهال كم هائل من الكتل الصغيرة على كل جدران وأسطح الطابق السفلي من منزله ، المخصص لتنس الطاولة .

أعرف هيستون منذ فترة حتى الآن . إنّ دماغه أشبه بآلة تنس الطاولة ، قادر على إلقاء مائة فكرة في الدقيقة . لديه من الفضول والإبداع والشهية للتعلم أكثر مما لدى أي شخص أعرفه . كانت المرة

الأولى التي التقينا فيها في اجتماع شركة ، حيث شاهدته يجبر ٣٠٠ شخص على أن يأكل كل واحد منهم تفاحة وهو يسد أنفه ، ليريهم كيف أن النكهة هي ما نشمه ، وليس ما نتذوقه . إنه رجل يعيش ويتنفس الخبرات الحسية ، بالمعنى الحرفي للكلمة . ولتوضيح هذه النقطة ، نعود الآن إلى مطبخه ، أين يعلمني كيف أدخن سيجار حتى أستطيع تقدير كل النكهات المختلفة . وتنطوي العملية على سحب أنفاس متتالية من سيجار مشتعل بشفتيه مع إحداث صوت واضح ، ويبدو أن الخدعة هي في «أن تبقي الدخان خارج فمك ، ولا تدعه يتجاوز أسنانك» .

لا يلعب الغذاء دوراً محورياً في حياة هيستون فحسب ، بل يراه كطريقة لشرح كل الوجود البشري .

لم يشكل الطعام ما نقوم به ومن نحن فقط ، بل أيضا ما نحن عليه .

«لقد تطورنا بسبب الأكل والأشياء المحيطة بالأكل . . . عندما اكتشفنا النار ابتعدنا عن أكل النشويات النيئة فقط ، وبدأت أجهزتنا الهضمية المنخفضة في التقلص ، وأخذت أعناقنا ومن ثمّ حناجرنا تزداد طولاً مما أتاح لنا مع مرور الوقت بالبدء في النطق ، وكانت تلك القدرة على التواصل تعني أنّه بإمكاننا أن نبدأ بنشر الأفكار ، وبناء خيالاتنا ومن ثمّ أصبح كل شيء ممكناً» .

ربطُ الطعام بالخيال البشري هو طبقه المميز . لقد جلب المزيد من الأفكار الأصلية إلى المطبخ أكثر من أي شخص آخر ، وكان أول ما لفت الأنظار إليه في عالم الطهي هو وضعه لآيس كريم السلطعون على قائمة الطعام بطعمه «ذا فات داك» ، الطّبق الذي يبدو الآن عادياً تقريباً في عالم الخيال الغذائي الذي أنشأه منذ

الحانات القابلة للأكل ، أين يمكنك الاستماع إلى الطعام ورؤية الشوكولاتة تطفو في الهواء .

ويقول إنّ اهتمامه بعالم الطعام ينتقل من الصفر إلى المائة في وقت الغداء . عندما كان مراهقا ، تحصل والده على مكافأة من العمل وللاحتفال بهذا أخذ العائلة إلى مطعم حائز على ثلاث نجمات ميشلان في فرنسا . لم يكن فقط مزيج الطعام والأذواق ، ولكن الفيض الحسي لرائحة الخزامى من حديقة المطعم ، وملمس الكتان على الطاولة ، وانسحاق الحصى تحت الأقدام ، وأصوات الصراصير وقعقعة الكؤوس ، «*شعرت كأنني عبرت من حفرة الأرنب هذه إلى أرض العجائب ووجدت شيئاً أثار دهشتي وعرفت مباشرة أنني أردت أن أصبح طاه*» .

تنشّط خياله وفضوله بدراسة الآيس كريم ، وعثر على وصفة تعود إلى عام ١٨٧٠ لآيس كريم بجبن البارما . «*فكرت : «هذا غريب!» ثم بدأت أتساءل لماذا كان غريباً ، من قال أنّ الآيس كريم يجب أن يكون حلواً؟ وبمجرد أن بدأت أتساءل حول ذلك ، بدأت أتساءل حول كل شيء . لقد عثرت على هذا الخيط وظل يشدني*» .

هذا يعني أنّه في الوقت الذي يقوم فيه رئيس الطهاة العادي بالتعرف على المطاعم والقوائم الأخرى ليستلهم منها ، فإن هيستون يبحث في عوالم البيولوجيا والكيمياء والتاريخ والجغرافيا . وقد تعاون مع أساتذة في علم الماكروبيوتيك وعلماء النفس وعلماء الجزيئات . وكمثال على مدى تمكنه في هذا المجال من البحث ، نشرت الجمعية الملكية للكيميائيين قائمة تضم ١٧٥ من العلماء والكيميائيين الأكثر تأثيراً على هذا الكوكب ، أحياءً كانوا أم

أموات . وكان على القائمة آينشتاين ، وكذلك هيستون .

وأخذني ليُريني شعار نبالة قام بتصميمه ، والموضوع الآن في إطار معلق على جدار المطبخ . يقول أن الأمر استغرق منه سبع سنوات لتصميمه ؛ لأنه أراد أن يضع فيه كل ما يؤمن به . كان هناك غصين الخزامى يرمز إلى الرّائحة والرحلة إلى ذلك المطعم الأول ، وزوج من الأيدي يرمز إلى براعة عمله ، ووردة تيودور ترمز إلى العنصر التاريخي لطبخه ، وعدسة مكبرة ترمز إلى أهمية البحث والتحقيق ، والتفاح يشير إلى اكتشاف نيوتن والتفكير غير الخطي . والأوضح من كل ذلك هو شعاره المكتوب بخط مائل ، والذي يفسر منهجيّته وإبداعه وما يقدمه كأفضل نصيحة في حياته :

«تساءل حول كل شيءٍ» .

وقد شرح لي أكثر قائلاً :

«نقيض التساؤل حول كل شيء هو عدم التساؤل حول أي شيء . وإذا لم تكن تشكك في أي شيء ، فلن تكون لديك معرفة ، ولا تعلّم ، ولا إبداع ، ولا حرية اختيار ، ولا خيال . لذلك أنا دائماً أسأل لماذا ، ولمَ لا؟ أنا أسأل سؤالاً ، تلو سؤال ، تلو سؤال ، تلو سؤال ، ثم استمع . وهكذا أكتشف شيئاً جديداً» .

ثم ختم بطرح سؤال عليّ ، وهو أكثر ما كنت أخشاه : «أترغب في جولة أخرى من *تِنس الطاولة*»؟

«تساءل حول كل شيء . . .
وإذا لم تكن تشكك في الأمور ،
فلن تكون لديك معرفة ، ولا
تعلّم ، ولا إبداع ،
ولا حرية اختيار ،
ولا خيال» .

هستون بلومنثال



آني لينوكس بصوتين

لدى آني لينوكس صوتان. الصوت الأول هو الذي باع أكثر من ثمانين مليون ألبوم، وفاز بخمس جوائز غرامي، وجائزة أوسكار وحصد جوائز بريت أكثر من أي فنان آخر. أما صوتها الثاني فهو الصوت الذي تُقرضه لقضايا حقوق المرأة وفيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز في أفريقيا. وصوت الحملات هذا هو الذي يحتل مركز الصدارة هذه الأيام.

تتذكر آني اللحظة التي تغير فيها صوتها الغنائي من الفن إلى النضال، وكان ذلك بعد المشاركة في حفل موسيقي لإطلاق حفلات ٤٦٦٦٤[١]، لمؤسسة نيلسون مانديلا لمكافحة فيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز في جنوب أفريقيا، وهي الدولة ذات أعلى معدل إصابة بفيروس نقص المناعة البشرية في العالم. وأصغت لوصف مانديلا لوباء فيروس نقص المناعة البشرية على أنه «إبادة جماعية صامتة، تحمل وجه النساء». حيث أوضح أن واحدة من بين كل ثلاث نساء حوامل كانت مصابة بفيروس نقص المناعة البشرية في جنوب أفريقيا وأن مرض الإيدز كان (وما زال) أحد الأسباب الرئيسية لوفاة النساء في سن الإنجاب على مستوى العالم. بعد ذلك، وفي زيارة لمستشفى في إحدى البلدات، شاهدت بنفسها تأثير الإيدز في العيادات ومراكز أزمات الاغتصاب

---

(١) ٤٦٦٦٤ هي سلسلة حفلات خيرية تم إطلاقها بهدف محاربة الإيدز في أفريقيا، وقد تم اختيار هذا الرقم لارتباطه بالزعيم نيلسون مانديلا، إذ كان الرقم الذي حمله خلال سنواته في السجن (المترجم).

ودور الأيتام ومنازل الأشخاص . كان عيد غطاس أسود بالنسبة لآني . ومنذ ذلك الحين ، وجهت حياتها نحو الاستجابة للمأساة .

وجاءت النتيجة على مدار عقد من العمل الدؤوب لمعالجة القضية . العمل الذي ساهم ، بحسب رئيس الأساقفة ديزموند توتو ، بشكل كبير في تراجع الوباء في بلادنا . وفي عام ٢٠٠٧ ، أسست حملة أُطلق عليها اسم «سينغ» لزيادة الوعي العالمي والإجراءات الفورية ، مما ساعد على ضمان تزويد النساء والأطفال المصابين بالسيدا بالعلاج والرعاية التي يحتاجونها . وسافرت آني إلى جميع أنحاء العالم وأقامت حفلات لجمع التبرعات ، وعروض ، وخطابات ، ومقابلات في الإذاعة والتلفزيون والصحافة المطبوعة ، وفي المؤتمرات ، والتجمعات ، وفي المباني الحكومية ، ونقل الحقيقة للسلطة في كل فرصة تتاح لها . كما أسست «ذا سيركل» ، وهي منظمة تهدف إلى إلهام النساء وخلق تواصل بينهن من أجل تسخير مهاراتهن وإبداعهن وتأثيرهن ، وتحويل التحديات والمظالم التي تواجهها الفتيات والنساء الأكثر فقراً في العالم .

كانت تلك السهول المغبرة في أفريقيا ، جنوب الصحراء الكبرى ، بعيدةً كل البعد عن مساكن الطبقة العاملة في أبردين أين ترعرعت . منحدرةً من عائلة فقيرة ، ولكنْ موسيقيّة ، درست العزف على البيانو والفلوت في المدرسة ، ما جعلها تحصل على مكان في الأكاديمية الملكية للموسيقى في لندن في سن السابعة عشرة . «*لقد أصبح جواز سفري للخروج من هناك*» .

مع ذلك ، تلت سنوات عجاف . «*كان لدي القليل من المال ولم أكن أعرف أحداً . لقد عشت في أماكن مختلفة ، وقمت بكل ما أستطيعه لتغطية نفقاتي ، ولكن على الرغم من أن فرصي كانت تبدو قاتمة ، إلا أنّني لم أكن أرغب في العودة إلى اسكتلندا وأنا أشعر بأنني قد فشلت*» .

وحـده الغناء ظل ثابتـاً بين كل هذا . «*كنت أغنـي وأغني وأغني ، أمـشي في الشـارع ، في الحـمـام ، طوال الوقت ، فـقط لوحدي . وفي الوقت الذي بلغت فيه الثلاث سنوات في الأكاديمية الملكية نهايتها ، كنت أعرف أنني أريد أن أكون مغنية / كاتبة أغاني ، لذا بدأت في كتابة الأغاني على الهارمونيوم الفيكتوري القديم . كنت أكتب قصائد منذ أن كنت في الثانية عشرة وكان لدي الكثير لأقوله*» .

ولكن رغم كل هذا العمل الشاق والممارسة والشغف ، كان أحد عوامل النجاح ما يزال مفقود المصادفة . وقد أتت هذه المصادفة عبر سوق كامدن ، أين كانت تبيع آني الملابس المستعملة ، في كشك تشترك فيه مع صديق . وهناك تعرفت على رجل يبيع التسجيلات قال لها : «*يجب أن تلتقي برفيقي ديف*» . حسب آني ، كانت هناك علاقة إبداعية مع ديف ستيوارت منذ البداية ، وفي غضون بضع سنوات كانا يهيمنان على الخرائط على جانبي المحيط الأطلسي في فرقة يورتميكس .

إن قصة حياتها هي قصة امرأة اتبعت شغفها ، إلى حيثما يأخذها ، من مساكن أبردين إلى البلدات في أفريقيا ، مرورا بغرامي في أمريكا ، ونصيحتها تناسب تماماً هذه القصة :

«سوف تكون هناك لحظات دهشة في الحياة حين يمكن أن ينبعث نور ما ، وحين تفكر في نفسك : «يجب أن أفعل هذا» - أيّاً كان ذلك . وليس لأن أحدهم قال أنّه يجب عليك فعل ذلك ، بل لأنك تشعر أنك مجبر تماماً على ذلك ، وسيكون هناك خطأ ما في العالم إذا لم تفعل ذلك . إذا عثرت على هذا النور ، استجب له ، وابحث عن أشخاص آخرين يشاركونك هذا الشغف ، ازرعه . جد ذلك الهدف العميق في حياتك» .

حين تذهب الأصوات ، فصوتها صوت الجيد للاستماع إليه .



في إجازة مع سيمون كويل

كنت جالساً في مقاعد مسرح بالاديوم بلندن، أشاهد أربعة أشخاص يرتدون ملابس ساحرة على خشبة المسرح، يتجادلون مع بعضهم البعض، وقد عُلّق فوقهم في الخلفية علم بريطانيٌّ ضخم ولامعٌ مع عبارة «بريطانيا غوت تالنت» ضخمة. ويجلس تحتها الرجل الذي أثبت بشكل قاطع صحة هذا الزعم: سيمون كويل.

بعد انتهاء الحكام من العراك الودي والتصوير الفوتوغرافي لليوم، تم أخذي إلى الكواليس لمقابلة الرجل الرئيسي. كان يجلس وسط الغرفة، محاطاً بعدد كبير من المساعدين الذين يرتدون ملابس سوداء، والمصورين والمنتجين، وهو عين هادئة وسط عاصفته الإعلامية الخاصة.

كنت على علم بشهرته في الدخول مباشرة في صلب الموضوع، حتى أكون أكثر تهذيباً. وعلمت أيضاً من خلال مديره الإعلامي أنه قد قضى اثنتي عشرة ساعة في العمل خلال عشرين ساعة من اليوم؛ لذا كنت متخوفاً بعض الشيء، وتوقعت محادثة قصيرة ومقتضبة. لكن حدث عكس ذلك تماماً، وعلى نحو محرج بالنسبة لرجل سوي يبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عاماً مثلي، فعلى مدار الساعة التي قضيناها في الحديث، وقعت بيأس وبشكل كامل في حب سيمون كويل.

وبدأ الأمر مع سيمون الذي أجلسني وتأكد من أنني مرتاح. ثم قدم لي كوباً من شاي الزنجبيل الطازج المصنوع منزليّاً، لكن تبين

أنه حار للغاية ، فأخذت أسعل ودمعت عيناي لا إرادياً . حينها شعر سيمون بالقلق وراح يتأكد من أنني بخير . ثم ، وبعد أن سُعد باسترجاعي لعافيتي ، قضى العشر دقائق التالية يستفسر عني وعن عملي وعن قصتي . كان يتحدث بهدوء ، ويسأل بلطف ، ويصغي باهتمام . وقضى مزيداً من الوقت في السؤال عني أكثر من الوقت المخصص لنا للتحدث .

في نهاية المطاف ، سمح لي بنقل موضوع المحادثة مني إليه . كان أسلوبه دافئاً ولطيفاً وساحراً ، وصوته هادئاً جداً ، فاسترخيت تماماً . وغمرني شعور جميل ، كما لو كنت في عطلة مشمسة . كان يكثر من استخدام اسمي ويقع في إطراء غريب . وشعرت أنه يحبني حقاً . وبدأت أفكر في أننا قد نصبح أصدقاء مقربين ، وربما سنذهب في عطلة معاً .

تمالكت نفسي . هذا سخيف ، أنا رجل ناضج يتصرف كمراهق . أحتاج إلى التركيز الآن . وضعت إعجابي بالرجل وأحلام اليقظة جانباً وعدت مرة أخرى إلى ما يقوله . إنه بالتأكيد شخص جدير بالاستماع إليه ، مصدر غنيّ وخصب للحكمة العملية والبصيرة والحكايات والقصص . قلت له أن فريقه قد صدمني على نحو استثنائي في التزامه ومهنيته ، فشرح لي كيف تعلم الحصول على الأفضل من الناس . «*حسناً ، ريتشارد ، أخبرني والدي أن هناك علامة لا مرئية على رأس كل شخص تقول اجعلني أشعر بالأهمية . تذكر ذلك وستكون بخير*» .

إنه صريح على نحو ساحر ، ومتنكر للذات فيما يخص مصدر أفكاره ، ما يجعلني أحبه أكثر . «*إذاً ، ريتشارد ، ذات ليلة ، بينما كنت في مطبخي أطهو العشاء وأشاهد بعض البرامج المملة ، قلت*

في نفسي: *«أفضل أن أشاهد كلباً راقصاً على مشاهدة هذا»*، وبعد ذلك ببضع ثوانٍ فكرت: *«في الواقع، أفضل حقًا أن أشاهد كلباً راقصاً على مشاهدة هذا»*. ومن هنا جاءت فكرة *«بريطانيا غوت تالنت»*.

كان بإمكاني رؤية مساعديه يحومون، لكنني لا أريد أن ينتهي وقتي تحت هذه الشمس؛ لذا حاولت كسب المزيد من الوقت وواصلت طرح الأسئلة. بالنظر إلى هيمنته على صناعة الموسيقى، ما هي النصيحة التي يقدمها للفنانين الطموحين الذين يسعى لتكوينهم؟ *«يجب أن تكون لديك أغنية رائعة أكثر من أي شيء آخر. قم بحفلات صغيرة. وأصغ لرد فعل الجمهور، واكتشف ما الذي ينجح»*. وكيف يتعامل المَرء مع جميع حالات الرفض الحتمية؟ *«استمع إلى التعليقات، فقد تتعلم منها. ولكن إذا كان الأشخاص الذين يقولون «لا» أكثر غباء منك، فلا تسمح لهم بتثبيط عزيمتك»*. ماذا لو وجد شخص ما نفسه في تجربة أداء أو عمل أمام سيمون كويل؟ *«إذا تحصلت على جواب بـ «نعم»، فلتخرس إذاً. هناك أوقات قلت فيها «نعم»، فبدأ الفنان بقول أشياء من قبيل: «كنت أعرف ذلك، سنقوم بأشياء مذهلة معاً»، وكلما تحدث أكثر، فكرت في نفسي أكثر: «لقد فقدت اهتمامي بك». الأفضل من بينهم هم من يكتفون بقول: «جيد، اتصل بمحاميَّ»، ويغادرون. هذه الثقة تجعلني أتصل بمحاميّ في غضون عشر ثوانٍ»*.

كنت سأستمر طوال الليل إذا استطعت ذلك، لكن للأسف كنت أدرك أن جميع الأعياد لابد وأن تنتهي. ومع وجود نسخ محلية من برامجه في أكثر من ١٨٠ دولة، أمام سيمون ليلة طويلة،

مع العديد من الأسئلة التي ينبغي عليه الإجابة عليها ، والعديد من تجارب الأداء التي عليه مشاهدتها ، والكثير من الناس ليشعرهم بالأهمية .

لذا انتهيت بطلب النصيحة رقم واحد بالنسبة إليه .

«أفضل نصيحة هي الاستماع ، الاستماع بدلاً من الحديث . لم أكن أبتسم في المدرسة أبداً ، لكنني كنت مستمعاً جيداً جداً ، وما زلت كذلك . ولدي حياة أفضل بسبب ذلك . عندما ألتقي بالناس ، أشعر بالفضول تجاه قصصهم ، وكيف قاموا بما قاموا به . وعلى طول الطريق تلتقي بأناس أكثر ذكاء منك يعلمونك ما لا تعرفه بالفعل ؛ لذا استمعُ إليهم وآخذ تلك الروائع وأمضي . . .»

ومع هذه النصيحة ، وتلويح أخير و«الكثير من الحب» ، تمّ إخراجه من طرف فريقه المخلص دائماً . للأسف ، انتهت رحلتي الرومانسية مع السيد كويل الموهوب . أتساءل عما إذا كان سيكتب إليّ .

«إذا تحصلت على جواب بـ«نعم» ،
فلتخرس إذاً .
هناك أوقات قلت فيها «نعم» ، فبدأ الفنان
بقول أشياء من قبيل : «كنت أعرف ذلك ،
سنقوم بأشياءٍ
مذهلة معاً ، وكلما
تحدث أكثر ،
فكرت في نفسي أكثر : «لقد فقدت
اهتمامي بك» .

سيمون كويل



شامي شاكربارتي: كلّنا معاً الآن

إنّني أتناول القهوة مع «*أخطر امرأة في بريطانيا*»، وفقاً لصحيفة «*ذا صن*». حيث تم منح شامي شاكربارتي، المديرة السابقة لـ «ليبرتي» (منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان)، هذا اللقب اللاّمع، بعد أحداث ١١ سبتمبر بسبب عملها البارز في الدّفاع عن الحريات المدنية، أو كما رأت «*ذا الصن*»، حماية الإرهابيين والمجرمين.

كان عنواناً سُعدت شامي بقبوله. «*كان الأمر بمثابة شرف لي، بل أفضل من رتبة قائد من طرف الملكة*». وفي دورة لعجلة القدر، وبعد بضع سنوات، وجدت شامي نفسها تساعد الصحفي الذي كتب المقال عنها. حيث تم فصله من برنامج إذاعي لوصفه عضو مجلس المحافظين بأنه «نازي» بسبب منعه المدخنين من التبني، وكان دفاعه أنّ لديه الحق في حرية التعبير بموجب قانون حقوق الإنسان، القانون الذي كان قد هاجمه عمداً في الماضي. ولكنّ شامي، بصفتها حامية لحقوق جميع الناس، كانت هناك لدعمه أيضاً. لقد كان وضعاً يوضح التناقض الذي تعرفه شامي جيّداً. «*نحن جميعاً نحب امتلاك حقوقنا الإنسانية الخاصة، لكن مشكلتنا هي مع حقوق غيرنا*».

لسوء حظ شامي، فإنّ وصفها «بالخطيرة» كان أقل ما يتعين عليها التعامل معه في وظيفتها، فالعنصرية المستمرة، والإهانات الشخصية والمعادية للنساء كانت نتائج لا بد منها. لكنها لا تشتكي. «*في أماكن أخرى من العالم، يتعرض المدافعون عن*

حقوق الإنسان للهجوم الجسدي ، أو أسوأ من ذلك ؛ لذا إذا تعين عليّ التعامل مع شخص يقول أشياء سيئة عني في الصحف أو وسائل الإعلام الاجتماعية ، فليأتي بما عنده» .

ويرجع سبب تعرضها للكراهية الشديدة نوعاً ما إلى المجال الذي تعمل فيه . وقد صاغت هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية وردّ فعل العالم تجاهها فترةَ عمل شامي في منظمة «ليبرتي» . «بدأت في ليبرتي في العاشر من سبتمبر . في اليوم الأول ، قيل لي أن أفكر بإبداع فيما يمكن أن تكون عليه أولوياتنا . ثم جاء اليوم الموالي ، واختفى الإبداع» . إذ ألزمها دورها على أن تدافع بشكل علني عن المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان حين أراد العالم فجأة أن يتجاهلها . «لقد قامت الدولة بأشياء سيئة حقاً ، ليس فقط لحقوق الإنسان ، ولكن لأمننا الخاص : عمليات التسليم الاستثنائي ، والاحتجاز لأجل غير مسمى دون محاكمة . لذا كان عليّ أن أقول أشياء لم يرغب أحد آخر في قولها ، ولم يرغب الكثير من الناس في سماعها» . وتلا ذلك ازدراء أعضاء المؤسسة والسلطة الرابعة لها .

مع ذلك ، لم تتهرب أبداً ، بغض النظر عن مدى عدم شعبية حملتها . وإن حدث أي شيء ، فقد استمتعت بالنضال ، وألزمت الحكومة بقوانين مقترحة جديدة ومحاسبة النظام . سألتها من أين تستمد المرونة لمواجهة مثل هذه الرياح المعاكسة القوية والوقوف في وجه السلطة ، فنسبتها هي نفسها إلى عدة أشياء ، لكن في أغلبها إلى والديها . «أنا ابنة مهاجرين . كانا كلاهما في الجامعة في الهند قبل الانتقال إلى إنجلترا وقد ربياني على الإيمان بأنه يمكنني القيام بأي شيء . لقد تلقيت تعليماً محليّاً شاملاً وكنت أدرك أن فتيان إتون كانوا متميزين ومختلفين ، لكنّني لم أعتقد أبداً أنّهم كانوا أفضل مني» .

وكان لديها شعار شخصيّ يوجز هذه الفكرة : «الجميع متساوون ،

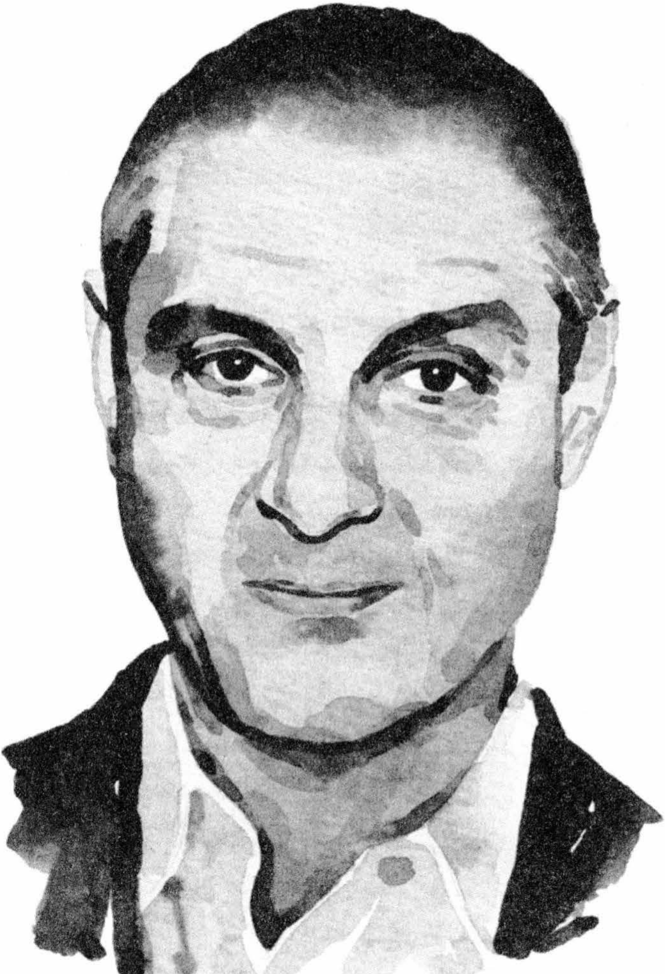
ولا أحد متفوق . وهو مبدأ وجّه منهجها في الحياة وعملها أيضاً . إنها طريقة جيدة للانسجام مع بقية الناس عبر أنحاء العالم» .

إن هدف تحقيق مجتمع يتساوى فيه الجميع ، حسب شامي ، ما يزال بعيداً . ويساورها اليأس من الطريقة التي يُتحدث بها عن اللاجئين بازدراء متزايد . «كلمة «لاجئ» بالنسبة لي هي واحدة من أكثر الكلمات نبلاً على هذا الكوكب . عندما نشأت في السبعينيات كنا نحب اللاجئين لأنهم كانوا روساً أرادوا الهروب من الكتلة السوفياتية الرهيبة لأجل نمط حياتنا الأفضل . لكننا الآن نصف اللاجئين بـ «الآخرين» ، باعتبارهم «أقل من» ، وباعتبارهم مشكلة» . وأسوأ من كل ذلك ، هي مكانة المرأة في العالم التي تعتبرها أكبر عدم مساواة .

«بقدر ما تقدمت في العمر ورأيت ، أعتقد أن الظلم الجندري هو أعظم انتهاكات حقوق الإنسان على هذا الكوكب . إنه حرفياً مثل نظام الفصل العنصري ، باستثناء أن هذا ليس ببلد واحد ، بل هو عالمي وعصري ، وهذا جنون» .

وتمتلك إجابة من كلمة واحدة لمعالجة قضايا عدم المساواة هذه والدفاع عن حقوقنا الأساسية ، ألا وهي التضامن .

«إنّ النخبة القوية في العالم تنجح دائماً عن طريق التفرقة والحكم ، باستخدام أدوات مثل الخوف والعنصرية . لكن التضامن ، ذلك الارتباطُ البشري الأساسي الذي يمكن أن نقيمه مع بعضنا البعض ، هو الأقوى . هذا هو السّلاح السحري لتحقيق التغيير . إذا تذكرنا أن حقوق الإنسان الخاصة بك هي نفس حقوقي الإنسانية ، حتى لو لم نشبه بعضنا ، وإذا كنا ندعم بعضنا البعض ، فسنستفيد جميعاً ، ونغدو جميعاً أقوى . ففي نهاية المطاف ، نحن أمنٌ لبعضنا البعض» .



آري إيمانويل الحقيقي

إنه أسبوع الأوسكار وآري إيمانويل، الوكيل الخارق في هوليوود، وملهم شخصية آري غولد في مسلسل أنتوريج، مشغول جداً. إنه مشغول للغاية حتى أنّ مساعدته تمتلك مساعِدةً، وقد صنعت معجزة، إذ استطاعت أن تحجز لي وقتاً مع أقوى رجل في هوليوود، في الفترة الأكثر ازدحاماً في هوليوود من السنة. لكن ليس هناك ثانية لتضييعها.

مررت من أمام مكتب الاستقبال وسرت بسرعة، أكاد أركض، نحو مكتبه. انتهى اجتماعه للتّو وهذه فرصتنا. كان هناك شخصان يهّمان بالخروج بينما كنت أدخل، فعلقنا للحظة عند المدخل. في الداخل، كان آري يقف أمام مكتبه المرتفع إلى الصدر، وهو مكتب وضع فوق جهاز الركض حتى يتمكن من التمرن أثناء عمله. نظر إلى الأعلى نحوي، ثم إلى مساعدته، وسأل، على نحو معقول تماماً، آخذاً كل شيء بعين الاعتبار: «*إذاً، من هذا الرجل بحق الجحيم*»؟ وهكذا كانت بداية حديثي مع آري.

إن كان هذا يجعله يبدو وقحاً، فهذا تضليل. إنّه بلا شك مركّز، وصريحٌ، بالتأكيد، لكنه ليس وقحاً. إنّه فقط «*أسبوع لعين بالنسبة إليّ، بما أنه متعلق بجوائز الأوسكار، والجميع موجودون في المدينة، وهناك الكثير مما يحدث*». كان يتلفظ، بنبضات واهنة سريعة، فقط بما هو مفيد دون مجاملات. تشع منه جاذبية المادة المظلمة. إنه بلا شك مركز الجاذبية في هذه الحجرة. لقد جذبني منذ كلمة «*إذاً*».

أراد آري أن يعرف سبب إدراجه في هذا الكتاب. فشرحت له

أن الكتاب يدور حول الناس الذين يتصدرون مهنهم ، وأنه الوكيل الأكثر قوة ونجاحاً في العالم . أصغَى إلى إجابتي ، وفكر لنانو ثانية ثم قال : «*هذا صحيح ، أنا هو*» . ثمّ ، وبعد برهة ، أضاف : «*حسناً ، من غير المجدي أن أكون متواضعاً ، ليس في صنعتي هذه*» .

إذا ما الذي يجدي في هذه الصنعة؟ ما السر لبلوغ القمة؟

«*لقد فكرت في الأمر ، ونصيحتي لأجل النجاح تندرج تحت ثلاثة أشياء : أن تكون فضوليّاً ، أن تثبت وجودك ، وأن تبقى على اتصال . عليك أن تواصل القراءة ، والاستماع ، والكلام ، والتفكير ، واكتشاف كيف يفكر الناس ، وماذا يفعلون . وتعقب أي شيء يبدو مثيراً*» .

وراح يستذكر مقالاً قرأه قبل عشر سنوات حول تكنولوجيا جديدة بدت له مثيرة للفضول والتي تُعرف اليوم بالعالم الافتراضي . فاتصل بالشخص المذكور في المقال ، ودعاه للغداء وسأله بضع أسئلة . وظل آري على تواصل مع الرجل ، يرسل له إيميلات ومقالات عرضية . وذات ليلة جمعة ، اتصل به الرجل نفسه قائلاً أنّه ذاهب لرؤية فتى مبدع كان متحمساً للقائه ، وسأل إن كان آري يرغب في مرافقته . «*كانت الساعة العاشرة ليلاً من يوم الجمعة ، وكنت في الفراش ، فقد كان أسبوعاً سيئاً ، وكنت أكافح لتسيير هذا المكان . لكن فكرت ، حسناً ، فليذهب العمل إلى الجحيم . وقمت من فراشي ، ارتديت بنطالي وقدت لمدة ساعة لمقابلة هذا الفتى . كان هذا أفضل شيء قمت به . لقد أحببت الفتى ، وقررت دعمه ، وحققت شركته نجاحاً عظيماً*» .

قلت له إنّ من السهل أن يكون المرء فضوليّاً ، وأن يثبت نفهة ، وأن يكون على تواصل حين يكون ناجحاً مسبقاً ، وحين يفتح اسمه الأبواب أمامه ، لذا فأنا أتوق لأن أفهم كيف استطاع أن يشق طريقه في البداية ، قبل أن يصبح لاسمه رنين . «*ببساطة بدأت بالاتصال بأكبر الوكلاء في ذلك الوقت . كنت نكرة ، مجرد بثرة في*

مؤخراتهم، لكنني واصلت الاتصال بهم والوقوف على أبوابهم إلى أن سمحوا لي بالدخول آخر الأمر».

قلت: إنّ الأمر يحتاج جلداً خشنا للاستمرار في وضع كهذا. فاعترف بأن الأمر كذلك، وعلى نحو مدهش، قال: «إن عسر القراءة الشديد الذي عانى منه في صغره قد ساعده على ذلك».

«حين تعاني من عسر القراءة فإنك ستفشل باستمرار، ولن تحقق شيئاً بسهولة، وبالتالي، فإنك تفقد الخوف من الفشل، وتتعود على ذلك الشعور بالإحراج. لذا بأسلوب بارد، من يهتم؟ يقولون لك: لا. ليس بالأمر الجلل، استمر بالاتصال بهم إلى أن يقولوا: نعم».

فضلاً عن ذلك، يقول إنّ كون المرء يعاني من عسر القراءة يعلمه أشياء أخرى أيضاً. إنه يمنحك ذكاء عاطفياً أفضل: «ربما لن تستطيع قراءة الكتب لكنك ستكون بارعاً في قراءة البشر». ويعلمك كيف تضم فريقاً معاً، «لأنك لن تستطيع فعل كل شيء حين تعاني من عسر القراءة، فأنت تحتاج إلى مساعدة الآخرين». ومن المفارقات أنّه في صناعة تدور بصورة نموذجية حول «الأنا»، فإن سمعة آري كانت تدور حول «نحن». ويبدو ولاء فريقه له مطلقاً، مثل ولائه هو لهم. وكمثال على ذلك، فقد أخبرني أحد زملائه كيف أنه، خلال الهجمات الإرهابية في باريس مطلع هذه السنة، وبمجرد أن سمع آري الخبر استقل الطائرة مباشرة وكان هناك في ظرف أربع وعشرين ساعة ليطمئن على سلامة فريقه الفرنسي.

الفضول، عدم الاستسلام، الفريق، كلها أشياء ساهمت في نجاحه.

أومأ إليّ الآن أحد أعضاء فريقه الأوفياء. لقد انتهى وقتي. وبينما أنا أهم بالمغادرة، ألقيت نظرة إلى الخلف، وكان آخر شيء رأيته هو آري يعود إلى مكتبه، على جهاز الركض. وبسبب الوقت الذي اقتطعه لأجلي، هو الآن مشغول أكثر من السابق.

«لقد فكرت في الأمر ،
ونصيحتي لأجل النجاح
تندرج تحت ثلاث أشياء : أن تكون فضوليّاً ، أن تثبت
وجودك ، وأن تبقى على اتصال . عليك
أن تواصل القراءة ،

والاستماع ، والكلام ، والتفكير ،
واكتشاف كيف يفكر
الناس ، وماذا يفعلون . وتعقب أي شيء
يبدو مثيراً» .

آري إيمانويل



مارثا لاين فوكس، العرابة الجنية ٢,٠

أنا في مكاتب وكالة رقمية في لندن للقاء البارونة مارثا لاين فوكس، سيدة الإنترنت الأولى. كانت الشركة مليئة بأشخاص يرتدون قمصاناً ساخرة، وقصات شعر غريبة، وفي آذانهم ثقوب تسمح لك بالنظر عبر شحمتها. كانت مارثا تجلس في مشرب القهوة المشترك، وتبدو على نحو رائع مخالفة للثقافة السادة هناك من خلال ارتدائها لبذلة أنيقة ذات لون أزرق. وباعتبارها شخصاً يعرف عن الرقميات أكثر من كل المواكبين في لندن مجتمعين، فإنّها ليست في حاجة لارتداء قميص ممزق وامتلاك ثقوب في جسدها لتثبت هذا.

وبينما كنّا نتحدث في أمور عامة، اكتشفت الحقيقة البارزة المفضلة عندي بخصوص مارثا، وهي ليست أنّها كانت شريكة في تأسيس موقع لاست مينيت، الشّركة النّاشئة في حقبة الدوت-كوم، والتي بيعت مقابل نصف مليار دولار، ولا أنّها كانت أصغر امرأة سنّاً تم تعيينها في مجلس اللوردات، رغم أنّ هذا مدعاة للإعجاب، ولا حادث السيارة الذي كاد أن يودي بحياتها، وأرقدها لسنتين في المستشفى بينما كانوا يعيدون ترميم جسدها المكسور، ولا أنّها تسيّر الآن مؤسستها الخيرية «*دوت إيفري وان*» التي تهدف إلى جعل المملكة المتحدة الأمّة الأكثر تقدماً من الناحية الرقمية في العالم. ومع أن كل هذه أشياء مثيرة للإعجاب، فإن الجزء الذي يمنحك أفضل إحساس بهذه المرأة هو عدد أبنائها

بالمعمودية : إذ لديها تسعة عشر ، أي أكثر باثنين من الأميرة ديانا .

حين تلتقي بها ، لن تجد صعوبة في إدراك سبب هذا . إنها مفعمة بحس الإمكانية ، والاحتمالية والتفاؤل . «*أحبّ بناء الأشياء ، أحبّ الأفكار وأحبّ قدرة المرء دائماً على مساعدة الناس وجعل الأشياء أفضل*» . وفلسفتها التوجيهية؟ «*دون أن تبدو معتوهاً جدّاً بهذا الشأن ، ستشعر أنّك شخص أفضل بكثير إذا قمت بتبني الكرم كبديل ضد اللؤم*» .

يا لهم من أطفال محظوظين!

ومن المفارقات أنها لم تكن ، هي نفسها ، تتلقى دائماً أفضل ما لدى الناس . وحين قامت هي وشريكها برنت هوبرمان بتعويم موقع لاست مينيت ، وانهارت أسعار الأسهم ، تلقت ما يزيد عن ألفي رسالة كراهية ، «*بما فيها تهديدات بالقتل ومختلف النعوت المسيئة*» ، كما كتب *الصحفيون في الجرائد أنّهم يتمنون لو بإمكانهم إطلاق النار عليها ، أو أنها يجب أن ترتدي برقعاً وتمكث بالبيت*» . لم يكن هناك الكثير من كرم النفس . وعلى نحو شديد الأثر ، كان النقد اللاذع مركزاً عليها ، دون شريكها الرجل .

قصة موقع لاست مينيت هي كبسولة زمن تكشف لنا حال الإنترنت زمن التسعينيات . لقد كانا يتصدران زمنهما ، وقد بدآ في حقبة قبل غوغل . كان اسم الموقع الأصلي LastMinuteNetwork.com لكنهما فكرا في أنّه سيكون ألطف لو أسقطا الكلمة الثالثة . وكافحا معاً لأجل جمع المال ، ذلك أن كبار الرأسماليين كانوا يرون أن النّاس لن يشتروا أشياء عن طريق الإنترنت ، فلا أحد سيرضى أن يضع معلومات بطاقة ائتمانه على موقع ما . أمّا الآن ، فيبدو الأمر ساذجاً على نحو مضحك ، لكنّ مارثا قالت إن الإنترنت حينها كانت مختلفة عما هي

عليه الآن، «*لقد كانت جديدة جدّاً ومثيرة، كان شعوراً حقيقيّاً بأنّ العالم على وشك أن يتغير، ولم نكن نتوقع أنّ هذه الشركات المحتكرة الضخمة كأمازون، وغوغل وفايسبوك ستزدهر وتسيطر على الإنترنت*».

إنّ إيمانها بقوة الأنترنت الأساسيّة في مساعدة الناس على تغيير الأشياء هو القوة المحفزة لمنظمتها (دوت إيفري وان) التي تهدف إلى إضفاء طابع ديمقراطي على إمكانية الاتصال عبر شبكة الإنترنت وفهمها من طرف الجميع حرفياً، وتعمل على حشد الحكومة، والشركات، والمدارس والجماعات لضمان حصول الجميع على المهارات اللازمة للاتصال عبر الإنترنت وبطريقة غير منسقة: «*لا أقلل من احترام الفايسبوك، لكنّ الإنترنت ليست فقط فايسبوك. إذا كنت تعرف كيف تستخدم الإنترنت حقّاً، فإنك ستطّلع على كل الآراء والمعلومات والأدوات هناك. يمكنها أن تساعدنا في تغيير كل شيء*».

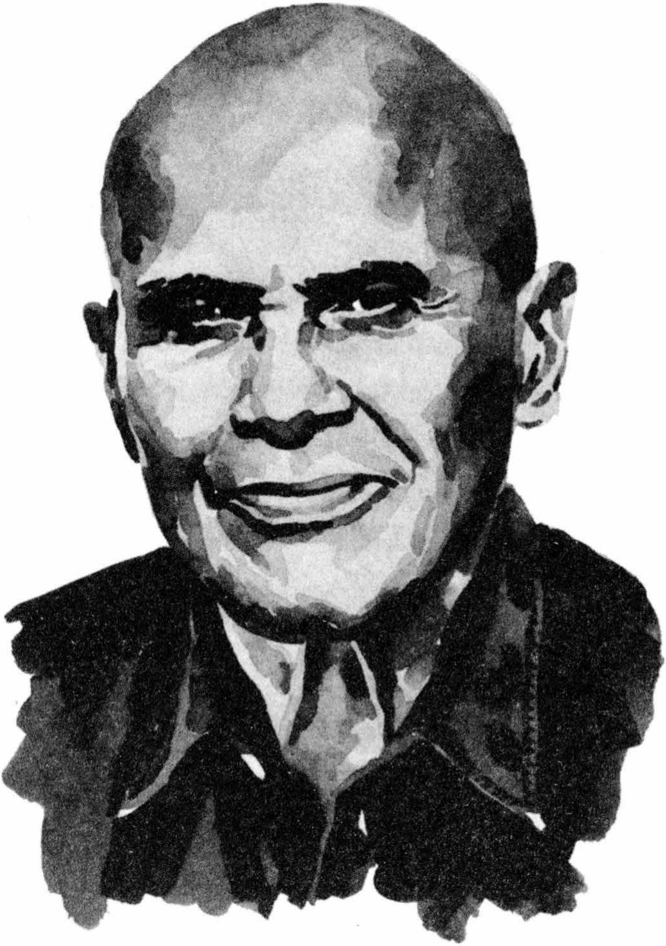
إنها تلك الرغبة في تحسين نفسها والآخرين، ورؤية الاحتمالات اللانهائية في العالمين، الافتراضي والواقعي، هي التي تدفعها، وتظهر في النصيحة التي تقدمها:

«***كن جريئاً. إذا كنت جريئاً، فإن بإمكانك أن تُخفق ببراعة حقّاً، ولكن يمكنك أيضاً تحقيق المزيد؛ لذلك كن جريئاً. كل ما لديك هو سمعتك الخاصة لتخسرها وهذا ليس بالأمر المهم، إذ من الأفضل بكثير أن تكافح لأجل شيء يبدو مستحيلاً، ويبدو هذا جنوناً على مستوى ما. لذا كن جريئاً، مهما كان الأمر، حتى ولو كنت تعمل على مكتب استعلامات في مكان ما، اسأل نفسك كيف يمكنني أن أكون جريئاً؟ واعثر على تلك اللحظات الصغيرة من الجرأة لأنّها في كل مكان***».

«كن جريئاً . إذا كنت جريئاً ،
فبإمكانك أن تخفق حقّاً ببراعة ،
ولكن يمكنك
أيضاً تحقيق المزيد ؛ لذلك
كن جريئاً . ليس لديك سوى
سمعتك الخاصة
لتخسرها وهذا ليس
بالأمر المهم ، إذ من الأفضل بكثير
أن تكافح لأجل شيء يبدو مستحيلاً ،

ويبدو هذا جنوناً
على مستوى ما . لذا كن جريئاً ، مهما
كان الأمر ، حتى ولو كنت تعمل على مكتب استعلامات
في مكان ما ، اسأل نفسك
كيف يمكنني أنْ أكون جريئاً؟ واعثر
على تلك اللحظات الصغيرة من الجرأة لأنها
في كلّ مكان» .

البارونة مارثا لاين فوكس



هاري بيلافونت،
الجندي

كنت أناقش سياسة الولايات المتحدة مع هاري بيلافونت، المغني البالغ من العمر تسعة وثمانين عاماً، الحائز على جائزة غرامي، عملاق حركة الحقوق المدنية الأمريكية، والمقرب من مارتن لوثر كينغ. كان نقاشاً طويلاً. إنّه رجل ذو بلاغة عظيمة، وثقافة وقوة حياة هائلة، ويغذي هذه الأخيرة محركان مزدوجان: غضبه من الظلم الاجتماعي، وحبه الثابت للجانب المشرق من بلده.

تحدثنا حول الانتخابات الجمهورية التمهيدية، التي كانت تجري بينما كنا في نيويورك. حظي دونالد ترامب بالقليل من الاهتمام، «*إنه شخصية مصابة بالجهل والغرور، ولا يحتاج المرء أن يطيل الحديث عنه كثيراً*». لكنه قال: «إن *ما* هو يستحق *الاهتمام بشكل أكبر* هو عدد *الأشخاص الذين* يتجاوبون مع *رسائل ترامب التي تدعو للكراهية، ما يكشف لهاري مدى تحطم الحلم الأمريكي*».

على النقيض من ذلك، يرى هاري باراك أوباما كواحد من أكثر الأشخاص الموهوبين ثقافيّاً على الإطلاق لشغل هذا المنصب، لكنه يعتقد أنّه قد تحمل ثماني سنوات من العداء أكثر من أي رئيس في التاريخ. الحقيقة التي يضعها هاري ضمن «*شيء واحد وواحد فقط*، هو كونه *رجلاً ملوناً*».

هاتان الظاهرتان - شعبية ترامب وتلقي أوباما للعداء- تدعمان توكيده على أنّ كلاً من العنصرية وعدم المساواة ما تزال حية ومستشرية في أمريكا الحديثة والعالم بأسره . ولا يبدي هاري أي علامة ارتياح طالما ما يزال الوضع على حاله ، ويمتد عمله من مكافحة الإيدز في أفريقيا والعمل في مؤسسة عصر السلام النووي ، إلى تعليم الطلاب الأمريكيين حول أهمية المظاهرات السلمية .

لم يولد هاري بيلافونت في عوالم النشاط الاجتماعي أو النجومية ، فقد نشأ في حي هارلم لأبوين من الطبقة الكادحة ، وكان ما عجّل مسارَه نحو الأضواء عملُه كمساعد بواب في نيويورك . ففي أحد المرات ، كان أحد المستأجرين في المبنى الذي يعمل به ، مفتقراً للمال ، فدفع له بدل البقشيش تذكرتين لمسرح السود الأمريكي . وأوقدت مشاهدة المسرحية لدى هاري حبّاً للفن ، فقرر في تلك اللحظة أن يصبح ممثلاً . التحق بدروس في التمثيل ، ولكي يدفع حقوق الدروس ، بدأ يغني في الليل في نادٍ للجاز في نيويورك . لكنّ نجاحاً غير متوقع هناك منحه فرصة الانطلاق في مسيرة في الغناء ، حيث أشاع موسيقى الكراييب عبر أغنيته «Banana Boat Song (Day-O)» ، مطلقاً بعد ذلك عدة ألبومات ناجحة من مختلف الطبوع الموسيقية ، ثم حقق مسيرة ناجحة في التمثيل بالموازاة مع ذلك . وعلى العموم ، ليست هذه بالنتيجة السيئة من تذكرتين مجانيتين .

وعلى غرار العديد من الأشخاص البارزين ، فإنه يدّعي أن حياته قد تحددت معالمها بمثل لحظات المصادفة هذه ، تلك الفرص التي لا يمكن لأحد منّا السيطرة عليها . وبالتالي ، فإنّه ينصح بخلق أكبر عدد منها . «*لقد كانت المصادفة أعظم قوة في حياتي* ،

والانفتاح لاستقبال أي شيء يمنحه الناس الذين ألتقي بهم أو يريدونه . وبفضل هذا انفتحت حياتي على مجموعة كاملة من التحديات والبهجة التي لم أكن لأحظى بها بطريقة أخرى» . وقد لخّص هذا في واحدة من أهم فلسفاته في الحياة : «*من الأجدى دائماً أنْ تجيب على الطّرْق على الباب*» .

مع شهرته التي تلت ، توالت هذه الطَرَقات أكثر ، وغدت إحداها الأكثر أهمية من بين الجميع . إذ جاءت من راع شاب يدعى مارتن لوثر كينغ ، يطلب المساعدة من هاري في واحدة من أنشطته . وفي ذلك اللقاء الأول «*استدعاني الدكتور كينغ لأساعده في مهمته ، وهناك التحقت بحركة اجتماعية غيرت الوجه السياسي لأمريكا والعالم*» . وأصبح مستشار الدكتور كينغ ومتعهده ، فكان يدعم عائلته ، ويدفع كفالته حين كان يتم إيقافه ، ويمول رحلات الحرية ، وينظم مسيرة واشنطن . ومنذ ذلك الحين ، راح يحمل مشعل حركة الحقوق المدنية وغيرها من المظالم الاجتماعية . «*لقد ترك لي هؤلاء الفتيان مهمة حمل المشعل*» .

لذلك ، وبالنظر إلى كل ما دافع عنه ، وقاتل من أجله ، ورأى أصدقاءه يموتون من أجله ، فمن المنطقي أن أعظم نصيحة له هي :

«اكتشف بهجة احتضان التنوع . حين يصبح الناس أكثر انفتاحاً على ما هو غريب ، وغير معتاد ، ومتطرف ، وعلى «الآخر» ، سنصبح أكثر تعاضداً كنوع واحد . حالياً يتم التلاعب بقدرتنا على القيام بذلك ، وينظر للاختلاف كمنبع للشر بدل البهجة والتطور ؛ لذا علينا استعادة الفوائد العميقة في إيجاد البهجة في اختلافنا الجماعي ، وليس الخوف» .

وكانت أهم نصيحة سمعتها على الإطلاق .

اكتشف بهجة
احتضان التنوع . حين
يصبح الناس أكثر
انفتاحاً على ما هو غريب ،
وغير معتاد ،
ومتطرف ، وعلى «الآخر» ،
سنصبح أكثر تعاضداً
كنوع واحد . حالياً
يتم التلاعب
بقدرتنا على القيام بذلك ،

وينظر للاختلاف

كمنبع للشر

بدل البهجة والتطور ؛

لذا علينا استعادة

الفوائد العميقة

في إيجاد البهجة في اختلافنا

الجماعي ،

وليس الخوف» .

هاري بيلافونت



السير ديفيد آتينبارا النادر

كل ما يمكنني سماعه هي أصوات الطبيعة . الهواء مليء بنقيق غامض ، وصياح وصفير غريب ، ودقات وطقطقات . وفي تتابع سريع ، مرّ من أمامي ضفدع غاني عملاق ، وسلحفاة مدغشقرية ، وفهد الثلوج الباكستاني . ثم التقت عيناي بعيني محارب بابوا غينيا الجديدة . ابتسم لي ابتسامة ودية وتقدم نحوي ، ماداً يده بتحية تقليدية . وفكرت ، هذا ليس سيئاً بالنسبة لمساء ثلاثاء غرب لندن .

في الحقيقة ، كانت الأصوات مسجلة والحيوانات على شريط فيلم ، لكن المحارب كان حقيقياً جداً ، وكان مستمتعاً برحلته الأولى إلى لندن وأول شراب جنّ له على الإطلاق . نحن في حفل جوائز وايتلي للطبيعة ، وهو بمثابة حفل أوسكار لحماة الطبيعة . كان مكان إقامة الحدث هو الجمعية الجغرافية الملكية ، وهو اختيار مناسب بالنظر إلى الأصول النائية لمرشحي الليلة ، وقد كرس كل منهم حياته للدفاع عن الأنواع المهددة في وطنه . حتى أنّ الرجل الغاني الذي يدافع عن الضفادع العملاقة قد تعلم أيضاً محاكاة أصواتها عند التزاوج ، وراح يفعل ذلك بصوت عالٍ أثناء استلام جائزته . ما جعل خطاب استلامه لا يُنسى .

وبينما دارت السهرة حول الاحتفال بحماة البيئة هؤلاء ومشاريعهم ، كان أكثر ما لفت الانتباه الليلة هو ضيف الشرف وعالم الطبيعة الأكثر تقديراً في العالم السير ديفيد آتينبارا . كان

يرتدي بدلة من كتان مجعدة بلون القشدة، ينظر إلى الجميع كشخص عاد لتوه من رحلات غريبة، والذي هو صحيح بالتأكيد. وقد حضر للحدث لدعم حماة البيئة ولا يرغب في أن تسلط عليه أي أضواء. وعلى غرار مواضيعه الوثائقية، بدا مرتاحاً بالاختباء وسط العشب الطويل والبقاء بين الجمهور، متجنباً بذلك المنصة.

عند الحديث معه على انفراد، ستجد أنه ساحر الجماهير والرجل المتواضع الذي كنت تتخيله. وقد أخبرني أنّه يمنح كل سنة من وقته لهذه الجوائز، بما في ذلك رواية كل أفلام مشروع المحافظة على البيئة، ذلك أن «*السكان المحليين بامتلاكهم معرفة محلية وفائدة راسخة*» يقومون بأفضل أعمال الحفاظ على البيئة «*ومن المهم أكثر من أي وقت مضى دعم هؤلاء الذين يحمون الكوكب*». ولا يخفى على أحد أنّ القاعة مليئة بأشخاص ألهمتهم الأفلام الوثائقية التي أنجزها ديفيد للقيام بهذا. إن تأثيره عالمي، حيث ينسب الرئيس أوباما الفضل للسير ديفيد في إيقاظ افتتانه بعالم الطبيعة حين كان صبياً، وقد استدعى السير ديفيد إلى البيت الأبيض ليستشيره حول حماية البيئة ويحقق طموح الطفولة في أن يقضي وقتاً مع القائد العام للطبيعة.

ووفقاً للسير ديفيد، فإن انتهاكات الإنسان المتصاعدة على بيئتنا الطبيعية والمطالب المتزايدة، بشكل غير مسبوق، التي نضعها على البيئة قد ازدادت سوءاً على مدى سنواته الستين من صناعة الأفلام الوثائقية. ولديه رؤية واضحة حول السبب الرئيسي للمسألة: «*ليس هناك مشكلة رئيسية تواجه كوكبنا لن يكون من الأسهل حلها مع عدد قليل من الناس*».

كما شدّد على أهمية تقدير ما يحيط بنا: ليس فقط تاريخنا

الطبيعي ، رغم أن هذا ذو أهمية رئيسيّة بالطبع ، ولكن أيضاً فنّنا ، وكذلك غيرنا من الناس . ويوصي باكتساب ما أطلق عليه «*عقلية المستكشف*» ، مبتهجين ومتذوقين بذلك كل مباهج الحياة في رحلتنا خلالها . وبينما تفعل ذلك ستنتبه إلى «*أنها فكرة جيدة أن تخلق أكثر مما تستهلك*» .

هناك أيضاً شيء من الخبث الصبياني لديه . فحين سألته عن أفضل نصيحة يقدمها ، تظاهر بالجهل وقال إنه لم يكن قادراً يوماً على التفكير في أي شيء بارع ليقوله ، ثم غمز . وحين طلبت مرة ثانية نصيحته الأثمن ، استمر في سياق ما كان يقوله حول تقدير معجزة ما تقدمه الحياة على الأرض ، ويتناسب هذا تماماً مع السحر اللانهائي الذي يعرضه كل ثانية في أفلامه .

ولا أحد يفعل هذا أفضل من السير ديفيد .

«لم يسبق أن قابلت طفلاً
ليس مفتوناً
بعالمنا الطبيعي ،
وبمملكة الحيوان والعجائب التي تنطوي عليها .
وفقط حين نكبر
نفقد ذلك الحس

بالدهشة . لكنّني أظن
أنّنا سنكون أفضل
لو حافظنا عليه ؛ لذا
فإن نصيحتي هي ألاّ تفقد هذا أبداً ،
وافعل ما بوسعك
للحفاظ على حس الافتتان
بعالمنا الطبيعي حيّاً داخلك» .

السير ديفيد آتينبارا



أن تتثمل مع السيدة جودي دانش

لم يسبق أن شعرت بالسوء في صباح يوم صيفي جميل . إنّها الجمعة ، ٢٤ يونيو ٢٠١٦ ، وقد صوتت المملكة المتحدة لتوّها على الخروج من الاتحاد الأوروبي . ظللت مستيقظاً طوال الليل أشاهد النتائج مع فريقِ الحملة الذي كنت جزءً منه خلال الأشهر الست الأخيرة ، مدركاً مع شعور عميق بعدم الارتياح أنّ البلد قد اختار أن يهدم الجسور ويبني الجدران بدل منها .

كانت هذه الأفكار خلفيتي الذهنية بينما كنت أقود لزيارة السيدة جودي دانش في منزلها في عمق مدينة سوري الخضراء . في طريقي ، مررت على العديد من الملصقات الحمراء للتصويت بالخروج ، مذكرة إياي أن نصف سكان المملكة على الأقل سيستيقظون سعداء هذا الصباح . لم تكن السيدة جودي دانش واحدة منهم .

وجدتها في الحديقة . كانت ترتدي فستاناً أبيض تحت ضوء الشمس ، تجلس بالقرب من صديق قديم عند طاولة وسط حديقتها ، تحيط بها أشجار موسمية على نحو مطمئن وأسوارِ منزلها الفخم المتداعية . سألتني عن حالي ، فأهملت أربعاً وثلاثين عاماً من بريطانيتي المتأصلة وأجبت بصدق ، موضحاً مدى حزني بسبب ما حدث . فردت : «*أنا أيضاً ، لا يوجد شيء آخر لفعله ، سوى أن أتثمل*»[1] .

«تتثملين»؟ سألتها ، وأنا مرتبك من اللفظة غير المألوفة رغم أنها تبدو محترمة . «*أجل ، أتثمل ، إنّها لفظة أيرلندية قديمة . لقد كانت والدتي من دبلن . ومعناها أن تكون خمورًا ، لكنها أكثر من ذلك*» . أظن أنني كنت مخطئاً حول الجزء المحترم من اللفظة .

(١) وردت اللفظة في النص الأصلي بالأيرلندية . (المترجم)

لم يسبق وأن التقينا من قبل، لكن شعوراً مشتركاً بالأسى ربطنا معاً. اجتمعنا حول الطاولة، نرثي بالتناوب فقدان الهوية والتسامح الذي جاءت به نتيجة الاستفتاء. كان كل منا مستاء بقدر الآخر، وانغمسنا معاً لفترة في حزننا قبل أن ننسحب مرة أخرى نحو النور.

انتهى بي الأمر بقضاء ثلاث ساعات مع السيدة جودي. إنّها كل ما يمكنك أن تتخيلها عليه، عميقة التفكير، صريحة، دافئة، مرحة، لطيفة، إنّها روح العزاء متجسدة في شخص. وعلى مدار حديثنا انتقلنا من احتساء القهوة المثلجة إلى شرب الشامبانيا، لكنني لم أغادر ثملاً، بفضل السيدة جودي، ولا أشعر بحاجة لأن أكون كذلك أبداً.

ومع ذلك، فقد غادرت مخموراً بالكوكتيل الشهي الذي قدمته من النصائح، والنوادر والشهادات. وكانت القصة المفضلة لدي من بين ما روته هي عندما تلقت قبل ثماني سنوات مراجعة سيئة من الناقد المسرحي شارلز سبنسر. «*إنه لم ينتقد فقط أدائي، بل أدرج أشياء أخرى كان يعتقد أنني لم أقم بها بشكل جيّد. وقد أثار هذا استيائي. وفي أحد الليالي، استيقظت وفكرت، سأكتب له وأزيحه من صدري. فقمت بذلك، وكتبت: «عزيزي شارلز سبنسر، لقد كنت معجبة بك جدّاً، والآن أعتقد أنك مجرد شخص قذر»، وأرسلتها إليه*».

وككل القصص الجيدة، هناك نصف ثان. فمع بداية هذه السنة، كانت السيدة جودي في حفل جوائز النقاد. «*شعرت بأحدهم يربت على كتفي وقال: «اسمي تشارلز سبنسر، وأنا ألتمس عفوك»، فقلت: «إذاً يمكنك أن تقبل حذائي»، وقد فعل، حيث انحنى إلى الأرض وقبّل حذائي، ثم قام وهتف: «الآن أشعر بالتحرر». لكنني قلت: «لم أقل أنني قد سامحتك»*،

وسرت مبتعدة» . ثم صمتت لخلق تأثير درامي قبل أن تواصل : «في اليوم التالي كتبت له وقلت ، بالتأكيد لقد سامحتك . لكن الرد كان منقحاً جدّاً» .

ومن الطريف ، أنّها لم تكن تنوي أبداً أن تكون موضوعاً لمراجعات التمثيل . كانت خطتها أن تكون مصممة مسرحية وكان هذا ما درسته . «لطالما أراد أخي الأكبر أن يصبح ممثلاً والتقطت أنا هذه العدوى منه كالحصبة» . ويعود الفضل لأخيها الآخر الذي عرفها على شكسبير . «كنت في السادسة من عمري حين ذهبت لرؤيته يؤدي دور دونكان في مسرحية مكبث ، وظهر على المسرح وقال : «أي رجل حقير هو ذا»؟ وظننت أن الأمر هو هذا ، لقد قام بالشتم ، وقد سُمح له بالوقوف هناك والشتم . بعد ذلك رحت أردّد : «أي رجل حقير هو ذا»؟ طوال الوقت ، وأنا أعلم أنني لن أتعرض للعقاب بسبب ذلك» .

أدّى حديثها عن شكسبير إلى حدوث شيء مميز ، بالنسبة لي أنا على الأقل . أسندت السيدة جودي رأسها إلى الخلف وراحت تتلو بطريقة تحبس الأنفاس مقاطع لشكسبير : «لقد حدث مرة في ذات يوم بارد عاصف ، تلطم فيه أمواج التبر الصاخبة شطآنه ، أن قال القيصر لي : «إنّي أتحداك يا كاسيوس أنْ تلقي بنفسك معي في خضم هذا . . .»(١) وفي لحظة انتقلتْ إلى شواطئ تبر ، آخذة إياي معها . فحظيت بأداء خاص لشكسبير من طرف جودي دانش بينما أنا أحتسي الشمبانيا التي قدمتها لي . في أحلامك ، تشارلز سبنسر!

لقد نصحتني بأهمية امتلاك الشغف ، وكان أكبر شغفها بلا ريب هو شكسبير . وبالنظر إلى الطريقة التي تؤديه بها ، أو تتنفسه بعبارة أخرى ، فإنّه لو كان على قيد الحياة سيكون شعوره متبادلاً حين اتجهت نحو التمثيل ، كان شكسبير هو كل ما تريد تقديمه . وكان دورها الأول في مسرح أولد فيك هو شخصية أوفيليا ، الأمر

الذي أثار جدلاً ، إذ لم يسبق لشخص غير معروف أن قدم دوراً رئيسيًا في أول تجربة له ، لكنّها أدت الدور ، بكل تأكيد ، ولم تتوقف عن هذا منذ ذلك الحين .

ورغم ذلك فقد فاجأتني بقولها أنّ أعصابها تشتد الآن أكثر من ذي قبل . «*كلما عرفت أكثر ، كلما اهتزت ثقتك أكثر . ففي المرة الأولى أنت لا تدرك المخاطر . لكن لو لم تكن أعصابي تشتد ؛ لكنت قلقت من ذلك ، فهي التي تولد الطاقة لدي . إنّها بمثابة الوقود*» .

قالت إنّ الأداء المسرحي لا يزال يترك مشاعرها عارية ومكشوفة . «*أنا أشبه بذلك الضفدع الذي شاهدته في صف الأحياء في المدرسة ، حيث مُد في الوسط وثُبّت بمشابك ، مستعداً للتشريح . وكل ما أرغب به هو أن يأتي أحدهم ليعانقني ويكون إيجابيّاً ، لكن الناس يطرقون الباب ويدخلون ليقولوا أشياء من قبيل : «لقد كانت أسوأ رحلة من مدينة غلوستر»*» .

إنه مثال بسيط لرؤيتها الكبرى ، وهي أن الحياة أفضل إن بقيت إيجابياً .

«إن كنت آمر بأي شيء ، أقول في نفسي ، حباً بالله ، انظري إلى إيجابيات الحياة . كون المرء سلبياً يؤدي إلى تآكل كل شيء بالكامل . إن حدث شيء سيء ، كنت دائماً أقول : اشطبيه وواصلي ، ثمّ أعود إلى مساري . لا خير في أن تكون سلبياً ، أنا لا أؤمن بالسلبية» .

ثم أضافت :

«باستثناء ما يتعلق بالاستفتاء» .

ولهذا سأشرب .

---

(١) «يوليوس قيصر» لويليام شكسبير ، ترجمة حسين أحمد أمين ، الفصل الأول ، المشهد الثاني ، ص ٣٠ ، دار الشروق (المترجم)

«انظري إلى إيجابيات
الحياة . كون المرء سلبياً
يؤدي إلى تآكل
كل شيء بالكامل . إن حدث شيء
سيء ، كنت دائماً أقول : اشطبيه وواصلي ،
ثمَ أعود إلى مساري» .

السيدة جودي دانش



المزاح العسكري مع العريف أندي ريد

هل ما يزال كنز عائلتي سليماً؟ كان هذا سؤال العريف أندي ريد الأول حين استعاد وعيه بعد وقوفه على عبوة ناسفة لطالبان، والتي نسفت كلا ساقيه وذراعه، قبل عشرة أيام من انتهاء نوبته في أفغانستان كجندي بريطاني من المشاة. لحسن الحظ بالنسبة لأندي، ولزوجته المستقبلية كلير، والآن طفلهما ويليام، فقد كان الجواب نعم، لا لبس فيه.

أخبرني بهذا حين التقيت به في منزله. وقد أقلني بكرم من المحطة، متجولاً بي في سيارته جيب رباعية الدفع، بنوافذ مظلّلة، ومكابح يدوية، معدّة خصيصاً له. إنّها ليست سيارة معاق نمطية، وأندي ليس قصةً نمطية.

عند عودته إلى مطبخه، وبينما كان يحضر برشاقة الشاي بيد واحدة لكلينا، راح أندي يروي لي حين جاء والداه للمرة الأولى لرؤيته في المستشفى بعد أن أجلي من أفغانستان، ووجدا ابنهما في السرير، وقد فقد كلتا ساقيه وذراعه، وكانت ذراعه المتبقية في الجبيرة، فقام والده، الذي لم يعرف ما عليه فعله، بالتربيت على رأس أندي. «حينها قلت له: «*أنا لست كلباً لعيناً يا أبي*»، وبمجرد أن قلت هذا انخرطنا جميعاً في الضحك، وعرفنا حينها أنّ الأمور ستكون على ما يرام».

بالنسبة لأندي ، فإن هذه النكات هي بمثابة «مزاح عسكري» ، حسٌ فكاهي يستخدمه الجنود لتلطيف الجو وإضفاء شيء من السواء على الأوضاع التي غالباً ما تكون أيّ شيء عدا هذا . «بعد أربع أسابيع من الحادث ، ذهبت إلى استعراض إحياء الذكرى ، وكان الجو بارداً جدّاً ، فقلت للشباب : «يا له ن برد لعين ، بالكاد يمكنني أن أشعر بأصابع قدمي» . وجعل هذا الجميع ينهارون من الضحك وأزال كل حرج» .

وآخر شيء قد يرغب به أندي هو أن يرى الناس حريصين في تعاملهم معه أو يشعرون بالأسى تجاهه . «لقد انضممت إلى الجيش وقبلت تحمل مسؤولية كل ما سيحدث لي ، لقد كنت أدرك المخاطر . وهذا ساعدني على تجاوز الأمر بسهولة أكبر . لن تستطيع التقدم بلوم أحد كل مرة ، فهذا سيجعلك مكتئباً وغاضباً وعنيفاً» . إنه أسلوب تفكير يكشف عن مرونة وعزيمة جعلت من أندي جندياً نموذجياً .

وبدلاً من أن يكون عنيفاً ، يحتفل أندي كل سنة بذكرى الانفجار . ويطلق عليه «عيد نجاة سعيد» . «حين استيقظت في المستشفى أدركت أنني لم أكن ضحية ، بل كنت ناجياً . ستة من الجنود من فرقتي قضوا نحبهم في انفجار عبوة ناسفة واحدة . وكان عليّ مغادرة المستشفى بعد أسبوعين والعودة إلى المنزل ، في حين أنهم لم يعودوا» . وقال إنّ عليه أن يكرم زملاءه الجنود الذين لم يحالفهم الحظ بالعودة وذلك من خلال عيش حياته على أكمل وجه ، بدل الشعور بالأسى حيال نفسه .

ومن النصائح التي يقدمها للأشخاص الذين يواجهون تحدّيات تغير الحياة هذه هي أن يتذكروا أنّ «*الجسد سيحقق ما يؤمن به العقل*» . وفي كل «*عيد نجاة*» يضع لنفسه هدفاً للقيام بتحد جسدي ليثبت قدرته على القيام بذلك . وبهذه الطريقة قام بتسلق جبل سناودون ، وركض في سباق عشر كيلومترات ، وقام بجولة بالدراجة عبر معظم بريطانيا ، وقام بالقفز مرتين . فكل الأشياء التي كان يراها الناس بعيدة المنال ، جعلها أندي حقيقية .

وبدت روح التقدم هذه واضحة في الملصق الضخم المعلق أعلى جدار مطبخه . والذي يحمل صورة ونستون تشرشل وقد دونت عليها بالبنط العريض إحدى مقولاته : «*إذا كنت تمر عبر الجحيم ، فواصل التقدم*» . كما يوضح الملصق أيضاً أن رحلة أندي كانت صعبة للغاية . حيث قال : إنّ عجزه عن الركض مع ابنه الصغير قد أثر فيه بعمق ، وقد يكون الألم رهيباً في بعض الأحيان ، لكنه عازم على موقفه في مواصلة التقدم . «*لن يستفيد ابني الصغير من أن يكون لديه أب ماكث بالبيت ، أليس كذلك؟*»

وتحدث عن حياته الجديدة بعد الجيش . إنّها حياة مفعمة بالأحداث ، فهو كاتب ناجح ، صدر له كتاب يروي فيه قصته وآخر في طريقه للنشر . كما فتح مقهى وحانة في بلدته ، وتزوج ، وهو مطلوب كمتحدث عام حول التغلب على المحن ، والأهم بالنسبة لأندي ، هو أن بإمكانه أن يكون بالقرب من ابنه أكثر ، الأمر الذي لم يكن متاحاً له حين كان في الجيش .

إنها هذه الحياة الجديدة وهذه الإنجازات هي ما تضع سياقاً لنصيحته الأهم :

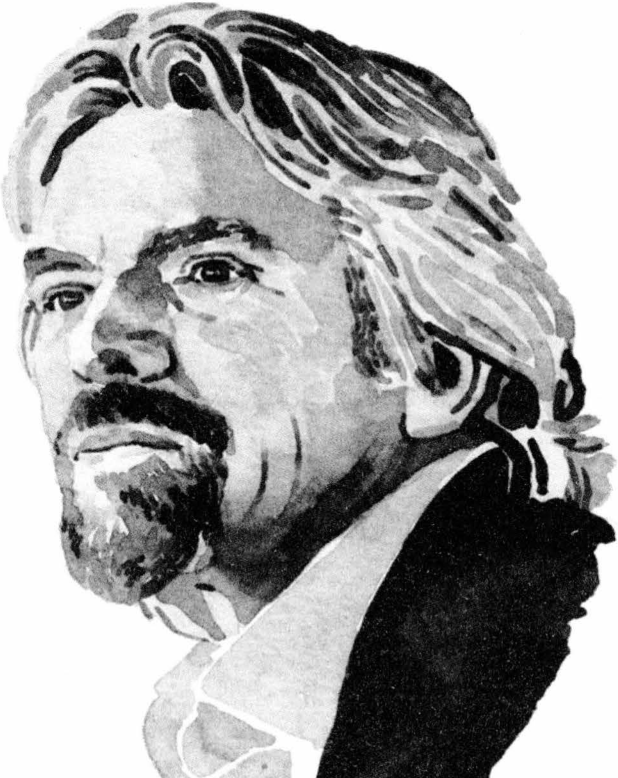
«في نهاية اليوم ، أعتقد أن أهم شيء هو عدم التلفت إلى ما حدث . وبدل ذلك انظر قدماً لما يمكنك القيام به . فقط تقدّم» .

إنه تجسيد مثالي ، حي ، يتنفس ويمشي ، لهذه الفلسفة .

ويؤكد آخر تعليق له على فائدة منهجه بأكثر الأساليب رسوخاً . «كما تعلم ، إن قال لي أحدهم غداً : «أندي ، هل تريد استعادة ساقيك والحياة التي كنت تحياها سابقًا؟» فسأقول : «لا ، شكراً ، أنا سعيد كما أنا الآن»» .

«أهم شيء
هو عدم التلفت
إلى ما حدث . وبدل ذلك انظر
قدماً لما يمكنك
القيام به . فقط تقدّم»

العريف أندي ريد



السير ريتشارد برانسون، رجل الجزيرة

التقيت بالسير ريتشارد برانسون في البداية في منزل عتيق بأكسفورد شير، أين كان يقيم حفلة بحجم مهرجان، في الساحات المجاورة، لطاقمه في شركة فيرجن أتلانتيك. وعلى النقيض من غاتسبي العظيم، فقد كان يقف عند الباب، يحيي كل شخص يأتي، كل فرد من ١٥٠٠٠ المدعوين. وعلى مدى أربع ساعات ظل يصافح الأيادي، ويقبل الوجنات، ويرحب بالجميع - تجسيداً لأحد مبادئه في الإدارة: إذا اعتنيت بأناسك، فسيعتنون بك.

في هذه الأيام، يعتبر المكان الذي يحلم موظفو فيرجن بمقابلة رئيسهم فيه هو منزله الرسمي في نيكر، الجزيرة الخاصة بعائلته، والتي تحضنها مياه بحر الكاريبي الزرقاء. ففي كل سنة، تتم دعوة بعض موظفي فيرجن المحظوظين إلى هناك. وحين يتعلق الأمر بالحوافز، فهذا يتفوق بكثير على تقديم الشاي والقهوة المجانيّين.

أنا هنا على الجزيرة لمدة أسبوع، ليس كفرد من الطاقم، بل كصديق للعائلة (وأنا ممتن جدّاً لهذا). ويمكنني أن أحلف أنّ الذي صاغ عبارة «*السفر أهم من الوصول*» لم يزر نيكر. فحتى الوصول إلى هنا ملحمي. حيث تُقلّك طائرة مروحية نحو رصيف عار قريب، ثم تستقل واحداً من الزوارق السريعة، مع طاقم ودي، حيثُ الأصوات الصاخبة والشراب البارد، وينزلق الزورق فوق الماء اللازوردي برشاقة بين الجزيرتين إلى أن يصل إلى آخر واحدة في الأرخبيل، نيكر.

حين تراها، ستدرك لما أبقى الرب نيكر للآخر: هلالان

مثاليان من الشاطئ أبيض اللون ، المحفوف بالنخيل ، تحيطان بجانبي الرأس الأخضر ، أين يستقر المنزل الرئيسي الفخم . وعلى الرغم من أن الصور على الإنترنت تمنحك فكرة على الجاكوزي بلون الصخر الطبيعي المطل على الشاطئ والمسابح اللانهائية المريحة ، المفتوحة على البحار الهادئة ، فإن ما لا تتوقعه هو الجمال الطاغي للحياة البرية ، السماء المشوشة بطيور ساطعة من الجنة ، صياح حيوانات الليمور للتّزاوج ، وثلاثمائة طائر فلامنغو وردي في البحيرة الداخلية العميقة . أقول هذا الكلام باعتباري شخصاً متطلباً ، وصعب الإرضاء . إنّ المكان مثالي حرفياً .

بالإضافة إلى ذلك ، فإنها تتيح فرصة ملاحظة واحد من أكثر رواد الأعمال تقديراً عن قرب في مسكنه الطبيعي . وإن كان هناك سلوك ، عدا كرم ودماثة أخلاق عملاق الأعمال البارز هذا ، المنحدر من سلالة نادرة ، فهو التفاني التام للرجل لينال أقصى ما يمكن من الحياة ، معتبراً كل ساعة ثمينة ، هبةً يجب استغلالها .

وإن كنت لا تصدقني ، فهذا روتينه اليومي في نيكر :

على السادسة صباحاً : لعب التنس مع مدربة تنس حسناء من ميامي .

على الساعة الثامنة : ممارسة اليوغا على سطح المنزل مع مدرب مقيم .

على الثامنة والنصف : تناول الفطور مع زوجته ، وأبنائه ، وأحفاده وأصدقائه .

على الساعة التاسعة : ممارسة ركوب الأمواج حول الجزيرة الأخرى التي يمتلكها (لقد اشترى الآن الجزيرة المقابلة لنيكر ؛ لأن جزيرة واحدة لم تكن كافية أبداً) مع ابنه وصهره .

على الساعة العاشرة : الاتجاه نحو مكتبه الخاص مع مساعد شخصي مقيم وأستوديو وسائط بث إذاعي ذو جودة لدعم عدد لا يحصى من أعمال فيرجن ومبادراتها الخيرية عبر العالم .

على الساعة الواحدة : النزول من المنزل الرئيسي إلى الشاطئ مع العائلة والأصدقاء .

على الساعة الثانية : لعب الشطرنج جانب المسبح مع أي أحد يشعر أنّه شجاع بما يكفي لمواجهته (الفائز دائماً : برانسون) .

على الساعة الثالثة : العودة بعربة الغولف إلى المنزل الرئيسي للعمل .

على الساعة الرابعة : جولة ثانية من التنس مع المدربة الحسناء .

على الخامسة والنصف : إطعام الليمور .

على السادسة : إقامة دوري نيكر للتنس مع ضيوف آخرين (الفائز : برانسون) .

على الساعة الثامنة : تناول العشاء بجانب المسبح .

على الساعة التاسعة : حفلة في المنزل الرئيسي .

ينجز كل هذا بحماس معدٍ وهو يرتدي نعلاً . كما لو أنّه قد استيقظ ذلك الصباح ، ولدهشته وابتهاجه ، وجد نفسه في هذه الجنة المذهلة ، ناسياً أنّه هو من أنفق ثلاثين عاماً من عمره في صنعها .

وخلال الثلاثين عاماً هذه ، أعاد تعريف طبيعة الأعمال . فقبل برانسون ، كانت الصورة النمطية لرائد الأعمال في المملكة المتحدة هي صورة ديل بوي المراوغ المحتال ، لكن برانسون غيّر هذا ، وجعل من تأسيس عمل أمراً يبدو مثيراً وممتعاً . والأهم من كل ذلك ، أمراً ممكناً . ويعطي نجاحه ، وحياته ، ومنهجه في العمل ضماناً لطموحات

رواد الأعمال، ويمنحهم رخصة للحلم، وللتفكير في «ماذا لو».

أمسكت به في أحد بارات الشاطئ، وعند قدميه لوح الركمجة الذي اعتاد حمله معه إلى هناك. كان يتحدث مع الساقية، حيث علم أنّها ستعود إلى المملكة المتحدة لكنه كان قلقاً من أنّها قد تفتقر إلى العمل هناك؛ لذا بدأ بإجراء مكالمات، عارضاً مساعدته في إيجاد عمل لها. وذكرني هذا بفترة كنت فيها حكماً إلى جانبه في إحدى مسابقات رواد الأعمال الشباب. وبينما كنا نتجادل حول من يجب أن يفوز، كان هو حريصاً على توفير المزيد من الأموال حتى يحظى جميع المشاركين بمبلغ ما. إنّ الرجل فعّال للخير بلا كلل. ولطالما كان جوابه بالإيجاب، حتى أنهم يطلقون عليه في منظمته الخاصة لقب «رأسُ نَعَم»، وعبارته الشهيرة هي: «*تبّاً، لنفعل ذلك*».

لكن حين سألته عن أكثر نصيحة قيّمة لديه، لم تكن لها علاقة بالعمل والمشاريع، بل كانت حول الحياة وكيفية عيشها. ربما هذه الخلفية الشبيهة بجنة عدن التي نحن فيها، أو على الأرجح لأنه يتبع نصيحته الخاصة؛ هو ما يجعلنا الآن في هذه الجزيرة ذات المباهج الدنيوية.

«*يتحدث الناس عن العمل واللعب وكأنهما شيئان منفصلان، يعوض أحدهما الآخر، لكن كلاهما هو الحياة، وكلاهما قيّم. لا تضيع أيّاً منهما في القيام بشيء لا ترغب به. وقم بكل ذلك مع أشخاص تحبهم*».

وبينما كان يقول هذا، كان بإمكاني أن أرى على بعد عائلته، وأصدقاءه ومساعديه الشخصيين ينزلون واحداً تلو الآخر، من الجزيرة الرئيسية للالتحاق به في شاطئه الخاص لتناول الغداء تحت الشمس. وفكرت في نفسي للمرة المائة، هذا الرجل يعرف كيف يعيش.

«العمل واللعب . . . كلاهما هو الحياة ،
وكلاهما قيّم . لا
تضيّع أيّاً منهما في القيام
بشيء لا
ترغب به . وقم بكل
ذلك مع أشخاص تحبهم» .

سير ريتشارد برانسون



كاتي بيبر، العارضة المثاليّة

إنّها ظهيرة مشمسة في لندن وأنا في حانة أنيقة أحتسي شراب الجن مع العارضة الحسناء، والمقدمة التلفزيونية، والمحسنة، والكاتبة صاحبة أعلى مبيعات كاتي بيبر. إنّها حياة صعبة.

أثناء تناول الشراب، تمكنت من معرفة العديد من الأشياء المهمة حول رفيقتي في الشرب: آلاف الناس الذين ساعدتهم في أعمالها الخيرية، إنتاجها الغزير ككاتبة، حيث نشرت خمسة كتب في ثماني سنوات فقط، قدرتها على التوفيق بين العديد من التزامات العمل ومسؤوليتها كأمّ. وأبرز ما في الأمر، هو منهجها في الحياة منذ اليوم الذي تعرضت فيه للاغتصاب، قبل ثماني سنوات، من صديقها السابق ورمى على وجهها حمض الكبريت.

كانت هجمة مقصودٌ منها ترك أكبر أذى جسدي ممكن وقد حققت هذا القصد بشكل فظيع. فبعد أن استفاقت من غيبوبة دامت اثنا عشر يوماً شرح لها طبيبها الوضع، والذي كان باختصار: أنت عمياء من كلتا عينيك، لم يتبق لك وجه، تصارعين للتنفس لأنك ابتلعت مريئك، والشرطة هنا لأخذ صور لك في حال ما إذا لم تبقَي على قيد الحياة إلى غاية المحاكمة.

كان ردها المباشر بسيطاً ومفهوماً: «*فكرت في نفسي حينها: سأفعل كل ما أحتاج فعله لأخرج من هنا ثم أعود بهدوء للمنزل، وآخذ جرعة زائدة وأقتل نفسي*». *مرت الأسابيع التالية ببطء: كنت طريحة الفراش، أعاني من الألم، غير قادرة على الحركة، مع*

ممرضة بجواري أربعاً وعشرين ساعة . كانت كاتي تخطط بصمت لانتحارها . لكن في إحدى الليالي حين كانت تفكر في كيفية القيام بذلك ، «شيء ما ، في مكان ما قال لي : «لا تقتلي نفسك . لا يمكنني إخبارك لماذا ، لكن هناك سبب أكبر . عليك أن تظلي على قيد الحياة» . في تلك اللحظة ، قالت إنها قامت بما أصبح أهم قرار في حياتها : اختارت أن تكون ناجية ، لا ضحية» .

واشتد عزمها عندما حان وقت الخروج من المستشفى . وقد أثنت على الرعاية الرائعة التي تلقتها من الممرضات والأطباء ، لكن حين بدأ الناس يتحدثون عن فوائد الإعاقة والمساكن الاجتماعية ، أدركت حينها مدى انخفاض التوقعات حول مصير حياتها . «لم يقل أحد أنّه ما يزال بإمكان امرأة مشوهة أن تتزوج ، أن تحظى بأطفال ، أن تكون مثيرة ، أن تكون رئيسة تنفيذية ، أو رائدة في الموضة ؛ لذا قررت الخروج من هناك وتحقيق كل ما أردته . وبقدر ما كان الجميع قلقين ، لم يكن لدي ما أخسره» .

كان جزءاً من وصفتها في بناء حياتها الجديدة هو تقبل ما حدث . «قلت لنفسي : لن أشبه بعد الآن نفسي القديمة أو لسيندي كراوفورد ، لكن ربما بإمكاني أن أشكل نوعي الخاص من الجمال» . أما الجزء الآخر فكان مرونتها التامة . «إذا ما نظرت من حولك في كل ما تم تحقيقه ، فإنه قد أنجز في الأغلب من طرف أشخاص قيل لهم أنّه لا أمل لديهم ، لكنهم واصلوا كفاحهم رغم ذلك . وقد استلهمت من هذا» . وبالتأكيد كان هناك قدر عظيم من الشجاعة ، لتحمل ما يزيد عن أربعين عملية جراحية وترقيع للجلد ، وتحمّل ارتداء قناع لثلاث وعشرين ساعة في اليوم ، لمواجهة العالم الخارجي لأول مرة . «في الأيام الأولى لم أكن أرغب في

مغادرة المنزل ، كنت أعاني حقّاً من رهاب الأماكن العامة ، كانت أوقات عصيبة . لكن في مرحلة ظللت أشاهد فيها برنامج «الووز وومن» لمدة عام ، وأنا أرتدي بيجاما ، وشعرت أنني بحاجة للخروج من هنا» .

وكامرأة عزباء تأمل في الزواج وتأسيس أسرة ، كان هناك أيضاً عالم المواعدة لمواجهته . «كنت أعيش في شقة فردية في شيسويك بقناعٍ وجه بلاستيكي أحاول إيجاد شخص أراسله ، وقلت لنفسي حسناً ، رغم كل إيجابيتي ، إلاّ أنّ الأمر صعب للغاية ، إذ لم يكن أحد ليرغب بي» . لكنها لم تكن لتسمح لعجزها بالوقوف في وجه ما تريده- أن تكون أمّاً . «بدأت أدخر المال جانباً لأقوم بتجميد بويضاتي وبدأت أبحث عن طرق تبني طفل لأنّه من جهتي لم يكن شيء ليمنعني من أن أصبح أمّا» . في النهاية استمرت في المواعدة وعثرت أخيراً على شاب ، ووقعت في الحب ، وتزوجت وأنجبت . تثبت ملامحها الساحرة على غلاف مجلة «هللو!» ذلك .

تقول كاتي بيبر أن الناس يفترضون على نحو نمطي أن العجز يضعك في وضع غير موات ، لكنها لم تكن مستعدة لقبول هذا . «افترض الناس أن حياتي قد انتهت ، لكنني لم أكن أظن ذلك . على الورق لا بد أن أحظى بفرص أقل وأن أكون تعيسة . يجب أن أكون مكتئبة سريرياً ومدمنة على الكحول . لكن لم يسبق وأن كنت أكثر إيجابية ، وجذبت العديد من الأشخاص الإيجابيين والناجحين إلى حياتي» .

تلك الأشياء التي فكر الناس تلقائياً أنها لم تعد تنطبق عليها : الزواج ، الأمومة ، العودة لعرض الأزياء ، إدارة مؤسسة خيرية ، ومساعدة الآلاف من الأشخاص الذين تعرضوا للحرق ، لقد

حققت كل أحلامها وأكثر . وتنطق بصيرتها التي اكتسبتها من هذه الانجازات وخبرتها على مدى الثماني سنوات الأخيرة بأفضل نصيحة لديها :

«لقد علمني كل هذا الأمر أن الحواجز التي نضعها أمام أنفسنا غير موجودة . الحواجز الوحيدة الموجود هي في رؤوسنا . نحن نخلقها ، نغذيها ، ونختار أن نبقيها حية . لذا ، بإمكاننا أن نختار أيضاً تحطيمها . الثقة والسعادة ليستا حظاً أو شيئاً يمكن فقط لبقية الناس أن يحظوا به ، إنّها قرارات تتخذها وتنطوي على عمل جاد ، والتزام ، وإيمان بأنك تستحقها بالفعل ، ولا وجود لأي حواجز تمنع حصولك عليها . وإذا ما شعرت لسبب ما باليأس ، فعليك أن تتذكر أن الرب يبعث المعارك الأقسى لأقوى جنوده» .

«الحواجز الوحيدة
الموجودة هي في رؤوسنا . نحن
نخلقها ، نغذيها ،
ونختار أن نبقيها حية» .

كاتي بيبر



مارك بلومبرغ، خيرة رجال نيويورك

أحد أكثر الأشياء الرائعة المتعلقة بالأشخاص البارزين هي أنهم بمجرد أن يجتازوا الصعاب ويحققوا النجاح في مجال ما، فإنهم غالباً ما يتجهون للقيام بالشيء ذاته في مجال آخر مختلف تماماً.

مارك بلومبرغ هو النموذج المثالي لهذا.

في الثلاثينات من عمره، بدأ بلومبرغ من الصفر وكبر ليصبح صاحب شركة إعلام عالمية، وصار بذلك يحتل المرتبة الأربعين بين أغنى رجال العالم. كان هذا تقدماً رائعاً بحق. بعدها، اتجه نحو السياسة وأصبح العمدة الأكثر نجاحاً عبر كل العصور، على رأس عاصمة العالم، نيويورك، لثلاث عهدات لا نظير لها.

حين تلتقي به شخصياً، يتضح لك سريعاً أنّه التجلي البشري للمدينة التي يرأسها. فظ، مشغول، ولا ينام طويلاً.

كان معروفاً عنه أنّه يتحدث بسرعة، وهو بالفعل كذلك. لكنه رجل يحب أن تنجز الأمور في وقت مبكر. وبصفته عمدة، فقد تعهد بالتقليل من انبعاث الغازات الدفيئة في المدينة إلى ٣٠٪ بحلول عام ٢٠٣٠، لكنه بلغ ١٩ ٪ في غضون ست سنوات فقط. وأطلق مشروعاً لغرس مليون شجرة جديدة بحلول عام ٢٠١٧: وأتم المشروع سنتين قبل الموعد.

وعلى غرار المدينة، يعيد تشكيل نفسه باستمرار. ففي الأصل، كان مسجلاً ديمقراطياً، لكنه ترشح آنذاك لمنصب العمدة

كجمهوري ، مستخدماً ماله الخاص لتمويل حملته وبالتالي لم يكن مديناً لأحد . وبصفته جمهورياً ، فقد كان مؤيداً لحق الاختيار ، ولقانون السلاح ، ولإصلاحات الهجرة ، وكل الأمور التي لا يفترض بك كجمهوري أن تؤيدها . ثم حين ترشح لعهدة ثالثة كعمدة لمدينة نيويورك ، الأمر الذي لا يمكنك من الناحية التقنية فعله (لكن مجلس المدينة صوت لتغيير القواعد للسماح له بالترشح) ، وتقدم كمرشح حر ، وفاز .

ثمّ ، بعد هذه المسيرة السياسية ، انشغل بالأعمال الخيرية ، حيث تبرع بـ ١,٨ مليار دولار لأكثر من ٨٥٠ مؤسسة خيرية . وكرجل عصامي ذو قناعة راسخة بأهمية مساعدة الآخرين ، قام بتمويل عديد المشاريع من بناء مستشفى إلى معالجة التغيرات المناخية إلى التعليم .

باختصار ، إنه رجل لا يتوقف .

ما هي أفضل نصيحة يقدمها حول كيفية عيش حياة كاملة وناجحة ومشغولة كهذه؟

«حسناً ، لتصل إلى أي مكان ، عليك أن تعمل بجد ، وهذا يعني أنّ عليك أنْ تعمل في شيء تحبه . من ذا الذي سيرغب بعيش حياة يستيقظ فيها كل يوم للقيام بشيء لا يحبه؟ لكن الأهم من كل ذلك ، تأكد من أنك ستنهض حقاً وتقوم به . هناك دائماً شخص ما يمكنه القيام بما يمكنك القيام به ، لذا كن متأكداً أن تكون أول من يقوم به ، قبل أن يقوم به الآخر . عليك أن تستيقظ باكراً كل يوم لتبلغه» .

بكلمات أخرى ، يقول محافظ المدينة التي لا تنام أبداً :

«استيقظ»!

«هناك دائماً شخص ما
يمكنه القيام بما يمكنك
القيام به ، لذا كن
متأكداً أن تكون أول من يقوم به» .

مايك بلومبرغ



ديانا أثيل المخالفة للتقاليد

أنا في دار للسيدات المتقاعدات شمال لندن، وهي عبارة عن منزل فخم متهالك، في الشوارع الخلفية لهايغيت. ثمة دفء وألفة في هدوء الأروقة التي تجولت فيها بتردد، وأنا أتساءل خلف أي باب تسكن السيدة التي جئت اليوم لزيارتها. كان لديّ موعد مع صاحبة السبع والتسعين عاماً، ديانا أثيل، التي تعتبر من خيرة رؤساء التحرير في لندن على مدى خمسين عاماً من مسيرتها في النشر، حيث نشرت للجميع، من جاك كيرواك إلى فيليب روث، والآن، في التسعين من عمرها، أصبحت كاتبة حائزة على العديد من الجوائز. وبالنسبة لليوم على الأقل، فإنها ناقلة لنصيحة بارزة في العلاقات.

حاولت تفادي فضيحة الدخول دون سابق إنذار إلى غرفة إحدى السيدات المتقاعدات وبحثت عن فرد من الطاقم ليقودني إلى مكان إقامة ديانا المتواضع. ومنذ كلماتها الأولى، بدا جليّاً أنني مع شخص لم يعش حياة عادية، وليس لديه أي شيء عادي ليقوله. كان أول موضوع تطرقت إليه هو الجنس والخيانة - وهو أمر لا يتوقعه المرء حين يزور السيدات المحترمات في مساكن تقاعدهن[١]. استقريت في مقعدي. ستكون محادثة مثيرة. «إن

(١) من الواضح أن آراء ديانا أثيل لا تتناسب وقيم المجتمع الإنجليزي، فضلا عن مجتمعاتنا. لكن من باب الأمانة نقلنا النص كما هو. (المترجم)

كنت متزوجاً ، لا يمكنك أن تتوقع أن يكون الشخص وفيّاً طوال العمر . وإن فعلت ، تكون مجنوناً . لا أريد شخصاً يضاجع كل ما يراه ، لكن الخيانة تحدث ومن السخف أن ينهار الزواج بسببها» .

بينما قد لا يوافق الجميع على مثل هذا الرأي القوي ، لا يمكن معارضة أن ديانا تمارس ما تدعو إليه . وقد كانت أطول علاقة لها مع الكاتب المسرحي الجامايكي باري ريكورد . وقد التقيا حين كانا في الأربعينات من العمر لكن بعد ثماني سنوات مع ديانا بدأ بإقامة علاقة مع امرأة من مسرحه . وحين أدركت ديانا أن العلاقة كانت جادة ، اقترحت أن تنتقل العشيقة للعيش معهما . وعاش ثلاثتهم معاً بشكل ودي لعدة سنوات . هذه ليست فكرة أغلب الناس عن الرومانسية ، لكنّها قصة ذات نهاية سعيدة ، وإن كانت غير تقليدية : إذ لا تزال تلك المرأة صديقة ديانا الحميمة إلى حد الآن .

إنه لمن الرومانسية حقّاً أن تنصح ديانا الناس بأن يكونوا حذرين عند بدء علاقة ما . حيث ترى أن الناس يستمتعون بكونهم رومانسيين ، وعاشقين في بداية العلاقة ، وهكذا يختارون شركاءهم ، لكن الشعور لا يبقى على حاله إلى الأبد . وبالتالي فأنت تجازف بأن ينتهي بك الأمر في «واحدة من تلك الزيجات المروعة التي تراها ، حيث يجلس الرجال في المطاعم مع زوجاتهم ، دون أن يتبادلوا كلمة واحدة» . وبالنسبة لامرأة من حروف ، فإن عدم إيجاد أي شيء تقوله لشريكك هو أسوأ مصير يمكنك تخيله . بدل ذلك ، عليك البحث عن شريك يمكنكما قول أي شيء لبعضكما ، وتمتلكان الكثير من الأمور المشتركة معاً ، والذي تهتم لأمره ، وتحتفظان بنفس الأشياء العزيزة ، «حين تعثر على ذلك ، لن يكون شعوراً رومانسيّاً بالأخص ، لكنه شعور مريح جدّاً جدّاً ،

ويفضي إلى علاقة أفضل على المدى الطويل» .

كلما استمعت أكثر ، بدأت أفهم أكثر وجهة نظرها . عادة ، يعتقد الناس أن شخصاً واحداً بإمكانه أن يلبي جميع احتياجاتنا - الصداقة ، الحميمية ، العاطفة . لكن الشخص الذي قد أثبت أنه أفضل رفيق قد لا يكون أفضل عشيق . وعليه ، حسب ديانا ، لا ضير من إقامة علاقة مع شخص آخر إذا كنت ترغب في بعض الإثارة . «*بينما كنت أتقدم في العمر ، احتجت إلى شخص جديد* يشعرني بالإثارة . *وكان لقاء رائع واحد في الأسبوع كفيلا بإثارتي . لكنّها لم تكن أبداً علاقة رومانسية ولم أكن أرغب بالزواج منه .* كنت مولعة به ، *لقد كان فتى رائعاً ، لكنها كانت مجرد علاقة* جسدية» .

هذه وجهات نظر حديثة جدّاً . وحقيقة أن من يدافع عنها سيدةٌ في أواخر التسعينات من عمرها ، والتي نشأت في عصر أكثر صرامة ، يجعل الأمر استثنائياً أكثر ويظهر كيف أنّ ديانا غير تقليدية بحق . وتظل أفضل نصيحة لها وفية لهذا .

«لا تكن متملكاً ، فهذا من أخطر الأشياء ، لاسيما فيما يتعلق بالجنس . هناك العديد من الناس ممن يعتقدون أنه من غير اللائق عدم التملك حين تكون متزوجاً ، أمّا أنا فأعتقد أنه قاتل . لا تدع عشقك يوقعك في محاولة امتلاك شريكك . الحيلة هي أن تحبه لا أن تمتلكه» .

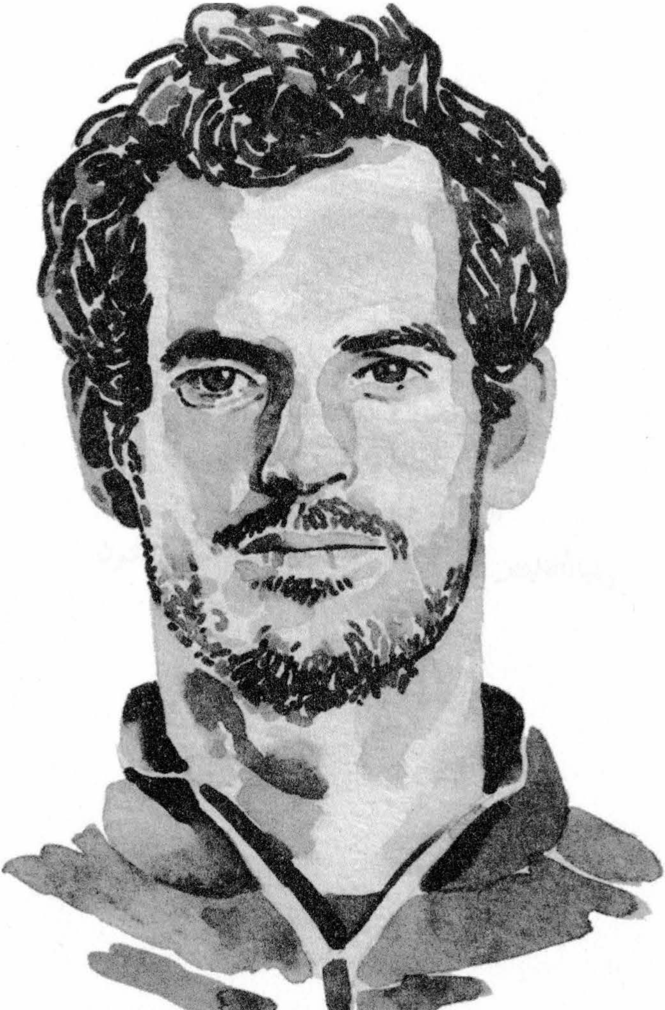
وتجعلها حياتها المعرفية وتجربتها تشعر بأنّها مضطرة لإضافة :

«وإذا كانوا غير مخلصين ، فإن مسامحتهم عادة ما تؤتي أكلها» .

«لا تكن متملكاً ، فهذا
من أخطر الأشياء ،
لاسيما فيما
يتعلق بالجنس . هناك
العديد من الناس ممن يعتقدون
أنه من غير اللائق عدم التملك حين تكون

متزوجاً ، أمّا أنا فأعتقد
أنه قاتل . لا تدع عشقك يوقعك
في محاولة امتلاك شريكك .
الحيلة هي أن تحبه
لا أن تمتلكه» .

ديانا أثيل



أندي موراي، قاهر الجفاف

هل هناك رياضة أكثر صرامة للاحتراف من التنس؟ الالتزام ببرامج التدريب القاسية التي تبدأ منذ الطفولة ولا تنتهي إلاّ عند التقاعد، قضاءُ حياتك في سفرٍ، بعيداً عن العائلة والأصدقاء، بالإضافة إلى طبيعة اللعبة في حدّ ذاتها: مباريات يومية، فرداً لفرد، بلا رفاق فريق يتشاركون معك العبء، مواجهات تدوم لساعات، يومٌ تلو الآخر تحت رقابة شديدة. ضف إلى ذلك الحقيقة المثيرة للجنون وغير المنطقية رياضيّاً من أنّه وبالرغم من أن المباراة الواحدة قد تشمل ٢٥٠ نقطة، فإن كل نقطة قد تكون ذات أهمية على نحو غير متكافئ. فالتنس بلا شك هي الرياضة الأنقى، والأصعب، والأقسى من بين كل الرياضات.

ثم تخيّل لو أنّك قررت أن تتحمل كل هذا، وقررت تشكيل حياتك حول استحالة مطلقة لخوض مسيرة احترافيّة، ورفضت عقد تدريب مغرٍ في كرة القدم عُرض عليك في سن مبكرة، وتخليت عن كل سُبل الحياة الأخرى. وفقط حين يبدأ جهدك وتضحياتك تؤتي أكلها، وبفضل مفارقة القدر، يتبين أن عصرك يتزامن، ليس مع وجود واحد فقط، بل ثلاث ملوك يسيطرون على أعلى مستوى من اللعبة، فيما يشبه تكتلاً لسادة التنس حيث كل واحد منهم يبدي مستويات غير مسبوقة من النجاح والمهارات والاتساق. مع العلم أنه في أي فترة زمنية أخرى، كانت مواهبك وإبداعك سيجعلان منك بطلاً لعدة مرات، لكن الكون راوغك

وصفّر حين كانت الضربة محتسبة ، فماذا تفعل؟

إذا كنت أندي موراي ، فستتقبل ذلك بصدر رحب ، وتفعل ما كنت تفعله دائماً : تعود إلى العمل وتستمر في التمرن ، وتواصل التحسن . وتعمل على طريقة المباحث : فكّك كل شيء إلى تفاصيل دقيقة ، تمرّن كيف تستفيد من كل عضلة ، وكل وجبة ، وكل تقنية ذهنية . بطريقة ما ، تشرّب الضغط المذهل للتوقعات وأعد توجيهه ، وبدلاً من ذلك ، قم بتوجيه تلك الطاقة لالتقاط كل كرة .

والنتيجة؟ ستصبح الملك الرابع - بدءاً من حصولك على الميدالية الأولمبية ، ثم أول فوز لك بالغراند سلام في بطولة أمريكا المفتوحة ، والوصول إلى النهائي خمس مرات ، وحصدك اللقب الأكثر طلباً في التنس ، إن لم يكن في الرياضات بأكملها : ويمبلدون ، الكأس المقدسة . لتصبح بذلك جالب المطر للأمة ، وتنهي عطش البلد الذي دام سبعة وسبعين عاماً . ثم بعد ثلاث سنوات ، مع الجمهور البريطاني المنكسر والمغتاظ بعد شهور من الأخبار السيئة ، يأتي انتصار ثانٍ في ويمبلدون ، حيث تلعب أفضل من أي وقت سابق ، ويبدأ العالم بالتفكير ، ربما هذه مجرد بداية فقط .

لذلك ربما لا يوجد أحد على قيد الحياة يعني ويعايش بشكل أساسي نصيحته أكثر من آندي موراي :

«عليك أن تؤمن دائماً بأنك حين تحسّن من نفسك ، يمكنك تحقيق أي شيء . تأكد من أنك تقدم ١٠٠ بالمائة وتعمل بأقصى ما في وسعك في كل ما تقوم به ، ليس فقط فيما تستمتع به بل في الحياة ككل . ولا تنس ، ستأخذك قدرتك الطبيعية بعيداً فقط ، لكن لا بديل لك عن الممارسة» .

من الفتى الذي حوّل الممارسة إلى المثالية .

«عليك أن تؤمن دائماً
بأنك حين تحسّن من نفسك ،
يمكنك تحقيق أي شيء
. . . ولا تنس ، ستأخذك
قدرتك الطبيعية
بعيداً فقط ، لكن
لا بديل لك عن الممارسة» .

أندي موراي



حذاء الدكتورة ماكي مانديلا

في المرة الأولى التي التقيت فيها بالدكتورة ماكي مانديلا ، أكبر أبناء نيلسون مانديلا وزوجته إيفلين مايز الباقين ، كان ذلك في عشاء خيري أقيم على شرف الرجال الذين رافقوا والدها في السجن . لقد كان حدثاً عاطفياً ، حيث خصصت الليلة للاحتفاء بالنجاح الذي حققه والدها ورفاقه في الظفر بالحرية لجنوب أفريقيا ، لكنه كان احتفالاً يشوبه الحزن لأجل الثمن الذي دفعته عائلاتهم وعدد لا يحصى من الناس . على المنصة ، تحدثت الدكتورة مانديلا ، في زيّها الوطني ، بصراحة وجمال عن والدها ، وظلت طوال ذلك قوية وهادئة . إنّها الابنة التي سيفخر بها أي أب .

حين التقيت بها لاحقاً ، على انفراد ، بدا واضحاً أنّ هذه القوة الداخلية والهدوء يمتدان ليشملا عدم تحمّلها للحمقى . وأقول هذا لأنني كنت أنا الأحمق ، فقد كنت متوتراً بعض الشيء وقد كشفت مقدمتي المستعجلة والمبهمة عن هذا . «*إذا ما الذي تريد أن تسمعه مني؟*» كان ردها المقتضب .

شرحت أنني مهتم بفلسفتها في الحياة . ولحسن الحظ ، كان هذا السؤال ينسجم معها .

«*بالنظر إلى الوراء ، تعلمت أن كل قوة تأتي من الداخل . وعلى مر السنوات تعاملت مع شياطيني الداخلية ، مع قسوتي ، وغضبي ، وأن أنظر إلى نفسي ، وأسعى لأكون ماكي أفضل ، ولأعيش بأصالة*» .

كان الغضب الذي أشارت إليه هو على العموم ردّ فعل لغياب والدها منذ سن مبكرة. «*كانت لدينا علاقة حب وكراهية. في بعض الأحيان كنت مستاءة من حقيقة أنني قد فقدته بذهابه إلى السجن*». وتحدثت بانفتاح حول حقيقة والدها، الرجل. «*أعرف والدي بصفته والدي. وأعرف ضعفه. لقد رأيته في مجده، حين كان يسير منتصب القامة، وحين لم يكن ينحني لأي إنسان، ورأيته في السنوات الأخيرة من عمره حين صار سقيماً طريح الفراش، وظل جليلاً إلى الآخر. لكنّني كنت أعلم أنّه من لحم ودم، كان مثلك ومثلي*».

وما تزال بالتأكيد تحترمه. «*لقد كان شديد التركيز. إذا قال أنّه ذاهب لمكان ما - بغض النظر عما سيحدث في الطريق- فإنّه سيذهب إلى هناك. لقد عاش بنزاهة، صادقاً مع نفسه، وهذا ما يعجبني في والدي*».

من الواضح أن العيش في ظل رجل يحترمه العالم لم يكن سهلاً، الأمر الذي اعترف به مانديلا نفسه. «*لطالما أيدني في العثور على طريقي الخاص في الحياة. كان يعلم أنّ حذاءه لا يناسبني. إذا كانت مهمتك أن تكوني مثل أبويك، إذاً فلا طموح لديك*».

وكان طريقها الخاص هو أن تصبح أخصائية اجتماعية، ودكتورة في الأنتروبولوجيا، وسيدة أعمال، ومالكة لمزارع كروم. لقد عثرت على طريقها الخاصة عبر الحياة، مستقلة عن ظل والدها الذي كانت تحبه لما هو عليه.

ويظهر هذا جليّاً في نصيحتها الرئيسية:

«كل الإجابات التي نريدها
موجودة داخلنا . عش
حياتك الخاصة ، واسلك
طريقك الخاص» .

د . ماكي مانديلا



السوبر ماريو تستينو

إن مقر ماريو تستينو الرئيسي هو بالضبط ما تتمنى أن تجد عليه منزل أحد أكثر المصورين شهرة في العالم . وكبداية ، دُهنت جدران البناء الخارجية بلون أسود دارج كلون الفساتين السوداء القصيرة ؛ أمّا الداخل ، فكان عبارة عن أستوديو كبير مفتوح ، مطلي بالأبيض ومُضاء ، يدعو معدات التصوير والمشاهير ليتقدموا ، حتى يتمكن المايسترو من القيام بعمله . وعلى الجدران عُلّقت صورٌ لأكثر الشخصيات شهرة وجمالاً وموهبة في العالم ، وقد حدّق جميعهم في عدسة ماريو فكانت صورهم أجمل .

من الناحية الجسدية ، فإن ماريو نفسه عارضٌ وسيم ، يرتدي على نحو محتشم تدرجات مختلفة من اللون الأزرق الداكن . ويمتلك سحراً في الحديث ، لكن إذا كنت ممن في قلوبهم حسد ، فعليك البقاء بعيداً عن حسابه في الانستغرام . إذ يضم سيلاً لا منته من صور المشاهير في أماكن رائعة ، يقومون بأشياء مذهلة . وليس الأمر تزييفاً ، بل هذا ما تقوم عليه حياته بالفعل . قلت له أنّه يبدو من أولئك القلة الذين يمتلكون حياة رائعة بقدر ما تبدو عليه في الظاهر . فأكّد لي شكوكي . *«إنني أعمل في عالم أجمل الناس ، رجالاً أو نساء ، وأسافر لأجمل بقاع العالم . ولا أظل في مكان واحد أبداً لأكثر من خمسة أيام . إنني محظوظ جدّاً . لكن كان عليّ حقا أن أدفع ثمن وصولي إلى هنا . لقد قضيت اثني عشر عاماً أصارع لأجد عملاً وأبدأ العيش ، والآن أعمل لاثنتي عشر ساعة على الأقل في اليوم»* .

نشأ ماريو في عائلة كبيرة ومحبة في البيرو . كان طالباً مجتهداً وكان الجميع ، بمن فيهم هو نفسه ، يعتقد أنّه يسعى للتخصص في الحقوق أو الاقتصاد . لكن ، حين بلغ سن المراهقة بدأ «*بارتداء ثياب على نحو غريب : بألوان براقة ، وأقمشة مخططة ، ومرقطة . الأصفر مع البرتقالي مع الأزرق . لم يكن بيدي حيلة ، كان عليّ أن أرتدي أكثر الأشياء فظاعة*» . ولم يوقفه والداها ، رغم أنهما لم يفهما الأمر . لكن صار واضحاً للجميع أنّه لم يعد يتناسب مع وطنه الكاثوليكي المحافظ : «*كان الناس ينظرون إليّ كما لو كنت شخصاً غريب المنظر*» . وبعد أن جرب ثلاثة تخصصات جامعية مختلفة ، وبعد ستة أشهر من التوسل لوالديه ، أرسلاه إلى لندن .

لقد أحب بريطانيا منذ البداية ، «*وجدت الحرية في انجلترا ، الحرية الذهنية ، وليس الحرية الجسدية ، الناس هنا عصبيون بشأن أجسادهم ، لكنهم متحررون فيما يتعلق بأذهانهم ، بإمكانهم تفهم كل شيء*» . لقد شعر على نحو غريزي أن بإمكانه أن يكون نفسه ، قدّم طلباً لكلية الفنون التطبيقية بلندن لأجل دراسة علم الاتصال وتم قبوله . لكن البرنامج لم يبدأ حتى السنة الموالية ، لذا باشر ماريو دورة في مدرسة محلية للتصوير الفوتوغرافي . ومن خلال صديق ، تعرّف ماريو على مصورة إيرانية افتتحت لتوها استوديو للتصوير الفوتوغرافي وعرضت على ماريو وظيفة بلا أجر كمساعد لها . «*بطريقة مضحكة تعلمت هناك أكثر مما فعلت في مدرسة التصوير الفوتوغرافي ، لقد تعلمت أنّ هذا ما أود فعله*» .

ومنذ ذلك الحين قال أنّه لم يواجه أي مشكلة في الحصول على وظائف على الفور ، لكنه كان يفقدها على الفور أيضاً . «*كنت أقنع الناس وأتوسل إليهم ليوظفوني ، لكنني كنت أفسد الإضاءة*

ومن ثمّ أفقد العمل . كان كل شيء على الفيلم ، لذا لا يمكنك رؤية أخطائك إلاّ بعد فوات الأوان» . ومع الوقت تعلم الدروس ، وبدأ بالاحتفاظ ببعض الوظائف وإعادة قبوله في أخرى ، وظل مصوراً لدى مجلة فوغ لأكثر من ثلاثين عاماً .

ويعتبر أن نجاحه الدائم جاء من إصراره على محاولة العثور دائماً على شخصية الشيء أو الشخص الذي يتلقط له الصور . «كونك مصوراً ، يضعك أمام خيارين : إما أن يكون الأمر مرتبطاً بك ، أو يكون مرتبطاً بالشخص الذي تلتقط له الصورة . أنا لا ألتقط صورة للعائلة المالكة وأنا أفكر في ماريو تيستينو أو صورة لماركة بربري وأنا أفكر في ماريو تيستينو ، بل أخلق شيئاً لكل واحد منهم ، شيئاً يلخصهم» .

وبالنظر لنجاحه العالمي في القيام بذلك ، فإنّه متواضع بالنسبة لعمله . «ما ينساه الناس هو أننا موظفو مبيعات ، مهمتنا أن نجعل الأشياء تبدو جيدة . يمكننا أن نبيعك سترة ، ثوباً ، سيارة ، بلداً ، عائلة ، يمكننا أن نبيعك أي شيء . يمكننا أن نجعلك تريده» .

ويُرجع الفضل في نجاحه إلى مصداقيته الشخصية في كونه منفتحاً دائماً للتغيير ، للحركة ، لكل ما هو جديد . «لطالما كنت أقول أنّني أريد أن أكون لا شيء ، لأنني حينها سأكون كل شيء ، وسيكون بإمكاني أن أكون كل ما أريد أن أكونه . فالنشاط الجنسي ، وتذوق الطعام ، والموسيقى ، والألوان ، والثياب ، كلها أشياء تتغير . لقد تعلمت أنه ليس بإمكانك أبداً أن تقول أنّك تحب الأحمر ، لأنّك قد تحب بعد ذلك الأسود ، ثم الأصفر ، ثم الأخضر» .

وأهم درس يقول أنّه تعلمه من تجاربه هو أن تظل مَرِناً ، ولا تقاوم حيث تأخذك الحياة .

«الحياة غريبة . وقد تكون
عشوائية ، لذا عليك
أن تتعلم كيف تتأرجح .
عليك أن تكون منفتحاً على
ما يربكك نوعا ما ،
وعلى ما تشعر
بالفضول تجاهه ، وليس فقط
على ما كنت تحبه من قبل ،
إذ لن يكون هناك أي
فضاء لتنمو

أكبر . في البيرو
أين نشأت كانت
هناك الزلازل ،
والبنايات التي بنيت
لتتمايل وتتحرك هي
التي كانت تصمد في العادة .
أما تلك الصلبة
جدّاً فتنهار وتهوي» .

ماريو تستينو



داخل الأسلاك مع المقدم لوسي جايلز

بمجرد ما نزلت من السيارة ، سمعت صوت إطلاق نار ، إنّها خلفية موسيقية أصيلة تتناسب وزيارة ساندهرست ، الأكاديمية العسكرية التي يتم فيها تدريب كل ضابط في الجيش البريطاني . هناك ستة مائة من الطامحين يجرون هذه الدورة كل عام ، على أمل أن يتخرجوا كضباط جيش . ويقع كل فرد منهم تحت مسؤولية المقدم لوسي جايلز ، أول أنثى في التاريخ تتولى هذه المؤسسة العسكرية الأكثر تقديراً .

لست معروفاً بمراعاتي للمواعيد ، لكن نظراً لأنني سألتقي بشخص اعتاد قيادة الجيوش ، فقد بذلت جهداً للوصول هناك في وقت مبكر . ومع ذلك ، كانت لوسي في انتظاري عند المدخل ، كتفاها إلى الخلف ، منتصبة ، تغطي قبعتها عينيها . كان كل الطاقم العسكري يناديها ب «سيدتي» . فتساءلت عما إذا كان يجب عليّ أنا أيضاً أن أناديها كذلك .

لحسن الحظ ، أنّها هوّنت عليّ الأمر ، واقترحت أن «نذهب لتناول مشروب» . فتوجهنا عبر المساحات المعشوشبة نحو مكتبها في المبنى الرئيسي . وباستثناء مسار العقبات ذو المظهر الشرير ، والدبابة الفظيعة المركونة جانب الدرب ، كان بإمكاننا أن نكون ضمن حدود منزل فخم جميل . في العموم ، تحتل ساندهرست ستة عشر كيلومتراً مربعاً ، تحدها غابات عذراء ، وبحيرات طبيعية ، ومروج واسعة ومباني كلاسيكية قديمة أين يقيم باقي الضباط

ولوسي . ومن زاوية مكتب المقدم جيل يمكنها أن ترى ساحة الاستعراض ، حيث كانت هي نفسها ، قبل أربع وعشرين سنة ، واحدة من الضباط المتدربين الذين يقفون على أهبة الاستعداد .

وشهدت تلك السنوات الأربع والعشرين تغيرات كبيرة في الطريقة التي ينظر بها الجيش للنساء . أجل ، لقد كان هناك نوع من التحيز الجنسي في السنوات الأولى ، والنكات غير اللائقة حول الدراجات والهراء المعتاد . لكن لوسي تؤكد أن أسلوب التفكير هذا قد ولّى . فالجيش اليوم لا يتسامح معه ببساطة ، ولم يقف أبداً في طريق عملها ، إذ قادت عمليات في البوسنة ، والعراق ، وأفغانستان ، وسيراليون وشمال أيرلندا .

بالإضافة إلى العمل الكبير الذي تتولاه الآن ، هي أيضاً أمّ لطفلين وزوجة جندي . «*يحتاج الأمر بعض الاحتيال*» ، قالت ، وهي ترفع حاجبيها بخفة ، ومنزل العائلة «*يقع داخل الأسلاك*» ، العبارة التي تعني بها العيش داخل محيط مجمع عسكري مثل ساندهرست . باختصار ، تعيش المقدم جيل الجيش وتتنفسه .

كان طريقها إلى هذا العالم راجعاً بالأساس إلى الصدفة والفضول . فحين كانت في جامعة إكسيتر اقترح أحد أصدقاء لوسي عليها أن تشترك في دورة لتدريب الضباط نهاية الأسبوع ، فوقعت لوسي في غرام التجربة بأكملها : التحدي الجسدي والذهني ، الجانب الاجتماعي ، والشعور بالواجب ، والتأكيد على التطوير ، التي تشكل كلها أسلوب عمل الجيش . وقد فتح لها هذا البابَ على فرص ومهارات («*حتى أنني تعلمت كيف استخدم شوكة لاقتحام سيارة ميني*») لم تكن هذه الطالبة المتوسطة من مدرسة شاملة بمقاطعة سومرست لتختبر كل هذا بخلاف ذلك .

وها هي ذي، بعد ربع قرن، تشرف على تكوين طبقة ضباط المؤسسة بأكمل.

سألتها كيف تشعر حيال ذلك. فكانت إجابتها عبارة عن ابتسامة عريضة نابعة من القلب وقالت: «أنا راضية حتى النخاع». إنّها تستمتع بالوظيفة للسبب نفسه الذي قادها في الأصل نحو الجيش، هو استخلاص أفضل ما في الناس. لذا ما هي النصيحة التي تقدمها للقيام بذلك؟

راحت تشرح منهجها القائم على «*التدريب بدل الانتقاء*». ويرتبط هذا بتسليط الضوء على الإمكانات الموجودة لدى الناس ومنحهم الفرصة ليتطوروا، بدل البحث عن أشخاص مكتملين والتخلص من الباقي. في التدريب هناك عنصر قوي من النشاط البدني والانضباط، لكن يتم التركيز بقدر كبير على المهارات اللينة كاتخاذ القرارات، والتحفيز والتواصل. كجندي، يجب أن تكون قادراً على تأدية المهام الصعبة عند اللزوم، لكن الدور في أغلبه متعلق بوضع خطط واضحة والتواصل، والاستيلاء على القلوب والعقول، وليس فقط القبض على الأشرار.

قالت إنّ كل شيء بالأساس يتلخص في القيم. لدى الجيش تشكيلة من القيم: الشجاعة، الانضباط، احترام الآخرين، الاستقامة، الإخلاص والالتزام غير الأناني. ومهمته هي التأكد من أنها قد رسخت. إنّ هذه القيم هي ما تجعل من جنديٍّ جندياً في الجيش البريطاني.

«إذا وجدت نفسك تقف خارجاً في الليل معاقباً لوجود زغب على سترتك، فذلك لأنه لم يكن لديك، على أقل مستوى، الانضباط اللازم لتفقد أدواتك قبل الفحص. وإذا وضعت هذه

المشكلة الصغيرة في سياق مختلف - لنفترض أنك قد نسيت أن تضع كاشف السلامة على سلاحك وانطلق عرضياً وقتل أحدهم- يمكنك أن تدرك سبب قيامنا بهذا. كل ما نقوم به يهدف لجعلنا جنوداً أفضل».

وتلخص أسلوبها في القيادة مثل «*شرب المزيد من الشاي*»: تخرج من خلف مكتبها وتقضي وقتاً مع الجنود، تشاركهم الشراب والدردشة لمعرفة ما يحدث معهم، وتكون بجانبهم، بالمعنى الحرفي والمجازي، في هذا الخندق. في ساندهرست، غالباً ما تحمل عدتها الكاملة وتذهب للركض بجانب الفرق في التدريب. ولأنها تكون على علم مسبق بأولئك الذين يعانون، فإنها تحرص على الركض بجانبهم، وتسألهم بضع أسئلة، وتستفسر عن أحوالهم، لترى إن كان بإمكانها المساعدة: «*إنّني أشبه إلى حد ما الدجاجة الأم في هذا الشأن*».

إنّ امتلاك القيم، والعيش بها ومساعدة الآخرين ليقوموا بالشيء ذاته، هو ما يصنع الجندي العظيم. لكن ترى لوسي الأمر نفسه بالنسبة للحياة عموماً.

«***إنّ الحياة بالنسبة إليّ متعلقة بالقيام بما هو صواب، في يوم عصيب، حين لا يكون هناك من يراك. إذا قمت بأمر، أو مررت بأمر ما، وأنت تعلم أنه ليس صواباً، فأنت في النهاية تخون نفسك وتشوه سمعتها. إذا قمت بما هو صواب، مهما كانت النتيجة، فإن ثقتك ستكبر دائماً، وستحظى بحياة أفضل على هذا النحو. لذا تأكد فقط من أن تكون دائماً صادقاً مع نفسك، واحرص دائماً على القيام بما هو صواب***».

حاضر، سيدتي.

«إن الحياة متعلقة
بالقيام بما هو صواب ، في يوم
عصيب ، حين لا يكون هناك من يراك»
المقدم لوسي جايلز



أنطوني بوردين، آلة الشواء الممتصة للدهون

لو أنّك اطلعت على كتاب «أسرار المطبخ» ، لأنطوني بوردين ، الشيف المشاغب ، والكاتب ومقدم البرامج التلفزيونية ، فستعرف مسبقاً نصيحته بأن لا تطلب السمك أبداً يوم الثلاثاء . وإليك بعض جواهر الحكم التي قدمها لي مؤخراً ، بكلماته . وكل ما سأقوله ، هو أنّني سعيد أنني وصلت لموعدي معه باكراً .

١ - الحضور في الوقت المحدد اللعين:

«أنا دقيق في المواعيد ، ربما هذا هو أكثر درس مفيد تعلمته على الإطلاق . إنه أول دليل على شخصيتك : هل أنت من النوع الذي يقول إنّه سيقوم بشيء ما ولا يفعله؟ أن تكون في الوقت هو أول شيء اشترطه في طباخي . إذا كانت لديك مشكلة في القيام بهذا ، فمن المحتمل أنني أضيع وقتي في تعليمك كيفية تحضير الصلصة الهولندية . الأمر نفسه في العلاقات الاجتماعية ، هل لديك الاحترام الكافي تجاهي للحضور في الوقت المحدد أم لا؟ إن لم تفعل ، فعلى الأرجح أننا سنواجه مشاكل .

٢ - العمل في المطبخ سيصقلك:

«لقد كنت فتًى مدللاً ، نرجسيّاً ، كسولاً ، أنانيّاً ، من أبناء الطبقة الوسطى ، من الضواحي . أنا شخص ، إن تُركت لغرائزي الطبيعية ، لانجذبت نحو الفوضى والتدمير الذاتي والإدمان . لكن

العمل في المطبخ أجبرني على الانضباط الذي أوقفني عن فقدان السيطرة. لقد بدأت كغاسل صحون في السابعة عشرة من عمري، وربما استغرق الأمر ثلاثين عاماً، لكنّني تعلمت هناك كيف أكبر وأكون راشداً».

٣- كن مهذباً مع النُدُل:

«إذا كنت لئيماً أو مزدرياً للنُدُل وموظفي الفنادق، فأنت ميّت بالنسبة إليّ، وإن لم تكن ميتاً عندي فأنت تنزف؛ لأن وقتنا معا سيكون محدوداً للغاية، لأنك إذا كنت لئيماً مع الندل، فهذه حقيقتك. قد لا تكون كذلك معي الآن، لكنك ستفعل».

٤- لا تعمل مع الأوغاد:

«إذا كنت لا تحب الأشخاص الذين تعمل معهم، فسينتهي بك الأمر بائساً لعيناً. وأي فوائد ناتجة هي عديمة القيمة لأنّ حياتك ستكون بائسة. إذا كنت تتعامل مع الأوغاد طوال الوقت، فستموت بسكتة قلبية. أنت تعرف الأشخاص الذين أتحدث عنهم. أولئك الذي حين ترد أسماءهم في الاتصال تقول: «اللعنة، لا أريد الحديث معهم». حسناً، لا تعمل مع هؤلاء الأشخاص. يقول ميكي كورليون إنّ الأمر ليس شخصياً، إنه مرتبط بالعمل. هذا هراء: فكل الأعمال هي شخصية».

٥- حين تكون طاهياً، لا يمكنك أن تخدع أي أحد:

«المطبخ هو عالم المطلق: إما يمكنك طهي ٣٠٠ بيضة في مناوبة مدتها ثلاث ساعات أو لا يمكنك ذلك. بإمكانك الحديث

عن مدى عظمتك طوال الوقت ، لكننا سنكتشف ذلك . مهما يكن ما تقوله قبل أو بعد ذلك فإنّه بلا معنى . لكن إذا كنت جيّداً بحق ، فسترتفع مكانتك . الأمر أشبه بالمافيا ، إذا قتلت ثمانية أشخاص ، فستصبح عضواً فيها» .

٦- إذا هبّت ريحك، فاغتنمها:

«إذا كنت في الرابعة والأربعين من العمر مثلما كنت أنا ، وكنت قد أفسدت حياتك من كل الجوانب مثلما فعلت أنا ، فتأكد من تمييز الفرصة المواتية حين تأتيك ، مثلما فعلت مع كتابي . ثم اعمل بجد حتى لا تفسدها ، لأن هذا ما يفعله أغلب الناس حين يحالفهم الحظ . وقد حرصت على تفادي ذلك . لم تكن لدي خطة ، فقط عملت بجد ، وتجنبت الأوغاد ، وكنت أحضر دائماً في الوقت» .

٧- لا تكن أحمقاً:

«إذا كنتُ في منزلك وقدمت لي شيئاً لا أحبه على نحو خاص لآكله ، فسأبتسم وآكله . حاول أن تكون ضيفاً جيّداً ، حاول أن تكون ممتناً ، كن رجلاً طيباً ، لا تكن أحمقاً» .

٨- تفادى الهيبيين:

«الهيبيون ، أكره الهيبيين وأكره موسيقاهم . إنهم يضرّون بالمعنويات ، وعاداتهم سيئة في العمل . ولا يحضرون أبداً في الوقت» .

وكما قلت ، أنا سعيد لأنني حضرت في الوقت .

«إذا كنت في الرابعة والأربعين من العمر
مثلما كنت أنا ، وكنت
قد أفسدت حياتك من
كل الجوانب مثلما فعلت أنا ،
فتأكد من تمييز
الفرصة المواتية حين تأتيك ،
مثلما فعلت مع
كتابي ، ثم اعمل
بجد حتى

لا تفسدها ؛ لأن هذا
ما يفعله أغلب الناس
حين يحالفهم الحظ .
وقد حرصت على تفادي ذلك .
لم تكن لدي خطة ، فقط
عملت بجد ، وتجنبت
الأوغاد ، وكنت أحضر
دائماً في الوقت» .

أنطوني بوردين



قضاء وقت مع ألكسندر ماكلين

ركن سائقنا السيارة بجانب مجموعة من الأكواخ الطينية المتناثرة حول أرض من التربة الجافة ، وأطفأ المحرك معلناً أننا قد وصلنا . قلت إنّ هذا لا يمكن أن يكون المكان الصحيح ، إذ لا توجد أي جدران أو أسوار . «لماذا يجب أن تكون هناك أسوار؟» أجاب السائق ، وقد أربكه تعليقي . «لا يوجد أي مكان يهرب إليه السجناء» .

كنت أتساءل عمّا هو عليه أن تكون مسجوناً في أفريقيا ، ومحاصراً بعشرة أبراج في أوغندا وكينياً مع ألكسندر مكلين ، مؤسس مشروع السجون الأفريقية . هذه هي محطتنا الأولى ، إنها مزرعة سجن ، قائم رسمياً وسط العراء بين البراري الواسعة في ريف شمال أوغندا . واستغرق الأمر خمس ساعات من القيادة عبر طريق غير معبد للوصول إلى هنا . لكن ما تزال الأسوار غير موجودة؟

وأوضح ألكسندر أنه ليست الجدران غير ضرورية فقط ، بل أن المجتمع المحلي يفضل السجن على هذا النحو ليتمكن الناس حينها من استخدامه بشكل جيّد . وحين بلغت مضخة الماء في السجن ، ورأيت الطابور المتسلسل أمامها ، والذي لا يتألف من نزلاء السجن فحسب بل أيضا من تلاميذ المدارس ، وكلا المجموعتين في زيهم الخاص ، ينتظرون في سعادة دورهم للاستسقاء من البئر ، كان مشهداً لا يمكن تصوره في العالم الغربي .

لاحقاً ، وبينما نحن نسير حول الأراضي ، جاء أحد السجناء متجهاً نحونا ، وكان يتحدث اللهجة المحلية التي لم أستطع فهمها ، لكن شيئاً واحداً كان واضحاً : حماسه الكبير لدى رؤية ألكسندر . وترجم لي ضابط السجن الذي كان معنا : «إنه يقول أنّ ألكسندر ماكلين قد أنقذ حياته . لقد زار ألكسندر السجين المحكوم عليه بالإعدام سابقاً وساعده في رفع دعوى استئناف . وحين حلّ تاريخ المحاكمة ، قام ألكسندر باستبدال أسمال السجين ببدلته وقميصه وربطة عنقه ، ليجعله يبدو أنيقاً أمام القاضي . وقد نجح الاستئناف ، وسيصبح السجين حرّاً في غضون أيام» .

ألتفتُ إلى ألكسندر لأتأكد من القصة ، فأومأ بأسلوبه الرزين والمتواضع ، وقال إنّها حقيقية . سألته ، من باب الفضول : هل استعاد بدلته؟ «*لا أعتقد أنني فعلت . لكنني على يقين أنه سيعيدها ذات يوم*» ، كان هذا رده الموزون ، وإن كان متفائلاً بعض الشيء .

وتختصر عملية التبادل الصغيرة هذه كلّاً من جوهر عمل مشروع السجون الأفريقية والتزام ألكسندر اللامشروط به . ويتجه مشروع السجون الأفريقية إلى السجون التي تفتقر إلى التسهيلات الطبية ، أو التعليمية ، أو القانونية ، ولا يغادرها حتى تُزوّد بالمراكز الصحية ، والمكتبات ، والمدّرسين والمحامين . لقد انخفضت معدلات الوفيات بعامل قدره عشرة في بعض السجون ، وتلقى المساجين الأميون تعليماً عبر جميع المراحل (حتى أنه في بعض الحالات ، تحصل السجناء على شهادات في الحقوق ، والآن يقدمون المساعدة للمساجين الآخرين) ، وقد أسقطت العديد من أحكام الإعدام . ويعد ألكسندر مؤسساً وقائداً ملتزماً جدّاً بالمهمة لدرجة أنه مستعد ، حرفيّاً ، لخسارة قميصه الذي يرتديه لأجلها .

في الواقع، لم يكن ذلك بأفضل مثال على الإطلاق حول مدى تعلّق ألكسندر بعمله. لقد حدثت هذه القصة أثناء زيارتنا لسجن شديد الحراسة بالقرب من المدينة، وكانت الظروف هناك قاسية جدّاً، حيث قضيت وقتاً في زنزانة مفتوحة مع ٢٨٠ رجلاً، وكان عليهم أن يتبادلوا النوم والجلوس لأنه لا توجد مساحة كافية للجميع ليستلقوا في الوقت نفسه. والأقسى من ذلك، هو «جناح» مرضى السلّ، الذي كان عبارة عن غرفة إسمنتية، مكشوفة ومظلمة خصصت لعزل أولئك الذي يعانون من المرض المعدي. وبينما بقيت أنا وصديقي بعيدين عند المدخل، قلقين على صحتنا، سار ألكسندر مباشرة إلى الرجل الذي يبدو في أسوأ حال، وانحنى على ركبتيه ويديه، وبقطعة قماش صغيرة بدأ يمسح جبين الرجل ويرعاه. دون أن أكون دراماتيكيّاً على نحو مبالغ فيه، فكرت في نفسي أنّ هذا تماماً ما كان المسيح ليفعله.

ألكسندر هو رجل متدين، وقد زار أفريقيا للمرة الأولى حين كان في الثامنة عشرة من عمره متطوعاً في دير في أوغندا. وحين عمل في المستشفى لاحظ أن السجناء الذين يتم إحضارهم إلى هناك يُتركون غالباً مقيّدين في الأسِّرة ولا يتلقون علاجاً. ولم يتوقف عن التفكير في أنهم إذا كانوا يتلقون مثل هذه المعاملة السيئة في المستشفى، فكيف هو الحال في السجن؟ لذا توجه نحو أحد السجون ليكتشف الأمر بنفسه. وكانت الظروف مرعبة، فوجد نفسه مجبراً على جمع المال لبناء مركز صحي أساسي ومكتبة. وقد قلل عمله هذا من نسبة الوفيات من ١٤٤ إلى ١٢ في عام واحد، ولم يتوقف عن فعل هذا منذ ذلك الحين.

ويشير ألكسندر إلى أن أغلب الناس في تلك السجون هم

هناك بسبب جرائم بدافع الفقر : سرقة الطعام ، عدم تسديد الديون ، التشرد (جريمة كون المرء بلا مأوى التي تبدو وكأنها من عهد ديكنز) وأغلبهم لم يُعرض حتى للمحاكمة ، بل فقط تم إيداعهم في السجن الاحتياطي . وينص الدستور الأوغندي أنه لا يجب على أي أحد أن ينتظر أكثر من ستة أشهر ليحاكم ؛ أمّا المعدل الحالي فهو سنتان ونصف . والنتيجة : سجونٌ مكتظة بشكل كبير بأناس أبرياء في الغالب . إنّه لوضع يبعث على اليأس .

وجلب عمل ألكسندر الأمل لمثل هذه الأماكن . وهو بالطبع لا يفرّق بين من هم أبرياء ومن ليسوا كذلك ، فقد بدأ من منطلق أنهم جميعاً بشر ويستحقون أن يكونوا أحياء وأن يموتوا بكرامة ، حين لا يمكن تفادي الموت . لكن أكثر من ذلك ، أنه متحفز لاستغلال الفرص الضائعة في إبقاء الناس في الأسر دون أمل في التغيير . لقد كان يرغب في أن يجعل من الوقت الذي يقضيه الناس في السجن ، مهما كانت مدته ، فرصة للتغيير ، لا لليأس . وقد قابلت ما يكفي من المساجين السابقين الهالكين الذين تحولوا إلى محامين يساعدون زملاءهم السجناء ، ومدرسي السجناء المتعلمين حديثاً يقدمون حصصاً في الإنجليزية للمحكوم عليهم ، ليعرفوا أن مثل هذه التغييرات ممكنة .

إنه رجل استثنائي بحق ، يبعث النور في بعض الأماكن المظلمة التي لا يمكن تخيّلها . وما حياته إلاّ تجلٍّ للنصيحة التي يقدمها :

«إنّ أبسط إنسان هو مليء بالعطايا والمواهب فوق ما تتخيله . أحبَّ هؤلاء مثل نفسك . أولئك الذين يعيشون على هامش المجتمع لا يحتاجون لأن يحل أحد مشاكلهم نيابة عنهم ، هم فقط يحتاجون لأن يُمنحوا الفرص ليحلوا مشاكلهم بأنفسهم . وبذلك ، سيحلون في الغالب أيضاً مشاكل غيرهم» .

«إنَّ أبسط

إنسان هو مليء بالعطايا

والمواهب فوق ما

تتخيله . أحبَّ هؤلاء مثل نفسك»

ألكسندر ماكلين



إدنا أوبرين، بطلة الكلمة

بين شوارع كنسنغتون الأرستقراطية ذات الألوان الأشبه بكعكة حفل زفاف، أين ينتهي صف من المنازل الريفية العتيقة والبسيطة، يقع هذا الكوخ الأصغر والأبسط مظهراً، كأنه ابن عمّ طيب يزور أقاربه الأثرياء في المدينة. هذا الكوخ الدافئ والمتهالك بعض الشيء، هو منزل إدنا أوبرين، صاحبة الموهبة الفذة، الأيرلندية المفعمة بالفخر، كاتبة رواية «*بنات الريف*» (وأكثر من عشرين كتاباً آخر منذ ذلك الحين)، والتي وصفها فيليب روث كـ «أكثر امرأة موهوبة كتبت بالإنجليزية».

حين زرت إدنا، كان ذلك ثلاثة أيام قبل استفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي المصيري. جلسنا في غرفتها الأمامية محاطين بأدوات الكتابة، ورحنا نتشارك قلقنا حول حملة التصويت بمغادرة الاتحاد الأوروبي، حيث تم استخدام أنصاف الحقائق والافتراءات للحط من قدر الخبراء وتقسيم البلد.

ترى إدنا في العديد من هذه الأساليب أمثلةً لمشكلة أكبر وأطول أمداً. «*إنها تبدو كفكرة كلما تحدثت عنها بصخب واستخدمت الكلمات البذيئة وشبه البذيئة في الكلام، كانت فعالة أكثر. تسود العالم همجية ووحشية تخيفني*». وهو الشيء الذي تعرضت له للأسف، فقد أحرقت روايتها الأولى «*فتيات الريف*»، ومنعت في أيرلندا، وأدى هذا لجعلها شخصية مكروهة وطنيّاً؛ فقط لأنها كتبت (على نحو جميل) حول الوعي الجنسي

للشابات الأيرلنديات . أمّا الآن فقد تم تكريمها كأعظم كاتب في البلد .

والحل الذي تصفه للتخفيف من هذا النقد اللاذع المستمر والمتواصل هو أنّ علينا جميعاً أن نقضي وقتاً أكبر في التفكير والتأمل ، بدل تبني ما نسمعه دون تفكير ، والفشل في أن نكون واعين بما نقوله وما نفعله . «*لقد صرنا آليين في جزء كبير من حياتنا ، مع عقولنا اللاهثة . إننا قلقون وقد فقدنا نجاعتنا وتركيزنا*» . ولنستعيدها ، *علينا أن نقرأ أكثر ، ومن المستحسن قراءة الأعمال الأدبية العظيمة* . «*إنه ليس أمراً نخبويّاً ، وليس مملاً ، فالقراءة تعمق الذكاء الأصلي وتسرعه . لم أذهب أبداً إلى الجامعة لكنني كنت أقرأ وأعيد قراءة شيء عظيم جدّاً كل يوم وأعتبر ذلك جزءاً من تدريبي ، كملاكم عليه أن يلكم كل يوم*» .

وقد آتى تدريبها أكله . الآن ، في منتصف الثمانينات من عمرها ، هي بلا منازع بطلة عالمية من الوزن الثقيل في الكلمة الأدبية . وقد تحصل كتابها الأخير «الكراسي الحمراء الصغيرة» على أفضل المراجعات على مدار مسيرتها ، ما يدل حقيقة أنك إذا واصلت شحذ السيف فلا يجب أن تفتر . لكن مثل هذه الميزة لا تأتي بسهولة . «*أنا دقيقة تماماً ومهووسة بالتفاصيل ، وعليّ أن أكون كذلك . لم أكن لأكتب بالطريقة التي أكتب بها إذا كنت أكثر تساهلاً*» . ويمكن أن تعيش حياة من الوحدة . «*إذا كنت ستسألني ، أيهما أفضل ، أن يكون لديك رفيق أو أن تعيش لوحدك؟ كنت سأقول : الوحدة تعزز العمل ، لكنها تراكم الحزن . لا يوجد أحد يترك صينية أمام باب منزلي بينما أنا أكتب*» .

هذه ليست شكوى . فامرأة بمثل ذكائها ، وجاذبيتها وجمالها

قد تحصلت على العديد من العروض ، وقد تزوجت في الماضي وبالتالي هي تعرف هذه الحياة ، وهي أمّ لولدين تعشقهما . الكتابة هي ما كانت ترغب في فعله منذ أن كانت شابة ، وإن كان عليها الاختيار بين حياتها الأدبية أو الحياة الزوجية ، فإن الكتب من ستنتصر . لكنها على العكس اعترفت على نحو مذهل : «*ما سأرغب به هو زوج بدوام جزئي أو رفيق ، لذا إذا كنت تعرف أحداً مناسباً لهذا التحدي ، أخبره أن يسلك هذا الطريق*» .

إنها امرأة مفعمة بالعاطفة . وبينما كنا نتحدث ، كانت تفيض المشاعر القوية والآراء الحازمة . كما أنها تمتلك حس دعابة عالٍ . وقد نبّهت من الصخب المتواصل لوسائل التواصل الاجتماعي ، «*لم أعد أنشر التغريدات بقدر قفزي من تلك النافذة*» . وتلوم رجال الأعمال على «*نهمهم ليس للمال فقط بل للمزيد من المال*» ، حتى أنها طلبت مني أن «*أتكلم أقل الآن*» حين راحت تشرح باستفاضة المزيد من آرائها . إنها متألقة ، مفعمة بالتحدي ، وهي أعمق فائدة استمدتها من قضاء حياتها تلاحق طموح طفولتها في أن تصير كاتبة .

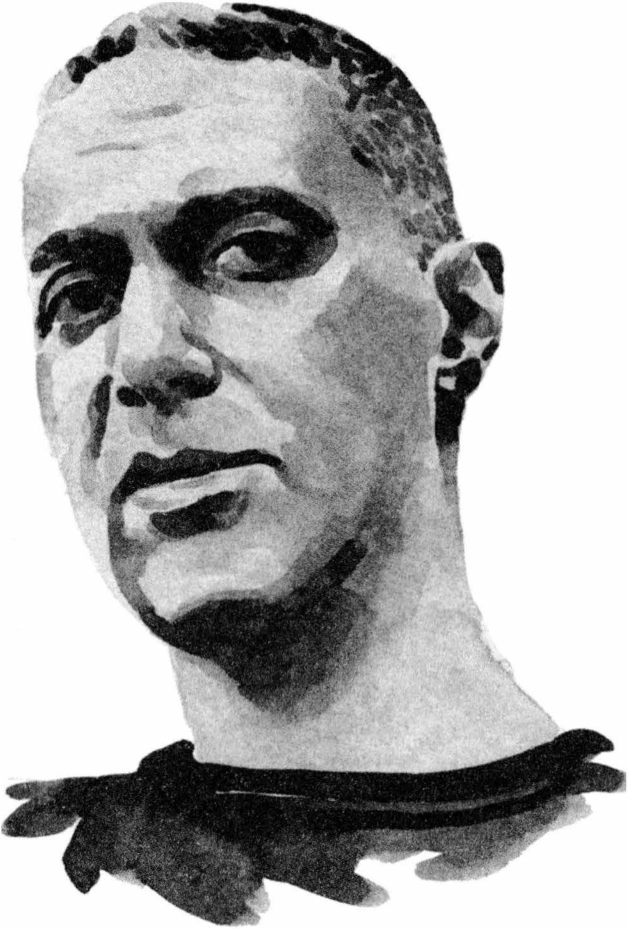
وبالتالي فمن المناسب أن تكون نصيحتها قصيدة في حياة يقضيها المرء في تتبع ما تجرأ على أن يحلم به منذ أن كان صغيراً .

«لكل شخص يطمح لأي شيء أقول : احتفظ بالبراءة والقناعة اللتين بدأت بهما . كن منفتحاً للمفاجأة والدهشة والرعب في العالم ، لكن ابق وفيا لتطلعك الأول . ولا تنس أبداً ما يثيرك» .

«لا تنس أبدا

ما يثيرك»

إدنا أوبرين



نيتين سوهني غير قابل للتحديد

سواء أكنت تبحث على عازف قيثارة الفلامنكو ذو صيت عالمي ، أو مؤلف موسيقي لفيلمك الجديد ، أو عازف بيانو ليعزف موسيقى ألبرت هول ، أو ممثل في أحدث سيتكوم على البي بي سي ، أو مؤلف أغاني لألبوم شاكيرا القادم ، أو دي جي في القاعة الرئيسية لنادي فابريك ، فمن الأفضل أن تتصل بنيتين . الرائع نيتين سوهني ، الكاتب/المنتج/الموسيقار/الملحن/ هو كل ما سبق وأكثر . وهذا فقط جانبه الموسيقي . أمّا إذا كان لديك مسألة رياضية عسيرة تحتاج إلى حل ، أو مشكلة قضائية تحتاج إلى تسوية ، أو بعض المسائل حول حسابات هذه السنة ، فبصفته خبير في الرياضيات ، ومحام ومحاسب ، يمكنه تقديم المساعدة في هذا أيضاً . لا يخفي الموهوب موهبته .

أنا في مجمع الأستوديو الخاص به ، الذي هو عبارة عن ملبنة قديمة خلف شارع بريكستون هاي . ولأصل إلى هناك ، مررت بضريح ديفيد بوي ، الذي توفي مؤخراً . وذكرتني كتابات الحزن الغزيرة ، والعدد الكبير من الناس الذين حجوا إليه ، بالحقيقة البسيطة أنه بالنسبة للعديد من الناس فإن الموسيقى هي الحياة ، أو بالتأكيد أحد أفضل جوانبها .

يوافقني نيتين سوهني على هذا . ويصف ذلك اليوم الذي ظهر فيه البيانو القديم في المنزل ، حين كان فتًى صغيراً ، بـ «*أحد أسعد أيام حياتي . لم أستطع الابتعاد عنه . كان الضرب على المفاتيح*

أشبه بانفجار للاحتمالات . كان بإمكاني سماع العديد من الألوان ، كان هناك الكثير من إمكانات التعبير» .

منذ صغره ، كان لديه الكثير ليقوله .

ويرجع هذا إلى طفولة نيتين في سنوات السبعينات بمدينة روشستر ، مقاطعة كنت ، والتي كانت وقتها معقلاً للجبهة الوطنية . كانت العنصرية مستشرية وكان نيتين الفتى الآسيوي الوحيد في صفه ، إن لم يكن في المدرسة بأكملها . كان هناك «*عنف كبير تجاهي ، الكثير من العنصرية ، لقد كانت أوقات فظيعة وشعرت دائماً أنني غريب ، لكنها منحتني الكثير لأفكر فيه . كنت في حاجة للتخلص من همومي*» . مع ذلك البيانو ، والموسيقى عموماً ، وجد الطريق لفعل ذلك .

وكان ثمّة تأثير إيجابي آخر من طفولته ساعد في تفسير منهجه الوافر في الموسيقى ، والذي جاء من والدته ، الراقصة الهندية التقليدية التي تستلهم من مختلف أشكال الفن والطبوع الموسيقية . وأوضحت له أنّ الحدود التي يرسمها البشر بين مختلف ضروب الفنون هي وهمية ، وأنّ كل الموسيقى والفن هي تعبير خالص لا يحتاج إلى تصنيف .

وإلى حد ما ، حارب نيتين حاجة العالم المتزعزعة لتصنيف عمله عبر كل مسيرته المهنية . فبعد أن تم ترشيحه لجائزة ميركوري ، ذكر أنه كان في أحد محلات التسجيلات حيث أظهرت الشاشة المخصصة لمرشحي تلك السنة كل الفنانين الأحد عشر باستثنائه هو . وحين سأل عن السبب ، قيل له : «*نيتين سوهني يصنع موسيقى عالمية ، لذا فإنه يباع فقط خارج هذا القسم*» . وفي مناسبة منفصلة حين سأله صحفي حول شعوره لكونه «قائد الجماعة

الآسيوية» ، رد نيتين أنه لم يفهم السؤال . في حين ظل الصحفي يعيد السؤال نفسه ، «*شرحت له أنني صنعت موسيقى فقط ، والتي لم تكن آسيوية ، ولا تنتمي لجماعة سرية ، أيّاً كان معنى هذا ، وأنني لم أكن قائداً لأي شيء*» . أنهى الصحفي المقابلة وكتب مقالاً ينعت فيه نيتين بالبغيض عن عمد .

وتتعلق فلسفة نيتين ونصيحته ببعض من هذه الخبرات ، وتوجه الناس لمقاومة رغبة المجتمع في الوسم والتصنيف :

«لا تدع الآخرين يحددونك ويحددون حياتك . لا تكن محدّداً من خلال توقعات الآخرين عنك . لا تكن محدداً بالوقت ، ولا بما أنجزته حتى اللحظة ، لأنه ينتمي إلى الماضي ، ولا بطموحاتك ، لأنها تنتمي إلى المستقبل . تناغم مع ذاتك وحددها بأن تكونَ ذاتك الحقيقية الأصيلة في كل لحظة . اكتشف الأشياء التي تجلب السعادة لروحك ، وقم بها . تلك هي حريتك التي بين يديك ، والتي تمنحك القوة لتقاوم عالماً يسعى للتحكم فيك أو تصنيفك بشكل ما» .

نيتين سوهني : غير قابل للتحديد



جوهر جو مالون

كان جوّاً مشمساً في لندن ؛ لذا طلبنا نبيذ روزي للاحتفال . كانت الخيارات متاحة ، وقد عرضت عيّنات من مختلف أنواع النبيذ . رفعت جو مالون كل كأس لتتذوّقها . وافترضت أنها ستتذوقها ، لكنها راحت تنتقي ببساطة من خلال الشم . ففكرت في نفسي عقب ذلك : بالطبع كانت لتفعل هذا .

جو مالون هي أشهر صانعة عطور في العالم . وباعتبارها مؤسسةُ اثنتين ، وليس فقط واحدة ، من أنجح مؤسسات العطور ، فإن أَغلب الناس يعرفون اسمها ، لكنهم لا يعرفون قصتها . وإن كان عليها أن تصوغ جوهر قصتها في عبارة واحدة فسيكون على هذا النحو : «**إذا أعطتك الحياة ليموناً فاصنع منه ليموناضة**» .

تصف جو نفسها بالفتاة المنحدرة من الطبقة الكادحة في بيكسليهيث ، التي عانت من عسر القراءة ، وبليت بلاء حسناً . قد تكون لديها موهبة فطرية في صنع العطور ، والتي ترجعها في جزء منها إلى عسر القراءة - «*عقلي يعمل على نحو مختلف ، أرى التراكيب والألوان وبإمكاني ترجمتها إلى روائح وعطور*»- لكن ولوجها الأول لعالم المنتجات الجمالية كان لأسباب مؤلمة . فحين كانت جو في الحادية عشرة من عمرها ، عانت والدتها من انهيار عصبي حاد ، وقالت موظفة الخدمات الاجتماعيّة أنّه إذا كانت والدتها ستبقى في المستشفى ، فلابد أن تذهب هي وأختها للرعاية .

ومما يثير الدهشة ، أنّ جو أقنعت الأخصائية الاجتماعية بأنها

قادرة على تحمل مسؤولية إعالة الأسرة. ولكسب المال، تذكرت ما رأت والدتها تفعله كسيدة ريفلون[1]: تصنع كريمات للوجه في المنزل وتبيعها للسيدات الثريات في فولهام. لذا قامت بالأمر ذاته، ونجح، وجنت ما يكفي من المال لإعالة الأسرة حتى تتعافى والدتها. «*تعلمت باكراً أنّه حين تحدث الأشياء السيئة فبإمكانك إما تركها تتغلب عليك؛ أو النهوض لمواجهتها. وإذا فعلت ذلك، فسيكون بإمكانك دائماً قلب الأمور*».

وساهمت تجربة ثانية من طفولتها في تكوينها على حد سواء: حين اضطرت جو للوقوف على المكتب عقاباً من المعلمة لأنّها استرقت نظرة من ورقة امتحان زميلتها (عسر القراءة لدى جو يعني أنّها لا تفهم أيّاً من الأسئلة المكتوبة). «*شعرتُ بإهانة شديدة. وقالت المعلمة أمام الصف بأكمله إذا غششتِ فإنك لن تنجحي أبداً في حياتك، جو مالون*».

حين قصت جو هذه القصة، كان بالإمكان استشعار الشحنة العاطفية، حتى بعد مرور ما يقرب من أربعين سنة. «لقد ظللت أتذكر تلك اللحظة طوال حياتي. ولم أسمح أبداً بأن تجعلني أشعر بالمرارة، لكنني سمحت لها بأن تحفزني. أتذكر أنني كنت أنظر من نافذة بيتنا الصغير وأفكر: «*إنها مخطئة. سأفعل شيئاً في حياتي، ولن أظل هنا*».

بالتأكيد، لم تتكون طفولتها من هذه اللحظات السلبية فقط. إذ تحمل ذكريات جميلة عن والدها: «*لقد كان إنساناً لامعاً لكنه لم يعرف كيف يحافظ على شمل العائلة*». وبدل ذلك كانت حياته تدور حول ثلاثة أشياء، ساعدت كل واحدة منها في نجاح جو: فقد كان فناناً، وتاجر سوق، وساحراً، وعملت جو بجانبه في

---

(١) شركة أمريكية لصناعة مواد التجميل. (المترجم)

ثلاثتها . «*في صباح أيام السبت كنت أعمل معه في السوق ، أساعده في بيع لوحاته ، وفي المساء كنت مساعدة الساحر الخاصة به . كانت لدي حمامة بيضاء أليفة تدعى سوكي وهي التي كان والدي يخرجها من طنجرة من نار*» . وعلمتها هذه التجارب مجتمعة حيَل تجارة التجزئة ، وكيف تستخدم القصص وبعض السحر لتأسر الناس ، كل المكونات الحاسمة في العالم المتلون للحواس والمفاجآت التي صنعتها .

هذا المزيج من التجارب المختلفة ، سواء كانت جيّدة أم سيئة ، ساهمت كلها في رؤية جو للحياة . «*بالنظر إلى الخلف ، كان كل شيء مترابطاً . لا شيء في الحياة يحدث سُدًى . بإمكانك استخراج شيء إيجابي من أي شيء*» .

وكان تشخيص إصابتها بسرطان الثدي في منتصف الثلاثينات من عمرها أقصى اختبار لمنهج الحياة هذا . كانت ترتدي أجمل ثيابها وأقراطها في طريقها إلى حفلة صيفية ساحرة حين تلقت الخبر . قال طبيبها أنه كان أحد أسوأ أنواع سرطان الثدي الخبيث التي رآها ولم يتبق لها سوى تسعة أشهر للعيش . لم تستيقظ غريزتها في الكفاح مباشرة . بل متأخرة بعض الشيء ، حين جلست في سريرها تبكي ، وابنها ذو السنتين يسألها ما الخطب .

«*وعند فكرة أنني سأرحل عنه ، امتلأت بروح القتال . فكرت في نفسي «لا أحد سيخبرني متى سأموت . أنا من سيخبركم متى أموت*» .

وتعزو إلى زوجها نصيحة قوية : «*قال لي أن أحارب السرطان بالطريقة ذاتها التي أبني بها أعمالي ، وظل هذا عالقاً بذهني . وكنت أعلم أنني إذا كنت أواجه مشاكل في العمل ، فإنني سأبحث عن أفضل محام . لذا رحت أبحث عن أفضل طبيب*» . بعد ثلاثة أيام كانت جو على متن طائرة متجهة للولايات المتحدة .

ووضعت نفسها تحت رعاية أخصائي أورام رائد وتحملت العلاج الكيميائي كل خمسة أيام لمدة سنة . كان اثنا عشر شهراً قاسياً على نحو لا يصدق ، والتي انتهت بزوال الخطر . «*في آخر يوم لي من العلاج الكيميائي ارتديت نفس الثوب والأقراط التي كنت أرتديها وأنا ذاهبة إلى الحفلة ، واستعدت ذلك اليوم الذي أخذه السرطان مني*» .

في حين كان تغلبها على السرطان هو أكبر عقبة اضطرت لتجاوزها ، تحدثت جو عن كيف كان بيع شركتها صعباً أيضاً . ليس فقط أنّها عانت من الإحساس بالخسارة الذي غالباً ما ينتاب رواد الأعمال حين يرحلون عن شركاتهم ، بل أنها فقدت الحق في استخدام اسمها الخاص في المستقبل ، إذ صار الآن ملكاً للشركة الجديدة ، ولم تعد قادرة على القيام بالشيء الذي أحبته أكثر في هذا العالم : صناعة العطور . فما الذي تصنعه الآن؟ بمجرد أن انتهى عقد عدم المنافسة ، بدأت في بناء إمبراطوريتها الثانية ، جو لوفز ، عطر واحد ومتجر واحد في نفس الوقت .

وتعكس نصيحتها روح التحدي ورفض الخضوع للظروف الخارجية . وتشير إلى أن علينا أن نتذكر ، في النهاية ، أننا دائماً في السيطرة .

«*مهما كان الأمر سيئاً ، ليس هناك وضع أكبر منك . أمامك دائماً ثلاثة خيارات : بإمكانك تغيير الوضع ، تقبل الوضع أو تغيير الطريقة التي تنظر بها له . والقوة بين يديك لاختيار أيّها أفضل بالنسبة لك . لا تسمح أبداً لشيء ما أو رأي شخص ما أن يصبح عنوان كتابك . أبداً*»

وقالت الجزء الأخير بنوع من الحيوية والشغف حتى بدا واضحاً أنه لو كان بإمكانك أن تأخذ ما تملكه جو وتعبئه في زجاجة ، فستجني الكثير من المال .

«تعلمت باكراً أنه
حين تحدث الأشياء السيئة
فبإمكانك إما تركها تتغلب عليك ،
أو النهوض
لمواجهتها . وإذا
فعلت ذلك ، فسيكون بإمكانك دائماً
قلب الأمور» .

جو مالون



بير غريلز، وُلِد ناجياً

قد يُغفر لك افتراضك أن بير غريلز ، الجندي السابق ، متسلق إيفرست ، خبير النجاة والمغامر ذو الصيت العالمي ، قد يكون مفتول العضلات بعض الشيء ، وقد صقلها الوقت الذي قضاه في الجيش ومعاركه العديدة مع الموت ، لكن الأمر ليس كذلك . لن أكون غبياً جداً لدرجة وصف بير بالناعم بعض الشيء ، لاسيما لدى الجلوس مباشرة أمامه ، لكن لديه دفء وطيبة ليس بالضرورة أن تتوقعها لدى كوماندوس قوات الخدمات الجوية الخاصة .

كنا نتبادل الحديث في الكواليس بعد أن أنهى بير التحدث لمئات المعلمين حول تسلق إيفرست في سن صغيرة (حيث بلغ القمة حين كان في الثالثة والعشرين من عمره ، بعد سنتين من تعرضه لحادث بالمظلات أين انكسر عموده الفقري وقيل له أنه لن يستطيع المشي أبداً) وعن مصدر تحفيزه ومرونته . ومن المثير للاهتمام ، أنك حين تسمعه يروي مغامراته ، لن تجد في ذلك أيّ تبجح : إذ يقلل من شأن نجاحاته ، ويعزو الفضل فيها إلى الآخرين ، ويصور نفسه على أنه شخص يكافح باستمرار على طول الطريق .

في عالم بير لا بأس من الكفاح . بل إن الاستمرار في الكفاح هو ما يؤدي إلى النجاح .

«سيكون هناك دائماً من هو أسرع ، وأذكى ، وأطول ، وأكثر خبرة منك ، لكن المكافآت في الحياة لا تذهب إليهم . مكافآت الحياة تذهب للعنيدين ، ذوي العزيمة ، أولئك الذين بإمكانهم

مواصلة التقدم والنهوض بأنفسهم دون أن ييأسوا ، ويواصلون تمسكهم بالحياة ، بهدوء أحياناً وبعيداً عن الدراماتيكية» .

على انفراد ، يستمر تواضعه ، ودون أن يكون خجلاً ، يبدو كشخص أكثر ارتياحاً عند تسلق جبل ، منه عند الذهاب إلى حفلة . في المقام الأول ، هو رب أسرة . ويُرجع كثيراً ممّا يقوله إما لأبويه أو لتجربته في أن يكون أباً هو نفسه . كان ولوجه لعالم المغامرة من خلال والده الذي كان يأخذه للتسلق حين كان صغيراً . فأحب بير تجربة التعلق بالحبل بإشراف من والده . «كانت تلك المرة الأولى التي أجد فيها شيئاً أجيده . لم أكن أبداً أبلي بلاء حسناً في المدرسة ، لكن كان بإمكاني التسلق أعلى من أي شخص آخر» . وقد فتح له هذا البابَ على حياة «*أكون فيها في العراء ، أذهب في مغامرات ، أتلوث بالوحل ، وأمارس مهنة لم أكن حتى لأحلم بها وأنا طفل صغير*» .

وكحال أغلب الناس الذين يمتلكون مسيرة تتخذ مع الخطر علاقة احترافية ، فإنه يحترم للغاية المخاطر التي يواجهها . وقد أوضح أنه لم «يتغلب» على إيفرست : «*نحن لم نتغلب على أي شيء ، لقد وصلنا إلى الأعلى بمشقة كبيرة ونجونا بحياتنا حين لم يفعل غيرنا*» . وقد مات أربعة أشخاص كان يعرفهم بير على الجبل في الوقت ذاته الذي كان هو يتسلقه .

ولتلطيف الأجواء ، راح يستذكر المرة التي أرى فيها والدته بفخر صورته على قمة إيفرست ، وكانت الصورة قد التقطت بعد رحلة دامت ثلاثة أشهر ، قضى فيها أياماً في منطقة الموت يلهث لأجل الهواء ، مدركاً أن كلّ خطوة قد تكون خطوته الأخيرة . حينها ألقت والدته نظرة واحدة على الصورة وقالت : «*أوه ، بير ، كانت ستكون أجمل لو أنك سرحت شعرك*» .

«*ستظل الأمهاتُ أمهات*» ، قال وهو يبتسم للذكرى .

ويرجع الفضل في جزء من أهليته في تحمل مشقات مغامرته إلى إيمانه . بينما يؤكد أنه «*لا أحد ملحد في منطقة الموت*» ، ومسيحيته المُطمئنة هي شيء ينشده كل يوم ، بعيداً عن الجبال . «*أنا أعلم أنني لا أستطيع الاعتماد على الثقة بالنفس ، وأنا شخصياً لست قوياً بما فيه الكفاية ، لكن تنمية ثقتي في شيء أقوى مني يمنحني قوة أكبر ، لذا أبدأ كل يوم بالركوع على ركبتي في سكينة وأسأل العون والحكمة وأطلب الغفران على ما اقترفته من أخطاء بالأمس*» .

هو ليس إنجيلياً في إيمانه لكنه منفتح فيما يتعلق به . وحين استضاف أحد أبطاله ، الرئيسَ أوباما ، إلى برنامجه ، «*الجري في البرية*» ، بهدف رفع الوعي بالتغيرات المناخية ، حيث أشار السيد الرئيس أيضاً لمخاطر صيد الدببة وفوائد شرب البول ، سأل إن كان بإمكانه الصلاة مع الرئيس الذي ، بصفته هو الآخر رجلاً ذا إيمان وقيم عائلية ، وافق عن طيب نفس .

وبالنظر إلى مقاربته في الإيمان ، والعائلة والصداقة ، من المفاجئ أن يكون بير عرضة للنقد أحياناً بسبب برامجه التلفزيونية ، التي يدعي البعض أنها تروج للنزعة الذكورية وإراقة الدماء والعرق والدموع . ولكن ليس لديه الوقت لمثل هذه السلبية ، حيث قال إنّ كل من يعتقد أنّ هذا هو المغزى من برامجه فقد فاته الكثير . في الواقع ، يقول إنّ ما تعرضه برامجه التلفزيونية ، مراراً وتكراراً ، هو ما يقدمه أيضاً كأفضل نصيحة :

«ليس أولئك الأكثر
رجولة ، أو أصحاب
العضلات المفتولة هم من يفوزون . بل
أولئك الذين يهتمون
ببعضهم البعض ، والذين يظلون
مبتهجين في المحن ، الطيبون المثابرون
والإيجابيون . هذه هي
الميزات التي تساعدك ،
ليس فقط للنجاة في

الحياة ، بل للاستمتاع بها أيضاً ،
والتي لا علاقة لها
بجنسك . إن الأشخاص
الناجحين هم الأشخاص العاديون
الذين يمضون أبعد بقليل ،
والذين يقدمون أكثر بقليل
مما طلب منهم ، الذين يعيشون ضمن
نسبة الخمسة في المائة الإضافية تلك» .

بير غريلز



تعليم دمبيسا مويو

إذا ما أردت نموذجاً يُحتذى به للقوة التحوليّة للتعليم والإمكانات غير المحدودة لأفريقيا، فسوف تجد صعوبة في العثور على مرشح أفضل من عالمة الاقتصاد العالمي والكاتبة صاحبة أعلى مبيعات دمبيسا مويو. ولدت دمبيسا وترعرت في زامبيا ما بعد الاستعمار، وبعد أربعين عاماً ها هي تجلس أمامي كحائزة على شهادة دكتوراه من أوكسفورد، وماجستير في إدارة الأعمال من هارفارد، وعضو في مجلس إدارة بنك باركليز، ومن بين المائة شخصية مؤثرةٍ في العالم حسب مجلة التايمز. إنها امرأة حادة جدّاً تمتلك من الطاقةً ما يكفيٍ لتزويد قارتها الأم.

كانت واضحة جدّاً فيما يتعلق برحلتها من منشئها إلى الحياة التي تعيشها الآن. «*كانت القدرة على الذهاب إلى المدرسة هي محور حياتي*». ووضعت هذا ضمن سياق متابعة: «*حسنًا، لم تكن لدي أي شهادة ميلاد؛ لأنه في الوقت الذي ولدت فيه، لم تكن شهادات الميلاد تستخرج للسود. لذا يمكنك أن تتخيل أنّه لم يكن هناك الكثير من التشديد على ذهاب الفتيات من أمثالي إلى المدرسة*». *لكن أبويها كانا مختلفين. فبالرغم من أنهما ولدا في بلد كانت تُفرض فيه قيود على ذهاب السود إلى المدرسة، إلاّ أنّهما كانا يعرفان أهمية تلقي دمبيسا للتعليم*. «*قالا: «يجب عليك الذهاب إلى المدرسة، لا ندري ما قد يبدو عليه الأمر بالنسبة لك، لكن عليك فعل ذلك». وغيّر هذا مسار حياتي إلى الأبد*».

إنّ تعليمها الأفريقي هو شيء تمتن له وقد عارضت، وعملت

على قلب المفاهيم الخاطئة حول أفريقيا باعتبارها قضية ميؤوسٌ منها، واعتمادها فقط على المساعدة. «*إلى جانب جزر الكاريبي، تقدّم قارتي ما يزيد عن ٩٠ بالمائة من السود الذين يذهبون إلى جامعات رابطة اللبلاب في الولايات المتحدة. يُنظر إلى أفريقيا كقارة للفساد والأمراض، والفقر والحرب، لكنها مصدر غالبية السود الذين يذهبون إلى تلك المدارس ويمكنهم التنافس على المستوى العالمي. حين كنت طفلة، تلقيت تعليماً في أفريقيا أفضل من الكثيرين ممن أعرفهم والذين نشؤوا في الغرب*».

وتخشى دمبيسا أن تصبح هذه المجتمعات الغربية نفسها متفككة عن غير قصد وعلى نحو عنصري، حيث يعيش السود والبيض في المدينة ذاتها لكن مع حياة منفصلة بشكل متزايد. «*لقد جئت لتوّي من غداء عمل في مايفير. كان هناك ستون شخصاً. وكنت الشخص الوحيد الأسود والمرأة الوحيدة بينهم. كنت أعرف الناس هناك، وكنت لأتجه نحو حبل المشنقة وأنا أقول إنّهم ليسوا عنصريين. لكنّني نظرت من حولي وفكرت «يا إلهي، إنه عام ٢٠١٦ وهذه لندن، لو لم أكن هنا، لن يكون هناك شخص واحد أسود أو امرأة واحدة في هذه القاعة*».

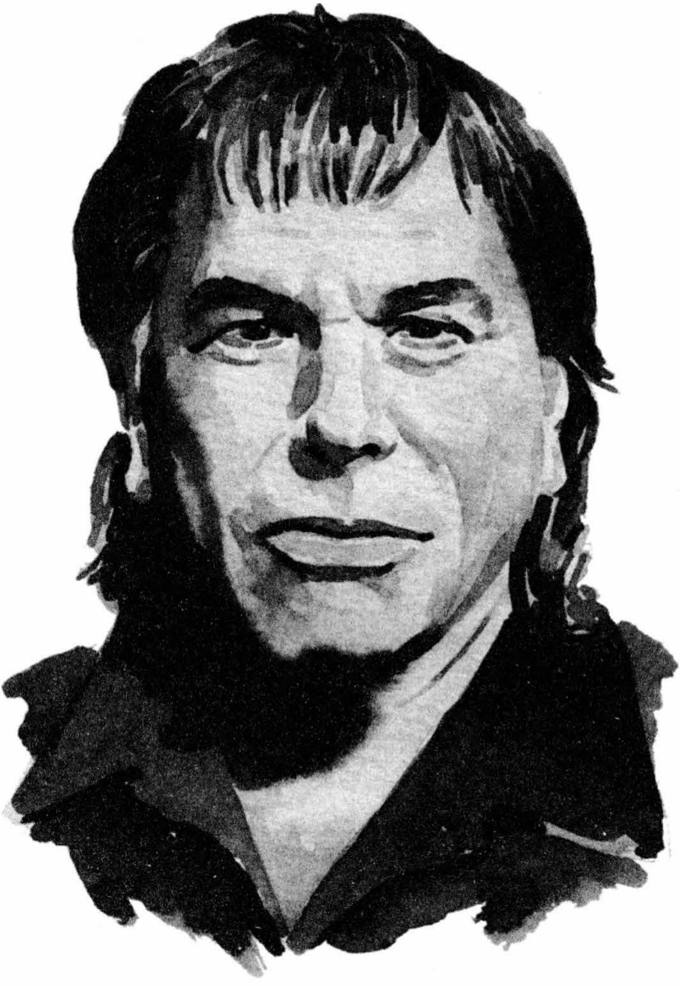
وأوضحت أيضاً أن الأشكال المباشرة للأحكام المسبقة ما تزال حية في القرن الحادي والعشرين. حيث روت قصة صادمة إلى حد ما عن حضورها أول اجتماع سنوي عام لها، اجتماع المساهمين في شركة عالمية كبرى بصفتها المديرة التي تمّ تعيينها حديثاً. وحين جلست على المنصة إلى جانب زملائها الإثني عشر من أعضاء مجلس الإدارة - الذين تصادف أنهم جميعاً رجال بيض- ورد سؤال من الحضور، وكانت امرأة تسأل بنزق: «أريد أن أعرف ما هي الشهادات التي تسمح لتلك المرأة أن تكون على المنصة». حينها

أوضح الرئيس أن كل أعـضـاء مـجلس إدارتهم هم من ذوي الكفاءات، فاهتاجت السيدة، قائلة إنّه يجب عليك أن تجيب على سؤالي، ما هي مؤهلاتها. حينها سارع أحد زملائها للتأكيد: «لديها شهادة دكتوراه في الاقتصاد من جامعة أوكسفورد، وماجستير من هارفرد وعملت لعشر سنوات في بنك جولدمان ساكس. هل هناك ما تريدين قوله؟»

سألتُ دامبيسا إذا كان افتراض أنّها لا تستحق أن تكون هناك قد ضايقها بشكل ما. «*إن هذا ما تتعامل معه كل يوم حين تكون أقلّيةً. فتتعلم ألاّ ترد عليه ولا تدعه يحددك. لذا جلست هناك فقط وفكرت، «انظري، أيتها السيدة، أنا بخير، ليس عليك أن تقلقي عليّ وعلى مؤهلاتي»، إليكَ هذا الأمر، حين نزلت من المنصة، قال لي رجلان من أعضاء المجلس: «حمداً لله أنهم لم يسألوا عن مؤهلاتنا»، وقال أحدهما أنّه لم يذهب حتى إلى الكلية*».

وحين نأتي إلى أهم نصيحة لديها، فإنّ هذه العقود من التوقعات المربكة والافتراضات الجاهلة والمتواصلة حول أفريقيا، وحول النساء، وحول لونها هي التي شكلت خلفية أعمق وأكثر جوهرية لنصيحتها:

«أعلم أن الأمر يبدو مبتذلاً نوعاً ما، لكنني كل يوم أتطلّع في المرآة وأقول لنفسي أنني سأذهب إلى هناك وأواجه الأمر ولن أتكور حول نفسي لأن أحداً قال شيئاً أو فكر في أنني لا أستطيع أن أكون أو أفعل شيئاً ما فقط لأنني ما أنا عليه. الأمر صعب، لكن عليك القيام به. انكب على العمل الشاق، والالتزام والتركيز وواصل التقدم. تذكر أن هناك العديد من الأشخاص، من يشبهونك ومن لا يشبهونك على حد سواء، الذين يشجعونك لتبقى قوياً، وتثبت للمناهضين خطأهم».



إيقاع ميكي هارت

عادة ما يكون الأشخاص البارزون مركِّزين تماماً في أعمالهم، هذا أمر مسلم به. لكن لا أحد، وأنا أعني لا أحد، أكثر تركيزاً من ميكي هارت، قارع الطبول في غرايتفول ديد، فرقة السايكيديلك روك، من سنوات الستينات إلى يومنا هذا. واختصاص ميكي هو «الإيقاع»، وهو منغمس فيه بالكامل.

في المناسبة التي التقى فيها مسارانا للمرة الأولى، كنت أسمعه قبل أن أراه. كان هناك صوت قرع ونحيب متردّد يأتي من ركن منعزل أوقدت به نار، في هذا الجزء النّائي من مرتفعات غواتيمالا حيث كنا نقيم.

بفضول، توجهت نحو المكان الذي كان ينبعث منه صوت القرع، فوجدت ميكي هناك، يجلس القرفصاء، مغمض العينين، يتمايل بالقرب من النار، مع أربعة من شامان المايا، الذين كانوا ينفخون، ويهزون ويضربون على آلاتهم التقليدية، بنفس الإيقاعات القديمة والأصوات التي كان أسلافهم يقومون بها وسط هذه الهضاب المكسوة بالغابات منذ آلاف السنين. وكان ميكي يستشعر ذلك.

لقد سافر إلى هذه البقعة النائية جدّاً ليحتك بالشامان في بحثه المتواصل عن إيقاعات جديدة. وهذا هو ما يفعله: إنه يصنع الإيقاعات.

ولوضع هذا ضمن سياق، فإن هذا الرجل يمتلك مختبراً بناه خصيصاً في منزله، أين يجلس مرتدياً خوذة الإيقاع المصممة خصيصاً

له ، وهي أداة موصولة بماسح التصوير بالرنين المغناطيسي لقياس تأثير مختلف الإيقاعات التي يضربها على دماغه . إنه الرجل ذاته الذي عمل مع وكالة ناسا ليصغي لإيقاعات الكون ، ويسجل الضربات البعيدة من المجرات النائية ، واصفاً الانفجار العظيم «*بالنوتة الأولى الواطئة للكون*» . إن الأمر كونيٌ جداً ، بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، لكنه يشكل مساع جادة . وكان آخر مشروع عمل عليه مع مجموعة من الأطباء لدراسةً تأثير مختلف الإيقاعات على الأمراض : هل هناك ترددات بإمكانها أن تؤثر على الخلايا المريضة ومساعدتها؟ إذا كان بإمكان أي شخص معرفة ذلك ، فإنه ميكي .

وبالتالي تأتي نصيحته ، دون مفاجأة :

«*إذا كنت سأقدم نصيحة واحدة ، فهي هذه : الحياة كلها مرتبطة بالإيقاع . نبضات قلبك ، حياتك الجنسية ، الفصول ، كم مرة تتصل بوالديك ، أيامك الجيدة مقابل أيامك السيئة ، الحمض النووي الخاص بك ، الكون : لكل شيء إيقاع . عليك أن تطور أذناً مرنة وتصغي . كلما أصغيت لإيقاع حياتك ، ستسمعها أكثر . اعثر على إيقاعك . عش حياتك على إيقاعها*» .

أمّا الآن فقد عاد مع الشامان . وكانوا لا يزالون في حالة النشوة تلك ، يستحضرون أسلافهم ، آلهةً ووحوشاً . كان ميكي يبجّل الشامان ويحترم عاداتهم ، لكنه كان أيضاً منشدًا للكمال . فبالنسبة لأذنه ، كان هناك خلل ما ، ونقص ما . إنه في صدفة المحارة . أو بدقة أكثر في الطريقة التي يتم بها النفخ في صدفة المحارة . كان ميكي يعرف طريقة أفضل لذلك ، فأوقف العملية ، وشرح من خلال المترجم طبيعة المشكلة ، وبنفخة واحدة قصيرة ، أدخل ميكي تحسينات على تقنية تعود إلى خمسة آلاف سنة . وبدا الشامان منبهرين .

«اعثر على إيقاعك .

عش حياتك على إيقاعها» .

ميكي هارت



حديث مع كلار بالدينغ

أعتقد أنه قد تمت مناداتي للتو بـ «ذَكَر بيتا» . أنا مع كلار بلادينغ ونحن نتحدث عن المساواة بين الجنسين ، حيث قالت إنّ ازدياد عدد الذكور بيتا هو أمر إيجابي ، ونظرتِ باستحسان إليّ . لست متأكداً تماماً من شعوري حيال اعتباري واحداً منهم . أعتقد أنني قد أحببت هذا سرّاً ، وهو ما يثبت ، إذا كان الأمر صحيحاً ، توكيدها . ومن المحتمل أن يجعلها هذا أنثى ألفا ، على الأقل خلال هذه المحادثة .

من المؤكد أنه حين يتعلق الأمر بالتقديم فإن كلار بلادينغ تأتي في المقام الأول ، بلا منازع . لقد كانت في مواجهة الكاميرا خلال ست دورات من الألعاب الأولمبية ، وخمس دورات من الألعاب شبه الأولمبية ، وثلاث دورات من أولمبياد الشتاء ، ودورتي ويمبلدون ، وعدد لا يحصى من سباقات الخيل وسيل من البرامج التلفزيونية والإذاعية . ضف إلى ذلك ، فإنها صاحبة المذكرات الأعلى مبيعاً ، والخطب العامَة الدائمة ، وكتاب جديد للأطفال . ستستشعر أنّها امرأة طموحة تعمل بجد ، بقدر الرياضيين الذين تحاورهم .

وحين تذكر كلمة «طموح» ، فإنها تثير لحظة تفكير لديها . «*من المضحك أنني تلقيت العديد من مقالات النقد الصحفية قديمة الطراز حيث كتب : «إنها طموحة جدّاً» ، كما لو أن هذا أمر سلبي لأنني امرأة . لكنني فكرت ، «هذا صحيح جداً ، فأنا طموحة ، ولما لا أكون كذلك؟ هل يجب أن أرغب في أن أحلّ في المقام الثاني؟*» .

لسوء الحظ فإن التمييز ضد المرأة ليس بالشيء الجديد بالنسبة لكلار ، فقد تعرضت له منذ لحظة ولادتها بالضبط . «*ألقت جدتي عليّ نظرة واحدة في المهد وقالت لوالدي : «آه إنها فتاة . لا عليك ، فقط عليكما الاستمرار في المحاولة*» . كان ذلك أسلوب حياة عائلة أين قيل لكلار باستمرار أنّ النساء لا يستطعن فعل بعض الأشياء وعليهن التصرف بطريقة معينة . لحسن الحظ ، كان لهذا تأثير

معاكس وظلت تثبت لهم أنهم على خطأ منذ ذلك الحين .

بالإضافة إلى الطموح والتفاؤل ، ستتلمس فيها أيضاً المرأة المهتمة على الدوام . إنّ هذا في الواقع أحد أهم النصائح التي تقدمها : «*كل ما تقوم به هو فرصة للتعلم . لكل شخص قصة يرويها ، وإذا اعتقدت أن شخصاً ما ممل فهذا لأنك كنت تسأل الأسئلة الخاطئة*» . ومع فضول طبيعي ، وجدتْ رسالتها الحقيقية في مسيرة مهنية تشمل البحث ، وإجراء المقابلات ، والتقديم .

وتأخذ كل ما يتعلق بالعروض المباشرة على محمل الجد ، وتحظى بالاحترام لفوزها بكل الجولات لأجل التقديم . ومن وجهة نظرها ، فإن الأمر مرتبط بمساعدة المشاهدين في أن يختبروا ، وهم في منازلهم ، ما تختبره هي هناك وسط الحدث . «*الأمر أقرب لخلق واقع افتراضي لكن دون النظارات*» . وحتى تتمكن من القيام بهذا فعليك ، حسب كلار ، إزالة كل الأنا : لا يتعلق الأمر أبداً بالمقدّم ، بل بما يحدث من حولك . الأمر الحاسم الآخر هو اختيار المفردات ، عليك بناء جمل مثيرة للعواطف بسهولة وسرعة . وحيلتها في هذا هو قراءة الكثير من الأدبيات ، لاسيما الشعر ، وبذلك تمتلك اللغة لتبعث الحياة فيما تراه من خلال الكلمات .

ربما تكون هذه مصادفة ، لكن نصيحتها الأثمن متعلقة بالكلمات ، وفي هذه الحالة على وجه التحديد ، بالنعوت .

«*في الحياة ، نحن لسنا ما نبدو عليه ، لسنا جنسنا ، أو ديننا أو عرقنا ، نحن ما نقوم به والأثر الذي نخلفه في نفوس الآخرين . وأفضل طريقة للتفكير حول التأثير الذي نتركه على الآخرين هي النعوت . أسأل نفسي : «ما الشخص الذي أريد أن أكون عليه؟» لكن لا أجيب إلا باستخدام النعوت ، وليس الأسماء . ماذا عن أن أكون لطيفة؟ متعافية؟ طموحة؟ هل التفكير على هذا النحو يؤدي بي إلى مكان مثمر ومُرضٍ أكثر؟ أعتقد أنه على الأرجح يفعل*» .

إنها طريقة فريدة للتفكير حول التطوير الذاتي ، ولم تترك لي سوى سؤال واحد فقط : هل كانت كلمة «بيتا» نعتاً؟

«تلقيت العديد من مقالات
النقد الصحفية قديمة الطراز حيث كُتب :
«إنها طموحة جدّاً» ، كما
لو أن هذا أمر سلبي لأنني
امرأة . لكنني فكرت ،
«هذا صحيح جدّاً ،
فأنا طموحة ، ولمَ لا أكون
كذلك؟ هل يجب أن أرغب
في أن أحلّ في المقام الثاني؟»

كلار بالدينغ



نانسي هولاندر، محامية الجيو جيتسو

أنا جالس أشرب شاي النعناع البستاني مع ديفيد، عدوّ جاليت[1]. لكن ديفيد هذا ليس كما توقعته. أولاً: هو امرأة. ثانياً: هي أمريكية، وأخيراً: هي ضئيلة الحجم وتبلغ الثانية والسبعين من العمر.

على الأرجح أنك لم تسمع بنانسي هولاندر، وهو أمر جيّد بالنسبة لك شخصياً. إذ بصفتها محامية أمريكية للدفاع الجنائي والمدني، فلن تصادفها إلاّ إذا كنت في ورطة، سواء كنت بريئاً أو مذنباً. لكن لولاها هي، لكان هناك جزء مظلم من هذا العالم لا نعرف عنه الكثير: خليج غوانتانامو.

نانسي هولاندر هي محامية اثنين من الرجال المحتجزين في السجن الذي أقامته حكومة الولايات المتحدة على أرض أجنبية في عهد إدارة بوش. وعلى ما يبدو، فإن الإدارة قد قامت بهذا بهدف مقصود لا يقتصر فقط على سجن الرجال الذين تشتبه في نشاطهم الإرهابي، بل لاحتجازهم إلى أجل غير مسمى، دون وجه حق، ودون توجيه أي تهم إليهم، مع ممارسة الكثير من التعذيب عليهم، في انتهاك مباشر للحقوق الدستورية وحقوق الإنسان. ومع ذلك، إذا كان هناك شيء واحد تعرفه نانسي، فهو أن القانون أكبر من الحكومة. لذا فهي وعلى مدار أربعة عشر عاماً

---

(١) في إشارة إلى الكتاب المقدس: داوود وجالوت. (المترجم).

تخوض قتالاً قانونياً للدفاع عن موكليها لجعل الحكومة الأمريكية تلتزم بقوانينها الخاصة . إنها معركة بطيئة على نحو موجع لكنها بدأت تحقق الفوز .

وبصفتها خبيرة بالاستراتيجيات ، فقد توصلت إلى تحقيق نجاح تكتيكي من خلال الظفر بحق أحد من موكليها ، محمدو ولد الصلاحي ، في نشر مذكراته في سجن غوانتانامو ، وهي مذكرات تروي التسليم الاستثنائي ، الأماكن المظلمة ، الضرب الموحش ، التعذيب والإذلال الجسدي الذي تعرض له خلال الأربعة عشر عاماً التي قضاها في الأسر . كانت قراءة ذلك أمراً غير مريح ، لاسيما للحكومة الأمريكية . وساعدت الضجة التي أثيرت حول الكتاب على جلب الانتباه ليس فقط للانتهاكات الممارسة ؛ بل أيضا لحقيقة وضعية محمدو ، الذي زج به في سجن غوانتانامو لما يزيد عن عقد من الزمن ، دون وجود أي تهمة ، وحتى بعد أن صرح المدعي العام في غوانتانامو علناً أنّه لا يوجد أي دليل على أن محمدو قد ارتكب أي عمل عنف ضد الولايات المتحدة على الإطلاق .

كانت قضيته ، أو عدم وجود قضية بالأساس ، تجلياً مُقلقاً للممارسات غير الشرعية التي ظلت نانسي تحاربها باستمرار .

لكن في هذه القضية قاتلت بنجاح : بعد قرابة عقد من الزمن ، ومع طباعة الكتاب ، تحصلت على موافقة على إطلاق سراحه ، رغم أنه لم يحدد بعد تاريخ ذلك . وما يزال عملها مستمراً .

أثناء حديثنا ، كانت نانسي مركزة تماماً على الإجراءات القانونية ، ولم تكشف أي تفصيل عن إمكانية وجود معلومات سرية متعلقة بأي من موكليها أو الظروف التي اعتقلوا فيها ، حتى ولو كانت هذه المعلومات معروفةً لدى العلن . ولن تقدم على أي

فعل قد يمنح حكومة الولايات المتحدة الفرصة لتشويه سمعتها أو تقويض ما حققته حتى الآن . ونشاطها الوحيد خارج الإجراءات الرسمية يظهر في شارة الكنغر[١] المعدنية المثبتة بشكل دائم على طية سترتها ، كاحتجاج صامت على «محكمة الكنغر» ، وهو أسلوب المحاكمة التي تعرض لها موكلوها .

ولأنّها نشأت في تكساس في سنوات الخمسينات ، فإنها لم تكن بمنأى عن ممارسات الظلم . فحين كانت في العاشرة من العمر ، كانت الوحيدة في الصف التي جادلت لتدافع عن قضية براون ضد المجلس[٢] ، التي تقول أن المدارس العمومية المنفصلة مخالفة للدستور . اتصل المدرسون بوالديها ليخبروهما أنهم قلقون بشأنها لكونها حادة جداً . لكنْ لأنّ والداها كانا «يساريين مثقفين» فقد دعماها . وفي السابعة عشرة من العمر كانت تلاحق سيارات الشرطة في شوارع شيكاغو في الليل ، وتلتقط الصور لرجال شرطة يضربون الناس . وقد تم إيقافها في ثلاث مناسبات متفرقة بسبب الاحتجاج السلمي ، وقضت حياتها بأكملها تناضل لأجل حقوق الناس ، بغض النظر عما فعلوه أو لم يفعلوه . قد تكون امرأة صغيرة

---

(١) محكمة الكنغر هو مصطلح يقصد به محكمة صورية يتم فيها تجاهل مبادئ القانون والعدالة . (المترجم)

(٢) في ديسمبر عام ١٩٥٢ ، عُرض أمام المحكمة العليا بالولايات المتحدة خمس قضايا في قائمة الدعاوى المعروضة أمامها ، تطعن في دستورية الفصل العنصري في المدارس العامة . وقد قامت المحكمة بدمج هذه القضايا الخمس تحت اسم واحد ، وهو قضية أوليفر براون وآخرين ضد مجلس التعليم في توبيكا . (المترجم)

الحجم، لكنها كانت تقف منتصبة وحازمة أمام السلطة.

ما اكتشفتُه من خلال محادثتنا هو أن نانسي ممارسة شرهة للفنون القتالية، لاسيما الجيو جيتسو، وتستخدم المبادئ التي تعلمتها من السينسي[1] في التغلب على خصوم أكبر منها:

«مهما فعلت، افعله بِقصد. في الفنون القتالية نطلق على هذا «واحد زائد واحد». ضربة واحدة فقط جيدة ولكمة جيدة أفضل من عشرين ضربة لا قصد وراءها. لا تقل شيئاً إلا إذا كنت تعنيه، ولا تفعل شيئاً إلا إن كنت ملتزماً به. لا تواجه بالصراخ، بل واجه باستخدام قدراتك الفكرية وقوة أفضل حجة، وذلك من خلال الثبات في موقعك، والحفاظ على مركزك، وعدم التخطي أبداً حتى لا يستطيعوا مهاجمتك. في نهاية المطاف، فإن الحيلة تكمن في أن تمتص طاقتهم وتعيد توجيهها نحوهم. إنك بذلك تستخدم قوتهم ضدهم».

ولقد كلفها كل هذا الكثير. فقد أدى عملها الدؤوب إلى اتهامها بالتعاطف مع الإرهاب أو بالإرهاب صراحةً، وذلك فقط لإصرارها على أن تتبع الحكومة دستورها الخاص وتحاكم الناس دون تحيز. وتقول إنّ الأشخاص الذي انتقدوها بوحشية أكبر هم أولئك الذي كانوا ضمن إدارة بوش أو على صلة بها. والمثير للسخرية على حد قولها، أنهم هم الذين، بتزويرهم للتقارير، وتغاضيهم عن التعذيب وتوقيعهم على عمليات تسليم استثنائية، كانوا ينتهكون القانون. وبناء على هذا، قد يأتي يوم يحتاجون فيه خدماتها أكثر.

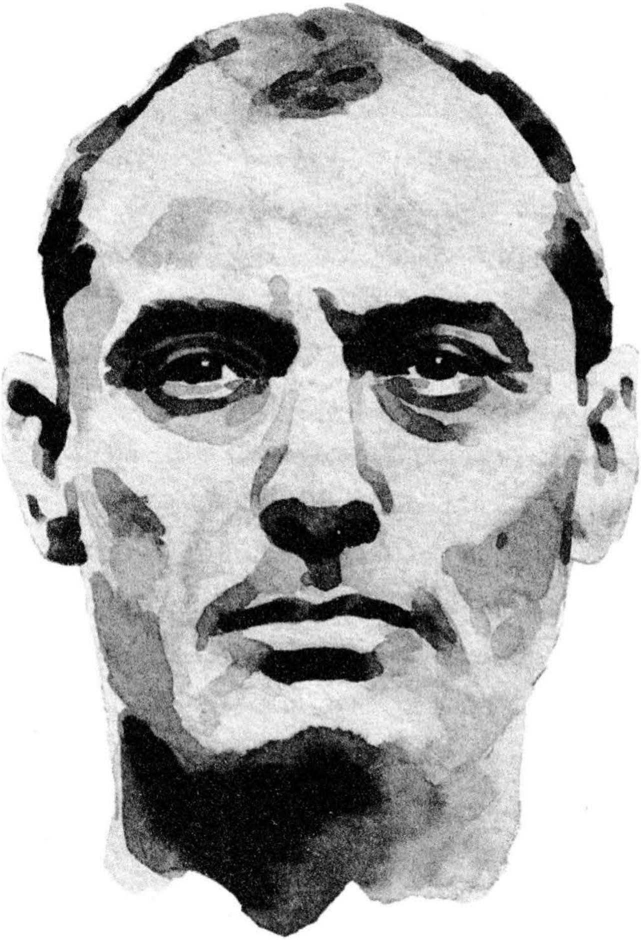
امتص وأعد التوجيه فعلاً.

---

(١) تعني المعلم باليابانية. (المترجم)

«مهما فعلت ، افعله
بِقصد . فقط ضربة واحدة
جيدة ولكمة جيدة
أفضل من عشرين
ضربة لا قصد وراءها . لا تقل شيئاً
إلا إذا كنت تعنيه ، ولا تفعل شيئاً
إلا إن كنت ملتزماً به» .

نانسي هولا ندر



قانون جود

في اليوم الذي التقينا فيه، كان وقت جود لو ضيّقاً. ليس فيما يتعلق بالحياة بصفة عامة، لكن بعدّاد موقف السيارات. ولتجنب تضييع الوقت في إيجاد مكان آخر للركن فيه مجدّداً، قررنا أن نجلس ونتحدث في سيارته، التي كانت مركونة على جانب جادة شافتسبيري، نوعا ما كبرنامج «كاربول كاريوكي» بائسٍ.

تحدثنا عن طفولتنا. أخبرته أنني نشأت في هادرسفايلد، ولدهشتي قال جود أنه يذهب إلى هناك في عطلات نهاية الأسبوع. لا أقلل من احترام مسقط رأسي، لكنها ليست بالعادة قِبلة لنجوم السينما العالميين لقضاء الوقت فيها. وحين استفسرت عما قد يأخذه إلى هناك، أوضح لي أنه يذهب ليلتقي بعم فتًى سوريّ صغير كان جود قد صادقه حين ذهب لزيارة «الغابة»، وهو مخيم مؤقت للاجئين في كاليه بفرنسا. كان هذا الطفل اللاجئ قد رأى والدته ووالده وأقاربه يموتون في الرحلة من أفريقيا إلى أوروبا، وكان وحيداً في المخيم؛ لذا عرض جود دفع التكاليف القانونية والإشراف على عملية إخراجه من المخيم وإعادته إلى أحضان الفرد الوحيد المتبقي من عائلته في هادرسفايلد.

وحقيقةُ أن جود قد زار عدة مرات مخيم اللاجئين، بدايةً، وقيامه بكل هذا شخصيّاً لأجل الصبي الصغير، والأكثر إثارة للدهشة، إنّ الحديث عن الأمر قد ورد مصادفة فقط، كلّها أشياء تقول الكثير عن الرجل بعيداً عن الشاشة.

في الواقع، لدى جود لو تاريخ طويل في الذهاب إلى أبعد الحدود لأجل دعم قضايا مهمة. في مناسبات سابقة، سافر إلى جمهورية كونغو الديمقراطية وإلى أفغانستان مع منظمة «السلام يوما ما»، وقد كان جزءاً من مبادرة نجحت في التوسط لأجل اتفاق وقف إطلاق النار لأربع وعشرين ساعة بين طالبان والجيش الأمريكي في أفغانستان، وكانت النتيجة أنه خلال فترة التوقف المؤقت، تمّ حشد ١٠٠٠٠ عامل صحة وتلقيح ١,٤ مليون طفل.

ويُدرج سجله في الابتعاد عن الأضواء والذهاب إلى أماكن قاسية إلى حد ما، تحت عدة أشياء. أحدها هو إضفاء معنًى لهذا الشيء الغريب المسمى شهرة. «*لا أقصد بأي شكل من الأشكال مقارنة نفسي به، لكن بطلي جون لينون يقول*: «*إذا كنت ستوجّه الكاميرا إلى وجهي، إذا سأقول كلاماً مهماً*». وهنا تكمن قيمة *الإعلام والشهرة في المساعدة على لفت الانتباه للأشياء المهمة*». وأضاف أنه لو كان سيعيش فقط حياة النجم السينمائي المترفة فسيشعر حينها «أنه مثقل بالذنب». وعلى المستوى الأساسي فإنه يمتلك فضولاً حيال العالم ورغبة في التعامل مع أكبر عدد ممكن من جوانبه المختلفة. ووجهة نظره في الأساس هي: «*لماذا لا ترغب في الذهاب إلى تلك الأماكن*»؟

وتتجلى روح اختبار الحياة لذاتها هذه، في نصيحته للناس الذين يرغبون في خوض غمار التمثيل. «*هناك مقدار كبير من الحظ تحتاجه للحصول على فرصتك، لذا عليك أن تكون ممثلاً للأسباب الصحيحة: افعل ذلك لأنك تحبه، ولأنك ستستمتع بتأدية مسرحية دون أجر في حانة ما. يجب أن تكون سعيداً للقيام بذلك على هذا النحو، لأنه ما الذي كان سيحدث لو أنك لم تحظَ*

فرصتك»؟ وأضاف : «*إن امتلاك هذا الحب للشيء في حد ذاته هو ما يبقيك سليم العقل بالقيام به* ، *لأنه بخلاف ذلك «سريعاً ما سيبدو كوظيفة ، لذا وجب أن تبقي تلك الشعلة الفريدة متقدة وإلاّ ضللت طريقك»* .

وحين طلبت منه الحكمة الأفضل لديه ، عدنا للحديث حول طفولته ، وعزا لوالده حكمته المفضلة ، التي لقنه إيّاها حين كان صبياً :

«*إذا كنت ستتأخر ، فاستمتع بتأخرك*» .

كانت نصيحة عناها حرفياً : إذا كنت ستتأخر ، فبدل أن تهلع وترتبك ، استمتع بالوقت الإضافي ، فقد مُنح لك . لكن كنصيحة ، فإنها قد أفادت جود باعتبارها مجازاً واسعاً للحياة ، مذكرة إياه بأن «*يستمتع باللحظة ، وأن يكون في اللحظة ، ويفعل الشيء الصحيح في اللحظة ، مهما كانت تلك اللحظة*» ، سواء كانت في مخيم للاجئين ، أو في حانة أو في أحدث أفلامك الناجحة .

ومع هذا ، كان عليه أن يذهب ، فقد تأخر .

«إذا كنت ستتأخر،

فاستمتع بتأخرك»

جود لو



حديث الوسادة مع جوان باكويل

ليس لدى المقدمة المحبوبة جداً بقناة البي بي سي، والكاتبة وعضو مجلس اللوردات، جوان باكويل، ذات الثلاثة والثمانين عاماً، أي وقت لتَهرَم. ليس فقط لكونها مشغولة جداً لتتلفت لهذا، بل لأنّها ببساطة ترفض المفهوم بأكمله من الأساس. «*لا أؤمن بما يسمى أرذل العمر. كل يوم هو عبارة عن أربع وعشرين ساعة كاملة، مع ستين دقيقة في كل ساعة، وهو نفس المقدار من الوقت سواء كنت في الثانية عشرة من العمر، أو العشرين، أو الأربعين أو الثمانين. ستحظى بضوء النهار بقدر أي شخص آخر، وهو نفس القدر الذي ستحظى به دائماً. وما تفعله به راجع إليك*».

أجرينا هذه المحادثة في منزلها المليء بالكتب، الواقع بالزاوية المخضرة لإحدى الساحات شمال لندن. وحين أقول مليء بالكتب، فأنا أعني هذا حرفياً. كانت الكتب موجودة في كل مكان حقاً. «أعلم أنني أمتلك الكثير من هذه الأشياء اللعينة». ثمّ أخبرتني أنها قد توصلت لحلٍ، إذ بدأت بوضع صندوق خارج منزلها من الكتب التي قرأتها، كل يوم سبت وأحد، بحيث يمكن للمارة أخذها. إنه حل يتلاءم بدقة مع مسيرتها في نشر الأفكار وتوضيح الأمور.

أثناء الحديث، بدت جوان كامرأة تضع قوتي الين واليانغ الخاصة بها حيث تريد. وتحدثت عن الحياتين اللتين يمتلكهما كل واحد منا – الحياة الداخلية، التي تُبعث فيك «*حين تسير لوحدك أو تجلس في هدوء أو تنصت لقطعة موسيقية*»، والحياة الخارجية، حين «*تتصرف على نحو: مرحباً أيّها العالم، ها أنا ذا، أقوم بالكثير من الأشياء*،

راقبني وأنا أفعلها» . ووجدتْ أنّه من الأفضل «*ترك زمام الأمور للحياة الداخلية ، والسماح للحياة الخارجية بالتكيف معها*» .

كانت تتحدث على وجه الخصوص عمّا دعته «*الحدس الذي بداخلنا*» ، تلك الدوافع العميقة التي بإمكانها أن تقودنا إلى ما هو أكثر إرضاء . «*يبحث الناس عن وظائف جيدة بساعات عمل جيدة ومعاشات تقاعد جيدة ، لكن لا شيء من هذا سيكون ذا صلة بما ستشعر به حيال حياتك . الأمر فعلاً ليس كذلك*» . وأشارت بأن الحياة أكثر ثراء لو أننا نتبع غرائزنا بدلاً من ذلك .

لكن علينا أن نصغي بعناية لهذا المرشد الداخلي الأكثر هدوءاً . ولتحقيق هذه الغاية ، تدعو لتعمد خلق الوقت والمكان للسماح لهذه الأصوات بأن تُسمع . وقد أخبرتني أنها عادت مؤخراً من رحلة شهر قضته لوحدها في كوخ صغير بغرفة واحدة ، فقط لتكتب ولتقضي وقتاً مع نفسها . «*حين كنت هناك ، كانت حياتي الاجتماعية تتمثل في السير نحو الجدول أسفل الحديقة . إنّ معظمنا غارق في النشاطات ، لذا فإنّ فترة انعزال قد تكون مكافأة جيدة*» . *أن تبني ذاتك في مثل هذا الوقت يعني أنه* «*بإمكان أشياء مذهلة حقاً أن تقفز في رأسك حتى أنك لم تك تدري بوجودها ، شيء أشبه بأحلام اليقظة ، أو الخيالات ، أو الطموحات . إنّها تنبع من مكان ما قبل اللغة ، وإيجاد طريق العودة إلى ذلك المكان مهم جدّاً . وبمجرد أن تبدأ بصياغة الأفكار في كلمات فقد فقدت بالفعل بعض الخيارات*» .

من المثير للدهشة سماع شخص فصيح بليغ ينصح بالعودة إلى ما قبل اللغة ، إلى الحالة الخالية من الكلمات ، لكنها تقول إن هذه خاصية لمستها لدى كل شخص مبدع عرفته . وتعتقد أننا جميعاً نستفيد من إتاحة الوقت للأمور بأن تستقر ، وتتخمر وتنمو . «*إن*

الإجابة على أغلب مشاكل الناس تميل إلى أن تكون مطمورة مسبقاً في مكان ما داخلهم وسيشعرون بها إذا أتيحت لهم الفرصة لذلك» .

ومن زاوية أخرى ترى أن أهمية مرشدنا الداخلي تتمثل أيضاً في أنه يجب عليك الاحتفاظ بعنصر النقد . لا يجب أن يكون هناك أي تضليل ذاتي ، عليك أن تكون واضح الرؤية حول ما يمكنك القيام به وما لا يمكنك . ويجب أن يكون هناك ، في مرحلة ما ، فعلٌ . هي لا تؤيد فكرة قضاء المرء لما تبقى من حياته يحلم أحلام يقظة عند الجدول أسفل الحديقة .

والنصيحة التي تقدمها تعكس هذه النظرة للحياة ، وهي النصيحة ذاتها التي لطالما قدمتها لأبنائها :

«إذا وضعت رأسك على الوسادة آخر الليل وفكرت في أنه لم يكن يوماً جيّداً ، انهض في اليوم الموالي وغيّر شيئاً ما . قد يكون آراءك أو موقفك ، أو ربما أن تترك وظيفة أو زوجاً . قد يكون الأمر أي شيء ، لكن غيّر شيئاً ما . لا تلقِ باللوم على مجموعة من الظروف التي لم تقع في الأماكن المناسبة . عليك أن تصغي لتلك الومضة الداخلية ، وتتصرف وفقها» .

إنها مقاربة ترتبط بأول نقطة طرحتها حول التقدم في العمر : «إذا غذّيت ذاتك الداخلية وتصرفت بالتوافق معها ، «يمكنك أن تكون مثمراً ومليئاً بالأفكار ما دام اليوم طويلاً . وستهرم فقط إن ظننت ذلك» .

واستشهدت بروبير بلانت ، جارها ، كمصدر إلهام غير متوقع في هذا الصدد : *«إنه عظيم ، ومنتج بشكل لا يصدق ، والنظر إليه مثير ، مثل ميك جاغر ، مع ذلك الشعر الرائع . إنّه لا يحمل أي دليل على ذلك المسمى أرذل العمر على الإطلاق»* .

ويجب القول : إن جوان باكويل كذلك لا تفعل .

«إذا وضعت رأسك
على الوسادة آخر الليل
وفكرت في أنه لم يكن
يوماً جيّداً ، انهض
في اليوم الموالي وغيّر
شيئاً ما . قد يكون
آراءك أو موقفك ،
أو ربما أن تترك
وظيفة أو زوجًا .

قد يكون الأمر أي شيء ، لكن
غيّر شيئاً ما . لا
تلقِ باللوم على مجموعة
من الظروف
التي لم تقع في الأماكن المناسبة . عليك
أن تصغي لتلك الومضة الداخلية ،
وتتصرف وفقها» .

جوان باكويل



أحمد «كاثي» كاثرادا ودنيس غولدبيرغ، مقاتلو الحرية

دخلت غرفة فندق مايفير لأحاور أحمد «كاثي» كاثرادا ودنيس غولدبرغ ، اثنان من رفاق مانديلا في الكفاح لأجل الحرية ، اللذان تمت محاكمتهما وسجنا معه لما يقرب من ثلاثة عقود من الأشغال الشاقة . وأول ما أثار انتباهي هو حجم السرير المتواضع .

«هذا السرير أكبر من الزنزانات التي احتجزنا فيها في جزيرة روبن لسبعة وعشرين عاماً» .

وبطريقة بسيطة فإن هذا يعيد إلى الذهن بعضاً من الحرمان الذي تحمله هذان الرجلان بتكريس حياتيهما لمحاربة سياسة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا .

وقد عانيا فيما بينهما أسوأ ما قد يفعله البشر ببعضهم البعض : التعذيب ، العنف ، قتل الأحباء ، السجن الجائر ، الحبس الانفرادي ، وثلاثون عاماً من الانفصال عن عائلتيهما (حيث سُمح لزوجة دنيس بزيارته مرتين فقط طوال مدة سجنه) .

وبالرغم من هذه التجارب ، فإنهما لم ينسحبا ولو لمرة من الكفاح . وقد تعهدا وهما شابين بالإطاحة بنظام التمييز العنصري وقضيا كل ساعة يقظة خلال الستين سنة الموالية في القيام بذلك .

إذاً ، من أين جاء هذا الالتزام بالقضية ، وهذا التكيف مع الصعاب؟

بإمكان كاثي أن يحدد بدقة هذه اللحظة . كان في الثانية

والعشرين من عمره، حين زار أوشفيتز كشاب بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. هناك، وسط الواقع المربكِ بعمقٍ لما حدث (والذي تدل عليه عظام بشرية كانت لا تزال مبعثرة بشكل عرضي على الأرض)، تجلت له حقيقةٌ مظلمةٌ. «وقفت هناك، *وأدركت أن النتيجة المنطقية للعنصرية كانت الإبادة. بدا واضحاً لي أننا* يجب *أن ننهي التمييز العنصري لمنع حدوث مثل هذا* لشعب جنوب *أفريقيا*». بعد ما رآه، وبعد ما استنتجه، كان هذا يعني أنّ عليه أن يقاتل ولا يستسلم أبداً.

وقد ساعد فهم تاريخ كفاح الإنسان لأجل الحرية أيضاً في تشكيل عزيمتهما. ويروي دنيس أنه كفتى أبيض نشأ في كنف أبوين واعيين اجتماعياً، لم يحرصا فقط على أن يحترم جميع الأشخاص الذين يأتون إلى منزلهم، بغض النظر عن لونهم، ولكن علماه أيضاً كل ما يتعلق بحركة غاندي لأجل استقلال الهند، وأخبراه بقصص عن المقاومة الألمانية غير المعروفة، وشرحا له مئات السنين من نضال سكان جنوب أفريقيا الأصليين ضد الاحتلال البريطاني. وقد ألهمته هذه القصص حول مقاومة الطغاة، وأظهرت له أن الحرية لا تستحق القتال لأجلها فحسب، بل يمكن الظفر بها في النهاية.

إنهما اثنان من أبرز الرجال الذين يمكن تخيلهم. وبينما كانا يستذكران، دون أي مرارة، الثمن الباهظ لنضالهما الذي دام ستين عاماً، ظل المرح سائداً (كيف نجحتما في التكيف مع مشقة السجن؟ كان لدينا الكثير من التدريبات)، وما تزال طاقتهما وكفاحهما متوهجين.

في الصباح الذي سبق لقاءنا، كان دنيس قد دُعي إلى ١٠

شارع داونينغ[1] للقاء ديفيد كامرون . واستهل دينيس كلامه لرئيس الوزراء بقوله : «*إذاً ، متى تتوقفون أيها البريطانيون الإمبرياليون اللعينون عن التدخل في جنوب أفريقيا*»؟

كان دنيس الأكثر نزقاً بين الرجلين . وبطريقة ما كانت قصته أكثر بروزاً ، باعتباره رجلاً أبيض يحارب لأجل إنهاء التمييز العنصري ، الأمر الذي كان غير مسبوق عملياً ، ما يعني أن جماعته كانت تتجنبه ، في حين أن المناضلين الآخرين لم يفعلوا . لكن جميع الرجال دفعوا الثمن نفسه في نضالهم لأجل الحرية : السجن مدى الحياة .

في الواقع ، كانوا يتوقعون ما هو أسوأ من ذلك . فخلال فضيحة محاكمة ريفونيا (١٩٦٣- ١٩٦٤) ، حيث مثل أمام القضاء كل من دنيس وكاثي ونيلسون مانديلا وأندرو ملاجيني وآخرون بسبب نشاطهم ضد حكم التمييز العنصري في أفريقيا ، كان الجميع يتوقع حكماً بالإعدام لهم . لقد انخرطوا في حملتهم منذ البداية وهم يدركون أن تلك هي النتيجة المحتملة .

بعد خطاب نيسلون مانديلا الذي دام ثلاث ساعات ، صدم الحكم النهائي الجميع : السجن المؤبد . وحين نادت والدة دنيس ، التي كان سمعها ثقيلاً ، من بين الجمهور : «*ما الأمر؟ ما الحكم*»؟ رد دنيس : «*إنها الحياة . الحياة رائعة* » ، ردٌ يعطي شعوراً بمرونة الرجال الأبدية وتفاؤلهم المنحوت في الصّوان .

تشكلت في حلقي كتلة مزعجة بينما رحت أفكر في أن تلك اللحظة من الارتياح قد أعقبها أكثر من عشرين عاماً في السجن ، مختبرين أصعب ما فيه .

---

(١) هو مقر الإقامة الرسمية ومكتب رئيس وزراء بريطانيا (المترجم)

وبطبيعة الحال، فقد فضلوا التركيز على النتيجة وليس التجربة، وعلى النصر وليس المعركة.

لذا سألتهما حول كيفية تحقيقهما للنجاح. ما الذي أدى إلى نهاية التمييز العنصري؟ بوضوح تام، أورد الرجلان أربعة عوامل: النضال المسلح، ما يعني أن الحكومة تقوض نفسها من خلال إنفاقها المزيد والمزيد من الأموال لقتال شعبها. هُم أنفسهم كمساجين سياسيين، ما أعطى صورة لتعرّض رموز الحركة المحترمين للظلم. حركةُ التضامن الدولية، أين قاطعت الحكومات والمنظمات المدنية جنوب أفريقيا وأبدت معارضتها لنظام الحكم. وفي الأخير، كفاح الشعب في جنوب أفريقيا -الجبهة الديمقراطية المتحدة، اتحاد التجارة، المنظمات المدنية- وانتفاض أغلبية الشعب للاحتجاج، والتمرد، وقول «هذا يكفي».

ويوضح كاثي أنّه، من بين العوامل الأربع، كان كفاح الجماهير هو الأهم. وكما قال نيلسون مانديلا لوزير العدل من زنزانته في سجن جزيرة روبن: «*يمكن أن يكون مستقبل جنوب أفريقيا عبر إراقة الدماء، حيث ستفوز الأغلبية في النهاية، أو قد يكون عبر التسوية التفاوضية*». ومع احتجاج أغلبية الجماهير بشكل فعّال ومطالبتهم بالتغيير، أذعنت الحكومة في نهاية المطاف.

وحين سألت عن أهم درس من حياتيهما الاستثنائيتين، كانت الإجابات هي الأكثر عمقاً من كل ما سمعت.

بالنسبة لدنيس:

«سأقتبس من جون ستيوارت ميلز على لسان مانديلا: «لكي تكون حراً لا يكفي أن تخلع عنك قيودك، بل عليك أن تحيا بطريقة

تحترم فيها حرية الآخرين وتعززها» . إنه نفس المفهوم الذي يطلق عليه رئيس الأساقفة ديسموند توتو : «أوبونتو» . أنا من أنا فقط من خلال الآخرين . نحن بشر في النهاية ، وهذا كل ما في الأمر» .

ثم قدم كاثي بهدوء ولطف لكن بدقة حقيقته :

«في النهاية ، سيفضي النضال لأجل العدالة حتماً للنصر . بغض النظر عن التضحيات» .

كما يعرفها هذان الرجلان .



ليلي إيبرت، الناجية من أوشفيتز

لم يكن النازيون يروننا كأعداء ، ولم يكونوا يروننا كبشر ، كنا مجرد صراصير بالنسبة لهم . لقد قاموا بتصنيع قتلنا بالكامل .

أنا جالس أتحدث مع ليلي إبرت في غرفة هادئة في مركز الناجين من الهولوكوست شمالي لندن ، وهو الأول من نوعه في العالم . ومع أنّ ليلي كانت سيدة عزيزة النفس ، جريئة وبليغة ، إلاّ أنّها توقفت عدة مرات بينما كانت تسرد تجربتها في أوشفيتز . فبالرغم من مرور سبعين عاماً ، ما زال ألم الإبادة البشرية المروعة شديداً . وكما قالت ليلي : «*من الصعب جدّاً شرح أمر غير قابل للشرح*» .

«*المحظوظون منا قد ماتوا*» ، كانت هذه هي فكرتها عن تحويلهم إلى أوشفيتز : لقد تم حشر مئات الأشخاص في عربات المواشي بالقطارات ، في القيظ ، بلا أكل ولا ماء ، على مدى خمسة أيام ، محاطين بجثث أولئك الذين لم يستطيعوا التحمل . وتروي ليلي آخر ما قامت به والدتها قبل أن يصل القطار ، حيث تبادلت هي وليلي الأحذية ، وخبأت في الكعب قطعة صغيرة من الذهب ، كانت آخر ممتلكات عائلتهما . كان هذا حدس الأم ، فحين وصلوا إلى معسكر أوشفيتز ، قام الدكتور مينجل ، ملك الموت ، بتفرقة

الحشود إلى مجموعتين : نصفُ أرسل يساراً ، نحو الموت المباشر في غرف الغاز ، ونصف أرسل يميناً ، نحو الموت البطيء جوعاً في المعسكر . وكانت آخر ذكريات ليلي عن أمها ، وأخيها الصغير وأختها رؤيتهم وهم يدفعون نحو اليسار .

داخل المخيم ، جُرّدت ليلي وأختاها الصغيرتان من ثيابهما وألبسن خرقاً ، وكُنّ يُطعمن قطعة خبز واحدة فقط في اليوم ، وقد احتجزن في حظائر مكتظة بعشرة أضعاف ما يمكنها استيعابها . وفي كل يوم ، كانت هناك «اختيارات» مستمرة ، حيث يُرسل كل شخص غير مناسب بما يكفي للقيام بالعمل إلى المحرقة المجاورة .

تقول ليلي أنّ الأسوأ في كل ذلك كان الرائحة الفظيعة المنبعثة من المبنى الأشبه بالمصنع ، والمدخنة التي تنبعث منها الأدخنة على مدار الأربع والعشرين ساعة . وفقط حين سألت بعض مرافقيها في المعسكر عما يُصنع هناك ، شرحوا لها أنه لم يكن مصنعاً ، بل هو المكان الذي يُحرق فيه اليهود ، والطريقة الوحيدة للخروج من أوشفيتز كانت عبر تلك المدخنة . «*أخبرناهم أنهم مجانين ، وأننا لا نصدقهم . لكن سرعان ما اكتشفنا أن ذلك كان صحيحاً*» .

في جحيم هذه التجربة ، قطعت ليلي وعداً على نفسها أنها إذا استطاعت بشكل ما أن تنجو فستقضي ما تبقى من عمرها تخبر الناس عن أوشفيتز وذلك حتى لا يتكرر الأمر ثانية . وهو الوعد الذي حافظت عليه للمرة الألف من خلال إخباري قصتها اليوم . ومنحها ذلك الإحساس بالهدف وروح المسؤولية التي شعرت بها

تجاه أختيها الصغيرتين ، سبباً للبقاء على قيد الحياة في مكان كانت تفضل أن تكون فيه ميتة بدل ذلك .

ويعطي هذا سياقاً لواحدة من النصائح التي ترغب في تقديمها : *«أن يكون لدى المرء دائماً أمل ضد أمل . لقد كنت في أدنى منزلة يمكن للإنسان أن يصل إليها ، لكن انظر إليّ ، لا زلت على قيد الحياة . لقد انتقلت من الموت جوعاً تقريباً إلى إرسالي ، بعد سبعين عاماً ، للقاء الملكة التي منحتني الوسام الأعلى للمملكة البريطانية . لذا مهما كان الوضع سيئاً ، حاول القيام بما تستطيع ولا تستسلم»* .

ومع ذلك ، فإن نصيحتها الأثمن هي :

«افعل دائماً الأفضل بما هو متوفر لديك ، مهما كان ضئيلاً» .

واسترجعت الفكرة من خلال الإشارة إلى قطعة الخبز التي كانت تمنح لكل واحد منهم خلال اليوم . *«البعض في المخيم لم يستطع القيام بما هو أفضل بها ، فكانوا يأكلونها في ثانية ثمّ يحلمون بالحصول على شيء آخر ، لكن لم يكن هناك أي شيء آخر ، وهؤلاء هم من لم يستطيعوا النجاة . كنت دائماً أتناول قطعة الخبز ببطء قدر الإمكان وأحتفظ ببعضها للصباح مخبأ تحت ذراعي . وقد ساعدني هذا في البقاء على قيد الحياة»* .

في نهاية لقائنا ، أرتني ليلي بفخر قلادة ذهبية صغيرة حول عنقها ، والتي ظلت ترتديها منذ إطلاق سراحها . ووضحت أنها قطعة الذهب التي كانت والدتها تخفيها في حذائها ، والتي نجحت

في إخفائها طوال فترة احتجازها في مخيم أوشفيتز .

وفكّرت في كل ما شهدته قطعة الذهب هذه وصاحبتها وتحمّلتاه : الجوع ، الظروف الوحشية ، والوجه الأسوأ للبشرية ، لكنه ولّد أيضاً سؤالاً صغيراً في رأسي : بما أنها فقدت حذائها في المخيم ، فكيف نجحت في إخفاء قطعة الذهب؟ التمعت عينا ليلي بالنصر ، وقالت : *«لقد قلت لك ، عليك أن تفعل الأفضل بما هو متوفر لديك مهما كان . كل ما كان لدي هو قطعة الخبز تلك ، لذا كنت أخبئ فيها قطعة الذهب كل ليلة ولم يلحظوها أبداً . لقد كنت أذكى منهم»* .

ليلي إبرت : ذهب خالص .

«افعل دائماً الأفضل
بما هو متوفر لديك ،
مهما كان
ضئيلاً . . . كنت دائماً أتناول
قطعة الخبز
ببطء قدر الإمكان
وأترك بعضها للصباح
مخبأ تحت ذراعي .
وقد ساعدني هذا
في البقاء على قيد الحياة»

ليلي إبرت



عبقرية ريتشارد كورتيس المحطمة للقلب

لو كان هناك أوسكار لفئة أفضل إنسان، لتم ترشيح ريتشارد كورتيس. ليس للمتعة التي جلبتها سيناريوهاته للجماهير، رغم وفرتها، كفيلم أربع زيجات وجنازة، نوتينغ هيل، والحب الحقيقي، وغيرها من الكنوز التي ارتبطت باسمه، ولكن بسبب التزامه الذي دام عقوداً بصفته مؤسساً مشاركاً، وقائداً و/أو رئيساً محرضاً لمثل هذه المبادرات على غرار هيئة «كوميك ريليف»، و«يوم الأنف الأحمر»، وحركة «فلنقض على الفقر»، وسلسلة حفلات «لايف ٨». لم يقم أي شخص آخر بما هو أكثر لجعل المساعدات الإنمائية والعمل الخيري جزءاً من الاتجاه السائد.

كانت لدي آمال كبيرة من كائن بشري متطور مثل هذا فيما يخص نصيحته الأفضل، لاسيما حين قال إنه فكر فيها مسبقا ودوّن حكمته على الورق. «*ها هي ذي*»، قال بينما هو يفتح دفتر ملاحظاته الجلدي، ثمّ جلس باستقامة، وتنحنح وقال:

«*لا تدع والدتك تقص شعرك. هذا مهم*».

أغلق دفتره، وعاد إلى الخلف.

كان جاداً، نوعا ما. «لقد قصت والدتي شعري ذات مرة، ولم أتحدث معها لثلاثة أسابيع». أثارت هذه الذكرى فكرة أخرى، «وإن كنت أمّاً، فلا تقصي شعر ابنك، لأنّه سيكرهك».

ليست فقط حكمته فيما يخص تسريحات الشعر هي المتجذرة في طفولته، فمعظم سمات حياته الرئيسية لها خيط غير مرئي،

بمجرد أن يسحبه ، يجلب معه قصة من سنوات طفولته . وقد اعترف أنه كتب العديد من سيناريوهات الأفلام الرومانسية «لأن قلبي انفطر حين كنت في الجامعة» ، وفي كل فيلم كتبه كانت هناك شخصية «برنارد التعيس» ، كانتقام ساخر من الرجل الذي سرق ذات مرة صديقته .

والأهم من ذلك ، أنه في لحظة من اللحظات حين كان فتًى ، مغرماً ، ويشعر بالأسف حيال نفسه قال والده شيئاً غيّر نظرة ريتشارد للحياة بشكل عام . «*لقد وصف والدي ، بلا فظاظة ، حياته حين كان في الثامنة عشرة من العمر ، أين وجد نفسه يتيم الأب ينظف المراحيض في سفينة ليجني المال ، وقارنها بما هي عليه حياتي حينها . بعد ذلك ثبت إلى رشدي تماماً . وقد منحني هذا قدرة على التمييز بين مشاكلي ومشاكل الآخرين ، احتفظت بها للأبد*» .

وظل فص من فصوص حكمة والده يتردد عبر حياته : «كان دائماً يقول لا يمكن أن تكون أسعد مما أنت سعيد» . والفكرة هي أنه إذا كنت راضياً وكانت الأمور جيدة ، فلا تربك نفسك بإمكانية أن تكون أفضل . «*لا تضيع فرصة قضاء يوم جميل في الهواء الطلق ، بحقيقة أنه ليس يوماً مشمساً*» .

ومع ذلك ، وكما هو الحال في أفلامه ، كان هناك نقطة تحول . «*أنا أقول ذلك ، لكنني شخص غير سعيد طوال الوقت تقريباً*» . وافترضت أنه يمزح ، لكن في رده على اعتراضاتي ، أوضح أن جمع المال لأجل تنمية أكثر شعوب العالم فقراً يعني أن قلبه يتحطم مراراً وتكراراً .

«*مع العمل الخيري ، أشعر بوطأة كل مكالمة هاتفية ، وأنه إذا*

استطعت الحديث مع هذا الشخص للقيام بشيء ما ، فإن هناك أطفال ما سينجون ، وإن لم أفعل ، فلن يتمكنوا من النجاة . تلقيت اليوم فقط اتصالاً من شاب لطيف يقول إنّه لن يستطيع تقديم العرض الهزلي وبالطبع كان عليّ أن أكذب وأقول «لا بأس ، لقد ساعدت العام الماضي» ، لكن في الداخل كنت أموت» .

لذا فإن أفضل نصيحة لديه تأتي مباشرة من تجربته في محاولة تغيير العالم ، لكنها تعكس أيضا الخيبة والأسى الآتيان من معرفة أنّ الناس يتحدثون عن مخططات كبرى لكنهم يفشلون في الغالب في المساعدة حين تكون الحاجة للمساعدة كبيرة جدّاً .

«لا ينبغي لأحد منا أن يقلل من قيمة قدرتنا على تغيير حياة الناس . هناك سبب مباشر وتأثير لما نقوم به هنا وما يحدث هناك . لكن إذا كنت ترغب في المساعدة فعليك فعل شيء ما . لا يمكنك فقط التحدث عن ذلك . شعاري هو «إذا أردت أن تجعل الأمور تحدث ، فعليك القيام بها» . اخلق هدفاً ، شعاراً ، فيلماً ، كتاباً صغيراً ، شارةً ، وسماً ، يوم أنفٍ أحمر . . . قم بشيء رائع جدّاً يخطف قلوب الناس وعقولهم حتى لا يسعهم سوى الانضمام للمساعدة . والأفضل من ذلك ، اجعله طريفاً أيضاً . وهذا كل ما قمت به على الإطلاق» .

ولا أحد يقوم بهذا أفضل منه على الإطلاق .



جود كيلي للجميع

بالنسبة لشخص يدير واحدة من أكبر المؤسسات الثقافية وأكثرها تعقيداً في العالم، فإن لدى جودي كيلي، المديرة الفنية لمركز ساوث بانك في المملكة المتحدة، وصف بسيط لما تفعله: «*أنا أحكي القصص. هذا ما كنت أفعله طوال حياتي*».

وهي عبارة تعنيها حرفياً. فعبر مسيرتها المهنية، تولت إخراج أكثر من مائة مسرحية، بما فيها مسرحيات لشركة شكسبير الملكية ولمسارح وست أند، والآن تشغل أعلى وظيفة في مجال الفنون في المملكة المتحدة، لكن كل هذا بدأ معها حين كانت طفلة تلعب المسرحيات في الحديقة الخلفية لمنزلهم، مستعينة بأبناء الجيران كممثلين، وآبائهم كجمهور.

لم تكتف مسرحيات الطفولة بأن تكشف لها الطريق الذي ينبغي أن تسلكه في حياتها (حيث أعلنت وهي في الحادية عشرة من عمرها أنّها ستصبح مخرجة مسرحية وحققت ذلك منذ وقتها)، بل أن تلك الأعمال المبكرة قد منحت السمة المميزة لمنهجها في رواية القصص: الضرورة المطلقة لجعل الفنون شاملة بالكامل. «*لقد أحببت فكرة أنّ الحي بأكمله سيجتمع لمشاهدة المسرحية، وكنت أشعر بالسوء إذا لم يحضر الجميع. أكره أن يترك الناس خارجاً. ليس فقط لأجلهم بل لأجلنا أيضاً*».

إنه مبدأ تنظيمي ظل يوجه جود منذ ذلك الحين، ويقوم على فكرة أنه يمكن أن تحظى جماعة ما وفن هذه الجماعة، معاً، بخدمة أفضل فقط إذا تم إشراك الجميع. «*نحن في حاجة لأشخاص ذوي تجارب حياتية مختلفة حتى نستطيع سماع قصص بعضنا البعض،*

وأن نعقب عليها، ونفهمها، ونختلف معها، *لنساعد الناس على التوقف عن الشعور بالخجل من الاصطدام بالجماعات الأخرى، ومساعدتهم في الشعور بأنه قد يكون هناك ما هو أثرى إذا قاموا بتجربة علاقات إنسانية أخرى*». باختصار، فإن جعل الفنون شاملة يعمّق تعاطف المجتمع وتماسكه.

يعتمد مركز ساوث بانك على التمويل العام، الأمر الذي يزيد من عزمها على الترحيب بالجميع: «*إن المجتمع بأكمله يضع المال في السلة، لذا يحتاج الجميع الحصولَ على نصيب: هذه هي طاقتي الدافعة المطلقة ومنظومة معتقداتي*». وقد أوفت بوعدها. ففي اليوم الذي أزور فيه ساوثبانك، أجد هناك فعالية البرامٍ جام للآباء مع أبنائهم الصغار، وعرض لفنان مسرحي هندي، وحفلاً كلاسيكيّاً لموسيقيين لاجئين، وليلة فنيًة لموسيقى التكنو، وجيريمي أيرونز يتلو شكسبير، وعرض أداء فردي للبيت بوكسنغ، وسيرك، وبعض عروض الكوميديا الفردية وسوق لأطعمة الشارع. بعبارة أخرى، يوجد شيء لكل فرد.

لجود أيضا دور مواز كمؤسِسة ورئيسة لمهرجان «نساء العالم»، المهرجان العالمي الذي يحتفي بالنساء والفتيات وينظر في العراقيل التي تواجههن. ويتفق هذا مع مهمتها في لمّ شمل الجميع، مع تركيز واضح، في هذه الحالة، على المساواة بين الجنسين. وتقول إن وعيها بالمشكلة الدائمة قد تعزز من خلال كونها رائدة أعمال والعدد الكبير من المرات التي تقصدها فيها الشابات «*يطلبن النصيحة فيما يخص الأمور التي يعانين منها: الموازنة بين العمل والحياة، ماذا إذا أنجبن أطفالاً، ما الذي سيحدث لهن إن فعلن، الطريقة التي كن يعاملن بها في العمل، والطريقة التي كن يعاملن بها من طرف شركائهن، مشاكل العنف، الاغتصاب، المواقع الإباحية، الهيئة الجسدية، وما إلى ذلك. وليس هذا فقط، بل سرد قصص إيجابية، وإنجازات حققتها النساء والفتيات*». لذا

قررت أن تبدأ المهرجان كمكان للناس ليجتمعوا ، ويتحدثوا عن مشاكلهم ، ويشعروا بالإيجابية ويستكشفوا ما يمكن أن تكون عليه المساواة الجندرية يوما ما .

على نحو مثير للدهشة ، تلقت في البداية بعض المقاومة للفكرة . «حين بدأت المهرجان قال الناس «حقاً؟ ألم نحقق بعد المساواة الجندرية»؟ لكنني كنت أعلم أننا لم نحققها بأي شكل . وكان هذا قبل أن تتعرض مالالا لإطلاق النار ، وقبل أن تأسر بوكو حرام الفتيات النيجريات ، وقبل عمليات الاغتصاب من عصابات دلهي ، لذا فنحن في حاجة إلى أن نرفع الحجر وننظر تحته . لكن بحاجة لأن نحتفي أيضاً بالأشياء التي تم تحقيقها ، والقصص الرائعة أيضاً ، ما يمنحنا القدرة على التحمل ويمدنا بالطاقة» .

تقول جود أن المشكلة يجب أن تعالج بالفن ، أيضاً . «أغلب المسرحيات ، وأغلب الأفلام ، وأغلب الروايات ، وأغلب الأعمال الفنية تاريخياً كانت من طرف رجال ، وكان هناك دائماً شك محوري يعبر عنه مراراً وتكراراً : هل بإمكان النساء أن يكن مبدعات حقاً مقارنة بالرجال؟ تاريخياً كان هناك رأي يقول : حسناً ، لدى النساء أطفال ، وهذا هو إبداعهن . إنها نسخة من الفكرة نفسها القائلة إن السود يمتلكون أجساداً قوية لكنهم ليسوا أذكياء جدّاً ، أو أن الصينيين أذكياء جدّاً لكن لا يمتلكون حياة عاطفية ، كل هذه الصور النمطية المدمرة تضع نصف الجنس البشري داخل بنية السلطة البطريركية التي ورثت وعممت على مدى آلاف السنين» .

إن مهمة معالجة مشكلة المساواة الجندرية المتجذرة وهزيمتها هي أكثر بكثير من مجرد وظيفة يومية . وتبدو لي كأكثر قصة ترغب في إخبارها عن حياتها . وفي الصدد ذاته قدمت أثمن نصيحة لديها حول النساء ولهن :

«ينبغي على النساء أن يفخرن
بإمكاناتهن الخاصة .
ينبغي على النساء أن يمنحن
أنفسهن الحق
بأن ينجحن بشتى الطرق ،
وألاّ يحدّدن
كم هن محبوبات ومتواضعات
بمدى استعدادهن
على التنحي جانباً لأجل أن يبرز

شخص آخر . ينبغي على المرأة
أن تقول لنفسها : «لدي حياة واحدة ،
لقد منحت لي هذه الحياة ،
وبعثت فيَّ
لذا ينبغي أن أستخدمها لأفضل غاية ممكنة» .
مهما كان تعريف المرأة ذاتها لهذا» .

جود كيلي



مايكل ماكنتاير،
نعم يا رجل

أنا على الهاتف أحاول ترتيب لقاء مع مايكل ماكنتاير ، الكوميدي الأعلى دخلاً في العالم ، لكنني أعجز عن ذلك ، من فرط ما يجعلني أضحك . ومع ذلك ، فقد أجابت هذه التجربة على الأقل على السؤال الذي لطالما طرحته على نفسي : هل الكوميديون المحترفون مضحكون حين لا يكونون على خشبة المسرح؟ في هذه الحالة ، الجواب : نعم .

حين التقينا أخيراً ، استمر في ذلك . فبدأ بالإشارة إلى أنني أتكلم بصوت عالٍ جدّاً بالنسبة لمطعم - تقريباً بصخب كأمريكي ، أضاف هامساً بمكرٍ مزيف . واعترف أنه يعاني مما أسماه «سكوت المطعم» ، فالطبقة الوسطى الإنجليزية تحتاج لأن تتحدث بهدوء حين تكون في مكان فخم نوعاً ما .

ومن المثير للدهشة أنه في حديثي مع أحد أكثر الرجال فكاهة في العالم ، انتقلنا سريعاً لموضوع التخطيط المالي : أهمية ألاّ ينفق المرء أبداً أكثر مما يكسب ، وتفادي مخاطر بطاقات الائتمان والفوائد المتراكمة . والسبب في ذلك ، أنه بكونه كوميدياً مكافحاً ، فقد قضى عشر سنوات يتخبط في الديون قبل أن يحقق نجاحاً . «*في الوقت الذي كنت فيه في الثلاثين من عمري ، لم تُفضِ مسيرتي إلى أي شيء ، وكنت مديناً بـ ٤٠٠٠٠ جنيه . كنت جالساً في غرفتي وفكرت ، حياتي ليست ملكي ، فكل شيء مستأجر : الشقة مستأجرة ، الأثاث بالدين ، وما زلت أسدد أقساط التلفاز لمتجر ديكسون . . . وحتى جهاز الفيديو يجب أن أعيده إلى بلاكباستر*» .

إنها حقيقة مضحكة الآن لكنها كانت جادة وقتها، حيث تمّ استدعاء المحضرين. في البداية أخذوا سيارته، ثم الأثاث، ثمّ أجهزته. وفي إحدى الزيارات، أدرك أن هناك رجلاً يحمل ميكروفون يرافق جامع الديون. وحين استفسر مايكل عن معدات التسجيل تلك، شرح له أنه كان يعد وثائقياً للإذاعة ٤ حول مساعدي المحضرين. «قلت: *«لا يمكنني أن أشارك في هذا»*، ثم فكرت *قد تكون هذه هي الفرصة التي أبحث عنها، لذا رحت أحاول أن أكون طريفاً، وقد فكرت أنه بما أنني على الراديو فربما سيتواصل معي أحدهم*».

إذاً ما الذي أخذه من ذلك الضيق الشديد إلى الواجهة؟ لقد حدث أمر واحد بسيط لكنه أساسي: إذ جاء إلى الحياة طفله الأول، لوكاس. فحسب مايكل، يصبح الكوميديون مضحكين أكثر حين يصبحون أباء، وفي الغالب لأنهم مضطرون لذلك. وبالنسبة له كان التأثير فورياً: الشعور بالمسؤولية، والحاجيات التي يجب توفيرها. «*فكرت في أنني سأفعل كل ما يلزم قبل أن يتمكن من الكلام. لم أكن أرغب في أن تكون كلماته الأولى: «أبي، لماذا يأخذ هذا الرجل مسجل الفيديو»*؟

وبالتالي كان الدافع واضحاً، لكن كيف يجعل الكوميديون أنفسهم أكثر طرافة؟

«لقد كنت مجنوناً بذلك. بدأت العمل في الحفلات الموسيقية الصغيرة لسبع ليال في الأسبوع، مقابل القليل من المال، وأحياناً بلا مقابل، فقط لأجل الاستمرار في الممارسة، ولربط النكات مع بعضها البعض، ولأحظى بالوقت على المسرح. وعلمت أنني إذا استطعت استحداث قهقهة كبيرة، ثمّ واصلت العمل بجد فستتوالى القهقهات».

ومع مرور الوقت، أنجز عرضاً من عشرين دقيقة اعتبره بمثابة

اختبارِ واق من الرصاص (*«استطعت أن أجعل اثني عشر شخصاً في الحانة ، لم يكونوا يصغون حقاً إليّ ، يبكون من شدة الضحك»*) . بعد ذلك اتصل بأكبر وكيل في مجال الكوميديا ، ودبر له حفلة في ناد صغير ، أين قدم أفضل وأهم عرض في حياته .

حين نزل عن المسرح ، قال الوكيل ببساطة : *«إنك مفاجأة»* ، وحجزه لحفلته التلفزيونية الأولى في عرض «رويال فاريتي» . ثمّ ، سطع نجمه . وكأغلب النجاحات التي تحدث بين ليلة وضحاها ، فقد استغرق به الأمر عشر سنوات ليصل إلى هناك .

وأصبح الحصول على وقت على المسرح ، دون الحديث عن الوقت على الشاشة ، أسهل إلى حد ما بالنسبة لمايكل الآن ، باعتباره الكوميدي الأكثر طلباً في البلد . لكنه لا يزال يقدم عروضاً في الحفلات الصغيرة ، والنوادي القذرة أيام الثلاثاء الماطرة حين يقوم بصياغة مواد جديدة . ولا يزال يتذكر كم أن الأمر مؤلم حين لا تمتلك المال ، وحين لا تسير الأمور على نحو جيّد ، وحين يبدو الوضع ميؤوسًا منه حقا . لذا فإنه يوجه هذه النصيحة لأولئك الذين هم في هذه المرحلة :

«تحتاج بشكل ما أن تجد طريقة للإيمان ، وللاستمرار . لكن لا يكفي أن تقول لنفسك «كن واثقاً» فقط ، لا يمكنك أن تكون واثقاً فقط ، عليك أن تحيط نفسك بالأشخاص الذين يستخرجون الأفضل منك ، والذين يساعدونك ، وسيساعدونك في تنمية هذه الثقة . أنا أشبه ببرنامج «بريطانيا غوت تالنت» . أحتاج لثلاثة «نعم» . أحتاجِ أن تقول زوجتي ، والدتي ووكيلي جميعهم : «نعم ، كان هذا جيّداً» . حينها أقول لنفسي : حسناً ، هذا جيّد ، بإمكاني الاستمرار . وأرجع نجاحاتي إلى : زوجتي ، عائلتي ، وشبكة دعمي . تلك هي الـ «نعم» الثلاث الخاصة بي» .

هذه المرة ، لم يكن يمزح .



نويلا كورساريس موسونكا،
المواطنة المثالية

إن جمهورية الكونغو الديمقراطية هي عبارة عن تناقضٍ في هيئة دولة. إذ لديها من الموارد الطبيعية ما يفوق أي دولة أخرى في العالم، لكنها واحدة من أفقر الدول من ناحية النتاج المحلي الإجمالي ومتوسط العمر. لديها ما يكفي من الطاقة الكهرومائية الكامنة لتزويد أغلب أفريقيا، لكن أقل من عشرة بالمائة من البيوت فقط تمتلك الكهرباء. يراها الغَربُ أرضاً قاحلة، تسودها الجرائم الفظيعة جرّاء الحرب، لكنّها واحدة من البلدان الأجمل والأكثر خضرة التي قد ترغب في زيارتها على الإطلاق، وشعبها ودود ومرحب بقدر أي شعب آخر، الحقيقية التي يمكنني أن أقرها، ليس فقط من قضائي لبعض الوقت هناك، بل لأنّني أجلس قبالة واحدة من بنات الكونغو المفضلات.

أقصد بكلامي نويلا كورساريس موسونكا، عارضة الأزياء العالمية التي تقضي وقتها بين جلسات التصوير لمجلة فوغ وشركة إيجنت بروفوكاتور، بالإضافة إلى حياة موازية تدير فيها منظمة مالايكا، التي أسستها لتوفير التعليم والدراسة للفتيات في جمهورية الكونغو.

قصة نويلا هي قصة درامية لامرأة خبرت أوقاتً عصيبة. فقد ولدت في عائلة فقيرة جدّاً في الكونغو وفقدت والدها في الخامسة من عمرها. وفي بلد لا يذهب فيه سبعة ملايين طفل إلى المدرسة، وأين متوسط العمر هو ثمانية وأربعون سنة، اتخذت

والدتها القرار المعقول بأن ترسلها لتنشأ في كنف خالتها في أوروبا . لكن نويلا لم تنس أبداً طفولتها ومنزلها ، واستخدمت نجاح مسيرتها في عرض الأزياء لتصبح واحدة من ألمع نجوم وطنها ومن أكبر المدافعين عنه .

كان يحرّكها دافع لأن تجمع بين مسيرتها في مجال الأزياء وعلاج مشكلة التعليم في جمهورية الكونغو لأسباب إيجابية بحتة . «*إنني متحدثة باسم المعتقدات التي أريدها لبلدي . أريد أن يتعلم الأطفال أنهم يعيشون في بلد رائع وقارة رائعة - وليس لدينا ما نحسد الآخرين عليه بأي شكل من الأشكال*» . على الطرف الآخر ، ترغب أيضا في أن يستفيد أهل الكونغو بموارد بلدهم أكثر . «*إذا كنت على متن طائرة في الكونغو ، فستجدها مليئة بالأمريكيين ، الإنجليز ، الصينيين والهنود ، ولكن القليل فقط من الأفارقة ، هذا جنون . يبدو أن الكثير من الناس يحبون ثرواتنا!*» قالت ضاحكة ، لكنها كانت تعني ذلك .

في النهاية ، ترغب نويلا في أن تساعد في إنهاء الحقبة التي تُعامل فيها أفريقيا على أنها «أقل من» بقية العالم ، ولبلوغ هذا ، فإن التعليم هو الحل . «*من خلال التعليم الجيّد بإمكان شعبنا أن يصبح أداة للتغيير ، ويصبح قائداً لبلده ، وبالتالي نستطيع العمل مع الغرب كأنداد ، وهذا ما نفتقده*» .

ولا تتباهى أبداً بحجم عملها ، ففي نهاية الأمر ، هي تعلم آلاف الأطفال في بلد فشل في تعليم الملايين ، لكنها مجرد بداية . وتستخدم صوتها ومنبر مهنتها لتحث الآخرين على أن ينحوا نحوها . إن مهمة تشجيع الآخرين على الفعل ، وعلى المشاركة ، والقيام بشيء بدلاً من لا شيء ، كانت متأصلة في النصيحة التي قدمتها .

«مهما كان الصوت الذي تمتلكه
في هذه الحياة ، فعليك أن
تستخدمه . وأيّاً كان ما تملكه
فستموت دونه ،
لذا تبرع به . وإن استطعت
تقديم ساعة فقط
من وقتك ، فافعل»

نويلا كورساريس موسونكا



مستيقظٌ طوال الليل مع إندرا نويي

ماذا تفعل حين تدعوك للعشاء «أقوى امرأة في العالم» حسب تصنيف مجلة فوربس؟ بالطبع ستوافق. المرأة التي أتحدث عنها هي أندرا نويي، الرئيس التنفيذي لشركة بيبسي كولا وعضو مجلس إدارة الاحتياطي الفيدرالي. ويعود سياق هذه الدعوة إلى كون «إنوسنت»، شركة العصائر التي أسستها مع اثنين من الأصدقاء، كانت تنمو بسرعة، ودون أن ندري، جعلنا هذا محط أنظار بعض من أكبر شركات الأطعمة والمشروبات. ودون سابق إنذار، اتصل بنا أشخاص من طرف إندرا وقالوا إنها تود لقاءنا. واقترحوا لقاء عشاء في المرة المقبلة التي تكون فيها في لندن.

بدا فظًا قول لا، وكنت أشعر بالفضول حيال ما يتطلبه الأمر ليكون المرء رئيساً تنفيذيّاً عالميّاً لشركة مسؤولة على استثمارات عبر جميع أنحاء المعمورة، مع مئات الآلاف من الموظفين، ما يخلق فرصاً ومشاكل في كل منطقة زمنية. كيف تتولى عبء العمل؟ كيف كانت حياتها؟ هل لديها أي نصيحة جيدة؟ كان العشاء فرصة لإضاءة هذه الجوانب الثلاث.

بدأنا المساء بدردشة مهذبة، وأسئلة على نحو: «كم ستمكثين في لندن؟» وغيرها من مثل هذه الأحاديث البديلة. وعلى نحو مثير للاهتمام، اتضح أنّ إندرا كانت ستغادر ذلك المساء، بمجرد الانتهاء من العشاء. كانت طائرتها الخاصة مستعدة للإقلاع وكانت ستتجه من لندن إلى نيويورك بعد تناول القهوة

والنعناع . في أثناء ذلك ، كانت طائرة زوجها ، وهو الآخر رئيس تنفيذي عالمي لشركة كبرى للتكنولوجيا ، مستعدة للإقلاع من نيويورك باتجاه لندن . كان لديهما ابنتان وقد وضعا قاعدة مفادها أنّه يجب على أحد الأبوين أن يكون حاضراً معهما في المنزل ، وكانا يرتبان أوقات رحلاتهما بحيث أنه إذا أقلعت هي يقلع هو أيضاً . في حوالي الساعة الواحدة من تلك الليلة ، وفي مكان ما فوق الأطلسي ، سيعبران أمام بعضهما البعض بسرعة تقدر مجتمعة بألف ميل في الساعة ، كسفينتين سريعتين جدّاً وسط الليل . ووجدت الصورة غير قابلة للنسيان ، تماماً كفكرة منزلين نفاثين .

وحين بلغ بنا الحديث إلى منهجها في العمل ، تحدثت بشغف مطلق . إنها تحب بعمق ما تقوم به ، وقد قامت به كثيراً . وفي نقطة ما من الحديث ، سألَتْ إندرا : «*أتعرف ذلك الطنين الذي يصيبك حين لا تنام لثلاث ليال متتالية لأنك كنت تعمل على صفقة ما؟*» كان عليّ أن أعترف لها أنه لم يسبق وأن حدث لي هذا . في الواقع ، قلت : إنني لا أعرف حتى كيف هو الطنين من البقاء مستيقظاً لليلة واحدة فقط - حسناً ، ليس بسبب العمل على أي حال- وهو الجواب الذي أربكها لوهلة .

أخبرتني أنها في إحدى المرات ظلت ثماني ليال دون أن تأوي إلى الفراش ، وكان ذلك بسبب حجم الصفقة التي كانت تعمل عليها . وتساءلت عمّا إذا كان هذا ممكناً من الناحية الفيزيولوجية ، فاعترفت ، أمام استجوابي ، أنها غفت لخمس عشرة دقيقة على الأريكة في مكتبها في الليلة الثامنة . وإلى اليوم ، لا أدري إن كانت وقتها تمارس عليّ ألعاباً ذهنية أم لا . وإن كانت فعلت ، فقد نجحت . وفكرت إن كان هذا ما يتطلبه أن يكون المرء رئيساً تنفيذياً

عالمياً ، فمن الأفضل أن أبقى رئيساً محليّاً .

كانت رفقتها ممتعة ، فهي ساحرة ، بليغة ، جذابة ، ومع ذلك كانت قادرة على قول أكثر الأشياء غير المتوقعة . وحين طلبت نصيحتها ، أرادت أولاً أن تقدم بعض النصائح القيادية ، والتي كان أبرزها : «*أستقل الطائرة لأعود إلى منزلي مرة في الشهر ، وأقوم بطباعة بعض الأغاني لنغنّيها سويّاً . أنصحك حقا بالقيام بمثل هذا*» . وحين قلت إنّني أريد نصيحتها الأثمن ، كان هذا ما قدمته :

«*لا تأخذ إجازات . حين تبلغ عمري ستندم لأنك أخذتها . امنح نفسك كأقصى حد يوماً أو يوماً ونصف في السنة . واستغل هذا في قراءة كتب في مجالك . أمّا باقي الوقت فعليك فقط أن تعمل*» .

أول شيء فكرت فيه كان : «يا إلهي ، هذه حقيقة أسوأ نصيحة سمعتها على الإطلاق» . أما الشيء الثاني فهو : «عليكِ أن تذهبي في إجازات أكثر» . كنت سأقول هذا فقط ، ثم مع فكرتي الثالثة تذكرت أنها «أقوى امرأة في العالم» ، لذا لزمت الصمت ، أومأت وأكلت البودينغ الخاص بي .

«لا تأخذ إجازات .
حين تبلغ عمري سوف
تندم لأنك أخذتها . امنح
نفسك كأقصى حد يوماً أو يوماً

ونصف في السنة . واستغل هذا
في قراءة كتب
في مجالك . أمّا باقي
الوقت فعليك فقط أن تعمل» .

إندرا نويي



مقابلة شخصية مع يولي ستك

يعتبر تسلقُ الجانب الشمالي من جبل إيغر الأسوأ سمعة في العالم . وهو معروف لدى جماعة رياضة تسلق الجبال بـ «جدار الموت» ، فهو عبارة عن جرف مقعّر ، بارتفاع ميل ، يكسوه الجليد والانهيارات الصخرية والحوادث المفجعة : فتسلقه شاق ولا يرحم بقدر ما يبدو عليه .

إنّ أول شخصين على الإطلاق حاولا تسلق القمة لقيا حتفهما أثناء ذلك . وكذلك حدث للأربعة الذين تلوهما ، وبدأ سجلٌ وفياتٍ بلغ حالياً خمسة وستين شخصاً . وحين نجحت أخيراً مجموعة في تسلق الجانب الشمالي ، استغرق ذلك أكثر من ثلاثة أيام . وأعرضُ هذا السياق التاريخي ، لأن يولي ستك ، المتسلق السويسري الذي أنا معه الآن ، قد استطاع مؤخراً إنجاز ذلك في أقل من ثلاث ساعات ، وهي سرعة خيالية تحققت فقط بفضل قراره الخطير في القيام بذلك دون حبال . كان إنجازاً غير متناسب جدّاً ، لم يسبق إليه أحد في تاريخ تسلق الجبال ، والذي لا يعيد فقط كتابة قواعد التسلق ، بل يبدو أنه قد أعاد أيضاً صياغة قوانين الفيزياء .

كهَاوٍ لرياضة التسلق أنا نفسي (وأشدد على كلمة هاو) قلت له أنني قدْ وجدت صعوبة مع قرارك بالتسلق دون الحبال ، التّي هي أملك الوحيد للبقاء سالماً إذا ما ارتكبت أي خطأ ووقعت (والذي ، حسب خبرتي ، يحدث كثيراً) .

«أتذكر حين بدأت بالتسلق وسمعت أن هناك أناس يتسلقون

دون حبال فكرت في نفسي أنّ هذا جنون، ولن أقدم أبداً على شيء كهذا. لكنها عملية اكتشاف الأشياء، والقيام بها على أفضل نحو، هي ما دفعني لذلك».

لكن ماذا عن عامل الحظ الذي لا يمكنك التحكم فيه؟ «عليك فقط تقبل الأمر، عليك التسليم به». والخوف؟ «عندما أتسلق، لا مكان للخوف. إذا شعرت بالخوف، فهذا لأنك لست مستعداً بشكل جيّد».

وكنصيحة، قد يبدو أن فيها شيئاً من التبجح، غير أن الأمر غير صحيح في حالة يولي. في الواقع، يرى يولي أن التبجح قاتل: تحتاج إلى غياب الأنا للبقاء آمنا. «عليك أن تتأكد من أنك لا تشعر بأي ضغط للوصول إلى القمة وإلا فستبدأ باتخاذ القرارات الخاطئة. في يوم التسلق، أقول دائماً: «سأذهب فقط وألق نظرة». لا أقول أبداً، «سأفعل ذلك». وإذا انتابني شعور سيئ، فإنني أنزل ببساطة. أظن أنه إذا التزم المرء بذلك فلن يقع في أي خطأ».

وبالطبع، لا يمكن أبداً أن يكون في منهج يولي في التسلق أخطاء، ولا حتى خطأ واحد.

«إنني ألعب على الحافة بحق. حين كنت أتسلق جبل إيغر، كان عليّ أن أتحرك بسرعة، لذا لم أسمح لنفسي بأن أضرب بفأس الثلج سوى مرة واحدة فقط، دون مهاودة، لا أضرب أبداً مرتين. كان التزاماً كاملاً في كل مرة أضرب فيها بالفأس. ونجح الأمر، فحين تركز أكثر، تضرب بدقة أكبر».

إنها طريقة تفكير تقوم بقلب كل ما كان غيره من البشر ليفعله: إذا كنت على ارتفاع ميل في جرف عمودي، وحياتك تعتمد على فأس الثلج الذي أنت على وشك وضع كل ثقلك عليه، فسترغب

بالتحقق من أنه مثبت جيّداً . لكن بدلاً من ذلك ، يضع يولي في حسبانه العواقب المترتبة على ما يعنيه عدم تثبيت الفأس جيّداً ، وذلك للتأكد من أنه يركز بقوة كافية ليثبته بشكل صحيح منذ الضربة الأولى . إن هذا لمستوى متقدم من علم النفس .

وعلى مستوى أعمق ، قد تكون هذه الدرجة من الالتزام قد صارت ممكنة في جزء منها بفضل تأثره الشخصي بالنتيجة المحتملة . «*إذا أخطأت ، انتهى الأمر . أنا ميت ولن أضطر للعيش مع خطئي*» . وعلى نحو مثير للدهشة ، يقول إن هذه النتيجة هي أفضل لديه من الضغط الذي سيقع عليه لو كان رئيساً تنفيذياً ، «*حيث أنك إذا أخطأت ، فسيكون عليك طرد الناس ، وسيفقدون وظائفهم وأنت تعرف أنه كان خطأك وعليك أن تعيش مع ذلك حياتك كلها . لا أعرف ما إذا كنت أستطيع التعامل مع مثل هذا*» .

إنه تعليق نهائي يعزز الفجوة الهائلة بيني وبين يولي . لقد قمت بالفعل بتسلق «إيغر» - استغرق الأمر مني يومين ، وكان ذلك عبر التلال الغربية السهلة على نحو لا يقارن ، وقد استخدمنا الكثير من الحبال والمرشدين ، وكان هناك الكثير من اللحظات التي كنت فيها أتشبث مرتعداً بالصخرة ، حينها كنت لأطرد بسعادة جدتي مقابل الخروج من هذا الجبل اللعين .

لكنني قررت عدم ذكر ذلك ليولي .



بالنظر إلى الوراء، كان لدي نوع من التوجس قبل إجراء المكالمة. كان من المقرر أن أقابل مارغريت أتوود، الروائية الكندية الحائزة على جائزة البوكر العالمية، المتنبئة والمؤرخة صاحبة الحكمة المستمدة من عمر يفوق أربعين كتاباً. وللتعرف عليها أكثر، قمت بقراءة عدد من المقابلات عبر الإنترنت التي أوردت حقيقتين ذاتي صلة وثيقة بالموضوع على نحو غير مريح: أولهما، أنها تكره أن تختار الأفضل من أي نوع، وثانيهما، أنها لا تؤمن بإعطاء النصائح. سبب مكالمتي؟ طلب النصيحة الأفضل لديها.

بدأت المكالمة الهاتفية على نحو جيّد بما فيه الكفاية. تحدثنا عن جزيرة بيلي، التي هي عبارة عن أرض صغيرة في بحيرة إيري، جنوب غرب تورنتو. وقد استضافت مؤخراً تظاهرة «سبرينغ سونغ» السنوية، وسباقاً للطيور وحدثاً للقراءة بهدف جمع الأموال لمركز تراث جزيرة بيلي، مع لفت الانتباه إلى الطيور المهاجرة التي تستخدم الجزيرة لإراحة أجنحتها المرهقة. وتتعاطف مارغريت معها: فالجزيرة توفر لها هي الأخرى فترة راحة، ومكاناً للكتابة رغم بعض الإلهاء: «*يشير السكان المحليون إلى السياح الذين يبحثون عن منزلنا إلى بعد عشرة كيلومترات في الاتجاه الخاطئ*».

ولكنني كنت أعلم أنني لن أستطيع الاختباء وراء الحديث عن هذه الجزيرة لفترة طويلة، لذا أوجزت مخطط كتابي، موضحاً أنني أبحث عن أفضل نصيحة لديها. وعلى غرار كل إجاباتها التي تأتي سريعة وكاملة، قالت: «*أوه، أنا لا أقدم النصائح إطلاقاً ما لم تطلب مني*». لكنها كانت إجابة أفضل مما أتوقع، لذلك أشرت إلى أنني أطلب منها ذلك.

لسوء الحظ، لم يكن هذا مفتاح المحادثة التي كنت أطمح لها.

«*حسناً ، ولكن لأي شيء تطلب النصيحة؟ يجب أن تكون النصيحة محددة . حسب ما أعرفه ، ربما تبحث عن نصيحة حول كيفية فتح مرطبان*» ، فوضحت أنني بخير مع الأغطية فائقة الحماية (ضعه تحت صنبور ساخن أو أضرب الجانب برفق ليتراخى) ، ما أبحث عنه هو نصيحة تؤكد هي بالأخص أنها نصيحة صادقة أو مفيدة في الحياة بشكل عام . «*نعم ، ولكن لمن؟ وعلى ماذا؟ إن النصائح تتعلق دائماً بالشخص وبالظرف . كبداية ، ماذا لو كنت تعاني من الاكتئاب؟ يمكن أن يحدث هذا فرقاً كبيراً عن كيف هي حياتك وما قد تحتاجه أو ما قد يفيدك*» . آه ، لم أكن أتوقع ذلك . أعلم أن ٢٥٪ من الناس يعانون من مرض عقلي ولا أريد أن ألمح إلى أن جملة أو اثنتين من الحكمة سوف تحل مشاكلهم بطريقة أو بأخرى . لذا أخبرتها بأنني أتقبل وجهة نظرها ، ولنفترض أننا نتحدث عن الـ ٧٥ ٪ الأخرى . «*حسناً . هل هؤلاء الناس ولدوا لأبوين محبين أم لا؟ هذا تأثير كبير آخر على حياتنا وأعتقد أن نصيحتي قد تختلف تبعاً لهذا العامل*» . مم ، الآن إلى أين؟ من ناحية أوافق على أن بضع كلمات من نصيحة ما هي بديل ضعيف لعدم كونك طفلاً محبوباً ، ولكن من ناحية أخرى ، فإنه سيؤثر عليّ وعلى كتابي إذا لم أستطع الحصول على نصيحة من مارغريت أتوود .

شعرت ببعض العزاء من نبرتها . فهي لا تتصرف كشخص يسعى لأن يزعزعك ، بل تبدو منخرطة ، وحريصةً على المساعدة . في الواقع ، يبدو أنها ستفعل أي شيء بسعادة لأجلي ، باستثناء شيء واحد . والمؤسف أن يكون هذا الشيء هو الوحيد الذي أريده منها .

قررت أن أطلب من الله المساعدة . «حسناً» ، بدأت ، «لو نظرنا إلى الدين ، فيمكنك أن تختزلي أفضل تعاليمه في بعض السلوكيات البشرية المفيدة للجميع» .

«*آه نعم ، أحب جارك ، اغفروا لبعضكم البعض ، أشياء من هذا القبيل*»؟

«نعم، بالضبط»، أجبت بحماس، معتقداً أننا وصلنا إلى نقطة ما. لكن لم يدم تفاؤلي طويلاً.

«*المشكلة هي أنني أنا نفسي من ذلك النوع من النساء الذي يميل للانتقام. ولكن حين يؤذيني شخص ما، فعادة ما أكون كسولة جدّاً لفعل أي شيء حياله. وأميل إلى السماح للكارما بالعناية بذلك*».

حسناً، لم ينجح الدين، فجربت علم النفس. أعطيت لمحة مبسطة عن الدراسات حول السعادة البشرية، والتي تظهر أن الأشخاص الذين يساعدون الآخرين سيشعرون في نهاية المطاف بأنهم أكثر سعادة بأنفسهم. أليس هناك شيء في ذلك؟

«*بالتأكيد، إلاّ إن بالغت في القيام بذلك، حينها سينتهي بك الأمر إلى استنفاد نفسك، وهذا لا يساعد أحداً*».

بدأت الآن أواجه الحقيقة المزعجة في كوني أتعامل مع شخص، على الطرف الآخر من الهاتف، هو ببساطة أكثر ذكاء وأسرع فطنة مني. إنني أخوض في الأساس مبارزة شفوية مع أحد أعظم الكتاب على قيد الحياة، وكما هوم توقع، فإنني أخسر.

استشعرت مارغريت أنني في وضع حرج فقررت أن تعطيني استراحة، وقالت: «*انظر، أنا روائية. في عالمي، كل شيء يدور حول الشخصيات. من هم، أين هم؟ هل هم من كبار السن أو الشباب، أغنياء أو فقراء؟ ماذا يريدون؟ وحتى أعرف ما الذي يتصارعون معه، كيف يمكنني تقديم نصيحة*»؟

اعترضت قائلاً: «الرئيس كلينتون تمكن من ذلك».

أثار هذا انتباه مارغريت.

«*أوه، وماذا قال*»؟ فأعدت على مسامعها نصيحته حول أهمية رؤية الجميع: الشخص الذي يصب قهوتك، الشخص الذي يفتح الباب لك. وقلت إنها نصيحة أثرت بي كشيء يتلاءم وجميع

البشر . «*ما لم يكونوا كاتباً يحاولون إتمام كتاب ، حينها سأقول لهم أن آخر شيء تحتاجون إليه هو أن تروا أناساً أكثر ، أنتم بحاجة إلى البقاء في المنزل والعمل*» .

بدت المحادثة كلعب قط وفأر . ولم أكن أنا من يموء . فالتجأت إلى التوسل : نظراً لكل ما تعلمته ، فلا بد أنّ هناك شيئاً تعتقدين أنه يستحق أن ينقل .

«*حسناً ، لدي شيء لك . ماذا عن هذا : «حين يتعلق الأمر بالصبار ، فإن الأشواك الصغيرة هي التي توخزك ، وليست الكبيرة*» .

«*هل هذه استعارة للحياة؟*» سألت آملا .

«*لا ، بل أعني ذلك حرفياً . لقد كنت في الحديقة فقط أقوم بإزالة الأعشاب الضارة قبل أن تتصل ، وكانت تلك الشياطين الصغيرة مؤلمة حقّاً*» .

أوضحت لها أن هذه النصيحة قد تكون محدّدة جدّاً بالنسبة لهذا الكتاب ، لكنني سأحتفظ بها في ذهني لكتاب مستقبلي حول نصائح في البستنة .

أنا على وعي أن وقتي يكاد ينتهي . لدي فرصة واحدة أخيرة . وإذ ما تزال ترغب في تقديم المساعدة ، طلبت مني مارغريت مرة أخرى أن أحدد الجمهور لأجل النصيحة المقصودة . اعترفت أنني لم أضيق جمهوري المستهدف إلى أبعد من إخوتي البشر . أطلقت مارغريت ضحكة قصيرة وحادة . «لكنك لا تتحدث عن مجرد كتاب من أقوال مبتذلة تقرأها في المرحاض ، مليئة بأشياء مثل : «تظاهر بالابتسام وستصبح مبتسماً أكثر» .

«*بالطبع لا*» ، أجبت . لكنني أعتقد سرّاً في نفسي ، أنه يمكنني فقط استخدام هذا .

«أنا روائية ، في
عالمي ، كل شيء
يدور حول الشخصيات .
من هم ، أين هم؟
هل هم من كبار السن
أو الشباب ، أغنياء أو فقراء؟
ماذا يريدون؟
وحتى أعرف ما الذي يتصارعون معه ،
كيف يمكنني تقديم نصيحة»؟

مارغريت أتوود



توني بلير الجديد

حدث تغيير بسيط في خزانة الملابس منذ آخر مرة التقيت فيها بتوني بلير . في ذلك الوقت ، كان في الحكومة ، يرتدي ثياب رئيس الوزراء الكلاسيكية : ملابس أنيقة ، قميص بلا تجعّد ، ربطة عنق الولاء للحزب . أمّا الآن ، في عالم ما بعد رئاسة الوزراء ، فقد تخففت الأمور قليلاً : سترة رياضية ، جينز أزرق ، وقميص مفتوح العنق . لديه أيضاً اسمرار صحي جيد . يبدو أن الحياة بعد الحكومة تعامله بشكل جيد . توني بلير يبدو بخير .

ويمكن قول الشيء ذاته عن مكاتبه الخاصة أيضاً ، حيث تم حشرها في ركن سري من أركان ساحة جروسفينور . إنها مجهزة بشكل جميل وأنيق ، وأجمل في الواقع من الغرف في ١٠ داونينغ ستريت ، وهي فائدة تأتي من القدرة على اختيار المبنى الخاص بك ، بدلاً من أن يختارك المبنى .

لكن وبينما قد تكون الأمور المحيطة به قد تغيرت ، فإن توني بلير لم يفعل . إذ ما تزال صفته الأكثر تميزاً متوهجة : وهي طاقة التحفيز التي تشع منه . ويمنح حماسه والتزامه وذكاءه السائد في الحجرة إحساساً غير ملموس بأن المزيد قادم ، وأن الأمور تسير نحو الأفضل . فمُجرد وجودك في حضرة توني بلير يشجعك على التفكير بشكل أكبر ، والعمل بجدية أكبر ، والقيام بالمزيد .

في الحقيقة ، حسب توني بلير ، فإنه لا يزال يعمل بجد مثلما كان يفعل في السابق ، إذ يحل بعضاً من أصعب أحجيات

السودوكو في العالم - التطرف الديني ، التنمية الأفريقية ، والسلام في الشرق الأوسط . ومهما كانت وجهات نظرك حول توني بلير ، فإن الرجل ملتزم ، ولا يقضي الكثير من وقته في لعب الغولف .

تحدثنا عن الفترة التي كان فيها في الحكومة . قلت له أنه يبدو لي أن التجربة الجوهرية في كون المرء رئيساً للوزراء هي أنك تعمل في أي يوم من الأيام تحت أشد الضغوط وطأة وأكثرها قسوة ، وفقط عندما تعتقد أنه لا يمكن أن تزداد الأمور سوءاً ، فإن قضية جديدة تماماً تواجهك ، والتي يجب عليك التعامل معها بطريقة أو بأخرى . وإلى جانب كل ذلك ، فإن خصومك في مجلس النواب ووسائل الإعلام يقدمون عمداً أسوأ تفسير ممكن لأفضل نواياك . «حدّث ولا حرج» ، قال بأسى . «*بإمكاني كتابة كتاب بأكمله عن هذا*» .

إلى جانب هذا التوتر والضغط المستمر ، يقول أنه ، بصفتك رئيساً للوزراء ، فإنك تشعر أيضاً «*بشعور من الرهبة الداخلية من حجم القرارات التي تتخذها كل يوم ، وحتى كل ساعة ، والتي تدرك أنها ستؤثر بعمق على حياة الناس*» .

إذاً ، كيف يمكن للمرء أن يتعامل مع كل هذه القسوة؟ حدّد توني ، بصفته رئيس وزراء ، خطة تتكون من أربع نقاط للحفاظ على استقرار الوضع . أولاً : عدّد نعمك . فبغض النظر عن الضغوط ، لا تنس أنك تحظى بامتياز عظيم للقيام بهكذا عمل . ثانياً : تذكر ، كما تشير زوجته شيري مراراً وتكراراً ، أن الأمر اختياري ، فلا أحد يجبرك على أن تكون رئيساً للوزراء . ثالثاً : إيمانك بما تقوم به ، والأشخاص الذين تقوم بذلك لأجلهم . رابعاً : لا تفقد أعصابك ، عليك الاحتفاظ بروح الدعابة . احتفظ بهذه الأشياء الأربعة في ذهنك وستتمكن من تحمل التوتر أكثر .

ويدعو أيضاً إلى توفير مساحة لما يسميه «*بعض المناطق الشخصية الخلفية*» : قضاء الوقت مع العائلة ، العزف على القيثارة ، كما اشتهر عنه ، وأخذ إجازات . لكن هذا لا يعني أنك خارج الخدمة تماماً ، بصفتك رئيساً للوزراء . فحتى في العطلات العائلية ، كان توني بلير يسافر مع مكتب صغير ويؤدي كل يوم مسؤولياته . في السنوات العشر التي قضاها في رئاسة الحكومة ، لم يحصل على يوم إجازة واحد بالكامل . كان دائما يعمل ، حتى لو كان ذلك أثناء أخذ حمام شمسي .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل استمتع حقّاً بكونه رئيساً للوزراء؟ «*لطالما استوقفتني كلمة «استمتع» ككلمة غريبة لاستخدامها فيما يتعلق بالعمل . يمكنني القول بأنني شعرت بشعور عظيم بالهدف والشغف بشأن عملي . لكن التمتع بمعنى المتعة الخالصة؟ كان فقط في لحظات نادرة للغاية ، مثل التوصل إلى اتفاق الجمعة العظيمة والفوز في الألعاب الأولمبية ، فقد أمدّاني بشعور جيد . لكن الرضا الرئيسي جاء من المضي قدماً فيما كنا نرغب في تحقيقه في الحكومة ، فيما يتعلق ببرنامج الإصلاح الذي وضعناه*» .

من الواضح أن هذا الالتزام بالخدمة العامة ، ومساعدة الناس ، وتحسين الأمور هو المحرك الداخلي الذي ظلّ يمده بالقوة خلال عقد من الزمان في السلطة . لكنّه لم يكن يرغب دائماً في أن يكون سياسيّاً . في الواقع ، كان ذلك فقط عندما أخذه والد زوجته إلى مجلس العموم ليكتشف هذا النداء ، وشعر أنها رسالته . «*بمجرد أن وقفت هناك في مجلس النواب ، راودني هذا الشعور : «هذا هو المكان الذي يجب أن أكون فيه ، هذا ما أحتاج القيام به*» . كنت

محامياً في ذلك الوقت وحققت نجاحاً كبيراً ، ولكن لم يمنحني هذا ذلك الشعور . وبمجرد أن قررت أن أصبح نائباً في البرلمان ، بدأت أستيقظ بإحساس كبير بالهدف كل يوم ، ولم يغب عني هذا أبداً» .

ويقودنا هذا إلى أفضل نصيحة لديه :

«لا يميل الناس إلى النجاح بالصدفة . فإذا رأيت شخصاً جيدّاً جداً في شيء ما ، فهذا لأنه يمتلك دافعاً كبيراً لما يفعله ويعمل بجد في ذلك . لذا اعثر على ما قد يوقد الشغف بداخلك وقم به . وإذا تمكنت من إيجاد ما يثير شغفك ، والذي قد يحدث فرقاً لدى الآخرين ، فستكون ميزة رائعة في حياتك . في النهاية ، الأشياء التي تمنح أكبر قدر من الرّضا هي تلك التي تفعلها لأجل الآخرين» .

«اعثر على ما

قد يوقد الشغف بداخلك

وقم به . . . في النهاية ،

الأشياء التي تمنح أكبر قدر من الرّضا هي تلك

التي تفعلها لأجل الآخرين» .

تونـي بلير



عائلة[1] روثي روجرز

أنا في المكان الذي تلتقي فيه خطوط الهندسة المعمارية وفن الطّهي : مطبخ مؤسسةِ مطعم ريفر كافيه ومؤلفة الكتاب الذي طبع منه أكثر من مليون نسخة ، روثي روجرز ، داخل منزلها المهيب بتشيلسي ، الذي صممه زوجها المهندس المعماري ريتشارد روجرز .

يعد المطبخ المفتوح المظهر البارز في الغرفة الرئيسية ، بأبعادها الأشبه بأبعاد معبد ، حيث المذبح المصنوع من الفولاذ اللامع المقاوم للصّدأ ، أين يقدم الخبز والنبيذ ، أو أي شيء في موسمه ، للأفواه الجائعة والممتنة . بعد بعض أصوات التذمر والاستهجان من خلف الكواليس ، ظهرت روثي نفسها تحمل كوبين من قهوة الإسبرسو الداكنة اللاذعة ، يتوافق دفء كل منهما مع الآخر . إذا كنت ترغب في العثور على روح الضيافة متجلية في شخص ، فإن روثي أفضل تجلّ لهذا .

ريفر كافيه هو قصيدة غنائية لأسلوب الحياة الإيطالي ، أين يتشابك الطعام مع العائلة . وعلى الرغم من أن روثي قد ولدت في أمريكا ، إلاّ أن زوجها كان من مدينة فلورنسا ، وقد أكسبت ثلاثون سنةً من قضاء الإجازات في منزل العائلة روثي شغفاً بالطهي الإيطالي . «*كنت أذهب إلى مطبخ عمة ريتشارد وأجد هناك أختين تتجادلان حول ما إذا كان لا بد من إضافة الماء للبابا بومودورو أم*

---

(١) وردت بالإيطالية في النص الأصلي . (المترجم)

الطماطم فقط ، وفكرت في أن هذا هو نوع الجدال الذي أحبه» .

كانت والدة ريتشارد ، دادا ، متفرغة لمشاركة أسرارها حول كيفية الطهي وتناول الطعام والعيش مع روثي . «*حتى على فراش الموت كانت لا تزال تنقل نصائحها* . وكانت *كلماتها الأخيرة بالنسبة لي هي : «روثي ، أريدك أن تضعي المزيد من الكريم على وجهك والقليل من الأعشاب على سمكك»* .

مستلهمةً من هذا التقارب بين الحب والطعام والأسرة ، بدأت روثي وروز فكرة ريفر كافيه «*كمطعم يمكننا أن نصنع فيه نوع الطعام الذي كنا نأكله في منازل الناس في إيطاليا»* .

وبالرغم من أن «ريفر كافيه» هو الآن في العقد الثالث ويستقبل مئات الأشخاص في اليوم ، فإنه قد بدأ بأصغر طريقة ممكنة . «*كانت المساحة الأصلية صغيرة بما يكفي لتقديم ثلاثين أو أربعين طلبية فقط في اليوم . بالإضافة إلى ذلك ، أعطانا المجلس رخصة فقط لوقت الغداء ، من الاثنين إلى الجمعة ، لا أمسيات ، ولا عطلات نهاية الأسبوع ، وحصرياً للموظفين في المكاتب التي تقع في محيط المطعم . لذلك اضطررنا إلى جعل الزبائن يتسللون ، متظاهرين بأنهم يعملون هناك»* .

ومع ذلك ، كانتا تطمحان للجودة ، لا الكمية : كان الهدف هو أن يصبح أفضل مطعم إيطالي في لندن . وانتشر الخبر بسرعة حول أصالة الطهي ، على الرغم من أنه لم يكن مسموحاً للزبائن عملياً بالذهاب إليه . ومن عجيب المفارقات ، أن الجملة الافتتاحية للمراجعة الأولى على الإطلاق حول ريفر كافي (في جريدة إيفنينغ ستاندر بقلم فاي ماشلر) ، كانت «سأخبركم عن مطعم لا يمكنكم *الذهاب إليه»* . وكما قالت روثي ، كبر المطعم وكبرت معه

خبرتهما . ومع مرور الوقت تم الحصول على مساحة أكبر ، وتحسين رخص التخطيط تدريجياً ، وتطور إلى المطعم الكبير والجميل الذي هو عليه اليوم . وكانت هذه التجربة وراء نصيحتها بأنك إذا كنت ستفتتح مطعماً أو نشاطاً تجاريّاً «*ابدأ صغيراً ، فكر مليّاً ، ثمّ توسع مع التحكم في زمام الأمور*» .

جزء من النجاح الدائم للمطعم هو رؤية الفريق كمكوّن مهم مثل أي من المكونات الموسمية التي تأتي إلى المطبخ . «كثيراً ما يتحدث إليّ الناس عن مدى حبهم للطعام ، لكنهم دائماً ما يبدؤون بقولهم كم كان الناس لطفاء» . ونصيحتها هنا هي :

«أعطِ وستحصل على ما تعطيه . تعامل مع الجميع كأفراد : افهم الناس وشجعهم . هناك أيضاً انضباط حقيقي يعزز العمل الذي يقومون به . وأنا أؤمن بشدة أن بإمكانك تحقيق المزيد في بيئة عمل يسودها الأمل بدلاً من الخوف . . . إنّ التصور العام للناس وهم يصرخون أو يمارسون التسلط أو الترهيب أمر غريب بالنسبة إليّ» .

إن عائلة ريفر كافيه هذه استثنائية ليس فقط بتقاربها ولكن أيضاً لأنّها ، في صناعة يهيمن عليها الرجال ، كانت ترأسها أُمَّان ، حيث كانت الأمّ الثانية ، شريكة روثي وزميلتها ، الشيف روز جراي . «*كانت علاقتنا رائعة . لقد طبخنا معاً ، وعملنا معاً ، وكتبنا معاً ، وذهبنا إلى إيطاليا معاً ، بل كنا نرتدي الملابس نفسها*» . إنّ الطبيعة التكافلية لشراكتهما جعلت وفاة روز في عام ٢٠١٠ مؤلمة أكثر ، ومروعة في التعامل معها . «*كانت روز قوّة . عندما ماتت كان الأمر أشبه بأن تصبح أباً وحيداً ، ولكن مع خمسة وثمانين طفلاً . لكنني اعتقدت أن أفضل تكريم لها هي أن نجعل هذا المطعم أفضل وأفضل*» .

وبعد عام، فقدت روثي ابنها البالغ من العمر ستة وعشرين عاماً، والذي توفي فجأةً جرّاء نوبة مرضية أصابته في إيطاليا. وتشبّه روثي الأمر بـ «تسونامي». في دقيقة واحدة أنت في أمان على الشاطئ تطل على البحر، ثم يضربك الإعصار وتغرق. سألتها إذا كان هناك أي نصيحة يمكنها أن تقدمها إلى شخص يتعرض لمثل هذا التسونامي الخاص به. وتعكس إجابتها مدى فظاعة التجربة:

«*بقدر ما أود ذلك، لا أعتقد أنني أستطيع، لأن الناس كانوا يقدمون لي النصائح ولم ينجح أي منها. الشيء الوحيد الذي جعلني أتجاوز ذلك هو حب أطفالي، تقارب أسرتنا والتحامها. حيثما أكون أجد أحداً من أطفالي. أنزل في الصباح فأجد أحد الأصدقاء على الأريكة. لقد كانوا بطريقة ما موجودين هناك لأجلي ولأجل ريتشارد*». إشادة طيّبة بقوة أصدقائها وعائلتها وصلابتهم.

تواصل روثي تشبثها بالتشبيه بالمياه، وتقول إنه وبعد مرور خمس سنوات «*لا تزال المياه هائجة، لكنك تتعلم كيف تبحر، وتتعلم ما يمكنك فعله، وما لا يمكنك فعله، والوقت الذي تحتاجه للاستعداد*». وبينما قد يكون سوء فهم لعمق العواطف قول إنّ عملها قد شكّل عزاء لها، إلا أنه ساعد في بعض الأحيان على إلهائها. «*لقد وجدت صعوبة بالغة في طهي الطعام، فقد كان عملاً تأمليّاً للغاية. كنت أقف هناك أحرك الريزوتو وأبكي. وكانت الليالي أفضل لأنني كنت أنشغل فيها أكثر*».

وكان حبها وشعورها العائلي الذي كنّته دوماً لفريقها، والإصرار الذي أبدته هي وروز دائماً في معاملة الناس بلطف،

واحترامهم ، وتشجيعهم ، يشيران على الأقل أنها كانت في بيئة تشعر فيها بالأمان . «من الواضح أن لا شيء أكثر أهمية من عائلتك وأطفالك والأشخاص الذين تحبهم ، ولكنني أعتقد أن هناك تداخلاً بين العمل والعائلة في مقهى ريفر ، وعندما أذهب إلى هناك أفكر فقط كم أنهم رائعون» .

توقّفت للحظة لتتأمل الدور الذي لعبه مقهى ريفر في حياتها . «يقول لي الناس : «يا إلهي ، ما زلت هنا» ، فأفكر في نفسي «حسناً ، في أي مكان آخر أريد أن أكون»؟

ما اعتبره بمثابة المقياس النهائي للنجاح .

ضعي المزيدٍ من الكريم
وقليلاً من العشب

على وجهك
على سمكك .

دادا روجرز
على لسان روثي روجرز



جوني إيف قال للتو لا

خارج مجال الرياضة ، من الصعب الادعاء بأن شخصاً ما هو الأول فعلاً في مجاله الخاص . كيف يمكنك الحكم على من هو أفضل فنان أو كاتب أو ممثل أو أي شيء في العالم؟ جوني إيف ، رئيس قسم التصميم في شركة أبل والمصمم الصناعي الأكثر نجاحاً في العصر الحديث ، هو استثناء لهذه المعضلة . إنه الرجل الذي صمم هذا التقارب الفني والتقني الكامن حالياً في جيبك ، والذي عمل مع المؤسس الأكثر شهرة وتبجيلاً في العالم لخلق أكثر الشركات قيمة في الوجود حرفيّاً .

بالنسبة لرجل هو حقّاً ذو شأن ، فإنه لا يتصرف على هذا النحو . حين التقيت به كان أمام عربة برجر يأكل بعضاً من رقائق الشيبس . في الحقيقة ، كانت عربة البرجر تابعة لحفلة خاصة ، وكانت الرقائق لذيذة جداً ، فمع نجاحه الاستثنائي تأتي أيضاً درجة عالية من التواضع واستصغار الذات . ويبدو أنها سمة مشتركة بين الأشخاص الناجحين بحق والموثوقين : إنهم يميلون إلى أن يكونوا ، لعدم وجود وصف أفضل ، لطفاء . حتى أنه قدم لي بعضاً من رقائق الشيبس الخاصة به .

رفضت الطعام ، لكنني طلبت أفضل نصيحة لديه بدلاً من ذلك . لم يكن الأمر أصليّاً أو معقّداً ، ولكنه على الأرجح كان المحرك الوحيد الأكثر أهمية للنجاح - ويتناسب بالتأكيد مع تركيز شركته الأشبه بالليزر :

«عليك أن تركز حقّاً . قُم بشيء واحد فقط ، واسْعَ إلى أن تصبح الأفضل في العالم فيه» .

واعترفَ أن هذه لم تكن بالضرورة الطريقة التي اعتاد على أن يفكر بها . فمع وجود عقل مبدع كعقل جوني ، هناك آلاف الأشياء المختلفة التي قد يرغب في فعلها . «تعلمت أهمية التركيز من ستيف [جوبز] . كانت وجهة نظره هي أن عليك أن تقول «لا» في كثير من الأحيان أكثر من قولك «نعم» . في الواقع ، كان يسألني كل يوم إذا ما قلت «لا» ، حتى يتحقق من أنني أوقف الأمور بقول «لا» ولا يتشتت انتباهي» .

الشيء المفضل لدي في هذه القصة هو أنّه عندما أخبرني جوني بها توقف للحظة ، ثم اعترف بأنّه اعتاد على خلق مشاريع ما فقط كي يتمكن من أن يخبر ستيف أنّه أوقفها ، وبذلك كان لديه دائماً مثال على شيء قال عنه «لا» . وينقلني هذا إلى أمر آخر يتعلق بالأشخاص الناجحين ، فحتى الأشخاص البارعين ، على غرار بقيتنا ، ما يزالون ، في بعض الأحيان ، يزيفون الأمور بعض الشيء .

«قُم بشيء واحد فقط ،
واسْعَ إلى أن تصبح الأفضل
في العالم فيه» .

جوني إيف



توجيه أبوي مع البارونة هيلينا كينيدي مستشارة الملكة

«*ما يقوله لي الناس دائماً ، وحتى والدتي ، هو «لماذا لا يمكنك الحصول على موكلين طيبين*»؟ تقول هيلينا كينيدي ، واحدة من المدافعين عن حقوق الإنسان والحقوق المدنية الأكثر نشاطاً وجرأة في المملكة المتحدة . في الحقيقة ، يمكن للمرء أن يفهم من أين يأتي هذا السؤال : فقائمة موكليها متبّلة بأكثر الأشخاص إثارة للجدل في التاريخ البريطاني الحديث : قاتلة الأطفال ميرا هيندلي ، أعضاء الجيش الأيرلندي الذين كانوا خلف هجوم فندق برايتون في محاولة لاغتيال مارجريت تاتشر ، إرهابيو «القنبلة السائلة» الذين ندين لهم بعدم السماح لنا بأخذ أكثر من ١٠٠ ملل من السوائل على الرحلات مرة أخرى .

«*ما لا يفهمه الناس هو أنني لا أهتم بالموكل في حد ذاته ، وأنا بالتأكيد لا أتعامل مع آرائه وأفعاله ، ولكن إذا استسلمت إلى المعايير القانونية لأنك لا تحب الشخص الموجود في قفص الاتهام ، فإنك تتنازل عن شيء يحميك ، ويحميني ويحمي أبناءنا . الحماية التي قد نرغب في توفيرها ذات يوم لشخص عزيز علينا ، ولن نرغب في اتخاذ حلول سريعة حين . . .*» ، إنه منطق لا يقبل الجدل ، ولكن الأمر يتطلب شخصاً شجاعاً لربط هذه الحجج بأكثر الأشخاص المكروهين على هذا الكوكب ، ولا يأتي هذا دون تكلفة شخصية . «*نعم ، إنه لا يجعلك محبوباً دائماً*» ، كانت هذه طريقتها المتواضعة في التعبير عن ذلك . «*لكن ليس بإمكانك التصدي للإرهاب من خلال تدمير القانون وتقويض الديمقراطية*» .

في الآونة الأخيرة ، وعلى الرغم من أن هيلينا من المعيّنين من حزب العمال في مجلس اللوردات ، فقد شعرت بالحاجة المستمرة إلى تحميل حكومتها مسؤولية الانتهاكات المحتملة لحرياتنا المدنية . «*كنت انتقاديةً جدّاً بخصوص ما حدث في سنوات حكم بلير . في تسعينات القرن الماضي ، كنا نحقق تقدماً إيجابيّاً حقّاً فيما يتعلق بحقوق الإنسان ، وبعد أحداث ١١ سبتمبر ، صارت مهمتنا هي محاصرة الناس واحتجازهم دون محاكمة ، وعمليات التسليم الاستثنائي ، واللجوء إلى التعذيب ، ومحاولة الاستغناء عن المحاكمة أمام هيئة المحلفين . ويقع على عاتق الأشخاص مثلي التحدث عن هذا الأمر*» . توقفت لترتشف بعض الشاي ثمّ صرّحت بشكل قاطع : «*القانون هو سيدي وليس السياسة*» .

توضح هذه الرمال المتحركة ، فيما يتعلق بحقوق الإنسان ومراعاة الإجراءات القانونية ، حقيقةً مزعجةً حول الحريات المدنية والسياسية التي كانت حقيقية عبر التاريخ . «*عندما يتعلق الأمر بحقوق الإنسان فإنها ليست دائمة أبداً ، بل هي أشبه بالمد والجزر ، تأتي إلى الواجهة ثم تتراجع . ويريد ذوو النفوذ في جميع الأحوال تقريباً أن يحتفظوا بهذه السلطة لأنفسهم ، لذا يجب علينا أن نبقى يقظين إلى الأبد . ولكن حين تدافع عن مثل هذه المبادئ يجب أن تكون مستعداً لإثارة غضب جزء كبير من الناس*» .

قلت لها إنني مهتم بالمصدر الذي تستمد منه قوتها في التحمّل ، وعدم تهربها من مثل هذه المسؤوليات في الوقت الذي يفعل معظم الناس . وقد أعطت إجابة عميقة ، كان مفادها ، أنني كأب لطفلة حديثة الولادة ، ينبغي عليّ أنني أعود إلى المنزل وأحتضن ابنتي أكثر من المعتاد . «*كان لي أب يحبني ولم يجد أي عناء في التعبير عن حبه*

لي . شعرت أنني عزيزة ، وشعرت أنني محبوبة ، وشعرت بالثقة ، وكان ذلك يعني أنني لم أكن خائفة أبداً ، لذا ولجت العالم بجرأة وشجاعة . إن النساء اللواتي لهن هذا الترابط مع آبائهن هن نساء قادرات على تحقيق الكثير في حياتهن أو غزو العالم» .

ودفعني هذا لمشاركة قناعتي وأملي في أن تكون ابنتي قد ولدت في عالم يسير ليصبح أكثر فأكثر للنساء . فوافقتني هيلينا ، ولكن إلى حد ما فقط .

«لقد شهدنا بالتأكيد تغييرات كبيرة في المساواة بين الجنسين ، لاسيما بوجود جيل جديد من الرجال الذين هم أكثر التزاماً مع أطفالهم والذين لا يعتقدون أن كل المسؤولية يجب أن تلقى على عاتق الزوجة ، ولكن يعتمد هذا في النهاية على الحد الذي بلغت إليه تجربة المرأة . فإذا كنت امرأة في شمال العراق أو الكونغو ، فهذا ليس جيّداً ، لأن الحياة ما تزال دامية جدّاً هناك» .

وهو الجواب الذي يدحض طرحي البسيط على نحو ساذج .

والجدير بالملاحظة لدى هيلينا هو الانسجام المطلق بين معتقداتها الشخصية وأفعالها . أن يؤمن المرء بالمساواة وحقوق الإنسان أمرٌ ؛ وأن يقضي حياته في النضال لأجلها أمرٌ آخر ، وهذا يتطابق تماماً مع الفلسفة التي تضفيها على أهم نصيحة لديها :

«تعامل مع الجميع كقيم متساوية ، بغض النظر عن وضعهم أو من هم . هذا هو الشيء الذي أريده لأطفالي ، وأريدهم أن يشعروا دائماً أنّ لا أحد أفضل منهم ، والعكس صحيح . هذا ما علمني إيّاه والدي . لا تعاملْ أي شخص على الإطلاق بدونية ، كما لا تقبل أن يعاملك أي أحد بذلك ، واحترم إنسانية الشخص الآخر» .

ولا تنس أن تخبر أطفالك أنك تحبهم .



أوليفيا كولمان تقوم بالتنظيف

أخبرتني أوليفيا كولمان ، التي وصفتها ميريل ستريب بأنها «موهبة ربانية» ، وواحدة من أكثر الممثلات المحبوبات والمطلوبات في جيلها ، عن انطلاقتها الكبرى . وافترضت أنها تشير إلى حصولها على أول دور لها ، لكن اتّضح أنها كانت تقصد حصولها على أوّل وظيفة في التنظيف ، الوظيفة التي اعتمدت عليها أثناء محاولتها خوض غمار التمثيل . «عندما كنت صغيرة ، كنت أقيم وأمّي في دار ضيافة في كامبريدج . (كنا نظاميتين لأنها كانت بالقرب من المستشفى حيث كان والدي) وفي أحد الأيام جاءت صاحبة الدار وقالت إنها ستسافر في عطلة نهاية الأسبوع ، وبدوت لها جديرة بالثقة وأنني بحاجة إلى بعض المال ، لذلك أوكلت إليّ مسؤولية تنظيف الغرف وإدارة المكان . وفعلت ، وكانت تجربة جميلة» .

من المؤكد أنها ليست قصة الطريق إلى النجومية التي كنت أتوقعها ، ولكن يبدو أن أوليفيا تفخر بالمراجعات التي حازت عليها من التنظيف بقدر تلك التي تحصلت عليها من التمثيل . «كنت منظفة جيدة جدّاً ، وقد شهد الناس بذلك . لقد استمتعت حقّاً بالعمل ، وكنت أمينة جدّاً . إذا كان لدى أي أحد كاميرا سرية ، فسيدرك أنني لم أكن أبداً أفتش الأدراج» .

هذا التواضع والانتقاص من الذات نموذجيان لدى أوليفيا . وبينما كنا نتحدث ، طلبت مني مازحة أن أكتب أنها أنحف وأطول في الحقيقية ، وهي كذلك بالطبع ، كما تحيط بها هالة من السحر والجمال . حين تلتقي بها شخصيّاً فإن أوّل ما سيقابلك هو ابتسامتها الدافئة والناعمة ، على النقيض من الكلمات البذيئة التي تخرج أحياناً من شفتيها ولكنها تنسجم تماماً مع الشخصية التي تختبئ داخلها . حتى أن لها طقوساً يومية لجلب هذا السحر

للحياة : «لدي بعض القواعد التي أحتفظ بها منذ حوالي عشرين عاماً . حين أغادر باب منزلي في الصباح ، لا أسمح لنفسي بالعودة دون أن أقوم بفعل جيد تجاه شخص ما . إنّ هذا يجعلك تشعر بالرّضى ويساعدك على تذكر كم أنك محظوظ» .

قد تكون هذه التصرفات العشوائية اللطيفة ردَّ فعل لما قامت به معلمتها تجاهها . لم تكن أوليفيا تفكر في التمثيل قط ، لكن مُدرستها للغة الإنجليزية أقنعتها بالتقدم لتجربة أداء لأجل مسرحية مدرسية حين كانت في السادسة عشرة من عمرها . يكفي القول ، أنها أحبت ذلك . «كانت تلك التجربة الأولى للناس وهم يصفقون ويضحكون رائعةً جدّاً . كان الأمر أشبه بمحاولة تجربة المخدرات للمرة الأولى أو شيء من هذا القبيل ، لقد كانت تلك مخدراتي . واعتقدت أنني لو تمكنت فقط من كسب قوتي بالقيام بذلك ، فسيكون أمراً رائعاً جدّاً» .

في ذلك الوقت ، افترضت أن الأمر كان مستحيلاً . «كانت والدتي ممرضة ، ووالدي مساح أراضي ، فافترضت أنه كان مجرّد حلم سخيف ولن يحدث ، لكن كلّما تقدمت في السن ، أدركت كم كنت فظيعة في باقي الأمور ، وهذا ساعدني نوعاً ما ، لأنّه يعني أنه بإمكاني اللجوء إلى شيء آخر» . عدّدت أوليفيا الوظائف الأخرى التي حاولت القيام بها . «كنت أستاذة فظيعة ، هناك جيل من الأطفال كان محظوظاً بالنجاة مني . ثم تعلمت الطبع على الآلة الكاتبة لكنني كنت سكرتيرة رهيبة . الحمد لله على التنظيف ، وإلا لكنت مُت جوعاً» .

وخلافاً للتنظيف ، قالت إنها لم تحظ بأي فرصة كبيرة في التمثيل ، «لقد كان الأمر وكأنه يطهى على نار هادئة» . كانت السنوات الخمس الأولى صعبة ، وظلت تتقدم لتجارب الأداء باستمرار دون أن تحصل على أي دور . لكنها قالت : «كان أمراً جيّداً قضاء سنوات عاطلة عن العمل ، وأنا أقدر ذلك جدّاً . تصلني

بعض القصص عن ممثلين يعاملون بقية الطاقم بشكل سيء ، ولا يدركون كم أنهم محظوظون . أرغب في العمل معهم حتى أتمكن من الحديث إليهم» . ليس لدي أدنى شك من أنها ستفعل .

في هذه الأيام قلّت أعمال التنظيف . فقد أصبحت مطلوبة جدّاً ، حتى صار المخرجون يغيرون الأدوار كي تتمكن أوليفيا من لعبها . في الإنتاج التلفزيوني الأخير لجون لو كاريه «المدير الليلي» ، كانت شخصية أوليفيا الجاسوسة رجلاً في الأصل ، لكن الإنتاج أعاد كتابة الجزء كأنثى . وبعد ذلك اكتشفت أوليفيا بسرور ، قبل تجربة الأداء ، أنها حامل بطفلها الثالث ، فأعادوا كتابة الشخصية مرة أخرى لتناسب أوليفيا ، في وقت التصوير ، الحامل في الشهر السادس .

قُلت إن هذا دليل على مدى رغبتها في أن يغيروا شخصية الجاسوس إلى امرأة . وكالعادة تفادت المدح ، وقالت : «*إنّ هذا هو انعكاس أكثر للمجتمع ، إذ لم يعد مقبولاً أن تكون جميع الأدوار للذكور*» . *لكن ماذا عن إعادة كتابتهم للجزء مرة أخرى لاستيعاب طفلها الذي لم يولد بعد؟* «*حسناً ، حتى الجاسوسات يحملن أيضاً*» .

ونظراً لرفضها المستمر في أن تنسب الفضل لنفسها ، وسمتها المزدوجة بأن تكون متواضعة جدّاً ومحبوبة ، فإن نصيحتها لا تحمل أي مفاجأة حقيقية .

«*إذا كنت محظوظاً بما يكفي لتنجح فيما اخترت القيام به ، فلا تنساق خلف صيتك الخاص ، وتذكر أنه يمكن لكل شيء أن يتوقف غداً . افعل ما تفعله بأفضل ما لديك . خذ عملك على محمل الجد ، لا نفسك . والأهم من ذلك كله ، كن شخصا لطيفاً للعمل معه*» .

وإذا كنت بحاجة إلى بعض المساعدة في العمل المنزلي ، فأنت تعرف من عليك الاتصال به .

«الجاسوسات

يحبلن أيضاً»

أوليفيا كولمان



جيمس رودس الصامد

في المرة الأولى التي سمعت فيها عازف البيانو جيمس رودس، لم أكن أعرف من هو. حتى أن المناسبة لم تكن حدثاً موسيقيّاً، بل كانت أشبه بأمسية مسرحية في فعالية «لِترز أوف نوت»[١]. لكن كان هناك على خشبة المسرح بيانو كبير، وحين انطفأت الأنوار، قام رجل نحيف ومهلهل، يرتدي بنطلون جينز أسود ويجر حذاءه الرياضي، خافضاً عينيه باتجاه البيانو، وانحنى على المفاتيح بشعره الأشعث المتشابك. رباه، أذكر أنني فكرت في نفسي، إنه لا يشبه كثيراً عازفي البيانو. أعتقد أن معظم الجمهور كان يفكر بنفس الشيء. ولكن بعد بضع ثوانٍ من بدء العزف، كنا نفكر في شيء مختلف، وبعد بضع ثوانٍ ساحرة، لم نكن نفكر بأي شيء على الإطلاق.

يقول الكثير من الناس أن الموسيقى غيرت حياتهم، ولكن في حالة جيمس فقد أنقذت حياته حرفيّاً. حين كان جيمس في العشرينات من عمره في مستشفى للأمراض النفسية، عُثر عليه معلقاً من رقبته بحبل صنعه من كابل هوائي في محاولة جريئة وعازمة للانتحار. وفي أقسى لحظات تدهوره عقب هذا الانتحار الفاشل، قام صديق بتهريب جهاز آي بود إلى غرفته داخل زجاجة شامبو وقد حمّل فيه تنويعات غولدبرغ. وأراح الاستماع إلى تلك الموسيقى جيمس من شياطينه، وذكره أنه قد يكون هناك بعض الأشياء التي تستحق أن نحيا لأجلها رغم كل شيء.

---

(١) هي فعالية ثقافية أقيمت لأول مرة في لندن، يحضرها المشاهير والمثقفون، ويتم فيها قراءة الرسائل المميزة التي كتبت عبر العصور في جميع أنحاء العالم. (المترجم)

وكان السبب الذي دفع جيمس لأن يعلق نفسه في هذا الكابل في النهاية هو الاغتصاب الوحشي الذي ظلّ يتعرض له من طرف مدرس الرياضة ، كل أسبوع منذ سن الخامسة إلى العاشرة ، وهي محنة متكررة وشديدة خلفت لديه مشاكل في العمود الفقري والأمعاء ، وكذلك صدمات نفسية أعمق وأكثر خبثاً . ولذلك فهو رجل يستحق التهنئة ليس فقط لإتقانه الموسيقى (حيث أطلقت عليه صحيفة الإندبندنت صفة «الموهبة الشاعرية بحق») ، ولكن أيضاً لتحقيقه إنجازاً أكثر عمقاً بتحمله كل تلك الاعتداءات الداخلية والبقاء على قيد الحياة .

والأمر الآخر الذي يجب أن نقوله عن جيمس هو امتلاكه لحس دعابة أيضاً . فحين التقينا في ستاربكس لأول مرة ، وأخبرته أنه من الجيد أن ألتقي به شخصياً بعد كل رسائلنا النصية والإلكترونية ، رد بصوت خافت : «*اللعنة ، يا رفيقي ، ابقي صوتك منخفضاً ، سيعتقد الناس أننا في موعد غرامي*» . كان الحديث معه رائعاً ، على الرغم من ألفاظه التي لن ترغب في أن تسمعها أمك .

أخبرته أنه قد قلب الغرفة بأكملها في الوقت الذي سمعته يعزف على البيانو ، لكنه لم يشعر بأي شيء من هذا ، فقد غادر الغرفة يتملكه شعور بالغضب من أدائه . قال إن الشخص الذي ينشد الكمال في داخله دائماً ما يفعل هذا . «*يمكنني أن أفكر بأنني أفسدت الأمر لأنني في نوتة من أصل عشرة آلاف نوتة وضعت ضغطاً زائداً بمقدار أربع غرامات على المفتاح وكان ينبغي أن تكون بمقدار ميكرو ديسيبل لكنها لم تكن كذلك*» . هذا هو الهوس والمعايير العالية التي يطبقها في السعي وراء المستحيل : الأداء المثالي . لكنه لا يشكو . «*الموسيقى هي المحسِّن الوحيد في الحياة الذي لا يحمل أيّ آثار جانبية سيئة ولا يكلف ثروة ، وتتاح لي كل يوم فرصة إحاطة نفسي بها . وهذا أروع من أن يصدّق . لكنه*

حقيقي ، *لذلك أدرك جيّداً كم أنني محظوظ*» .

ويحترمٍ منهجُه في الموسيقى الكلاسيكية الملحنين جدّاً ، رغم كونه فوضويّاً على نحو متجدّد تجاه هذه الصناعة . فحين يعزف على المسرح الرئيسي في المهرجانات الصيفية مثل رويال ألبرت هول ، يقحم في عروضه بعض النوادر المتعلقة بالملحنين ، ويصدر ألبومات بعناوين سيئة مثل : الرصاصات ، التهويدة ، شفرة الحلاقة ، الأقراص الصغيرة ، البيانو الكبير . إنه متمردٌ يحمل على عاتقه مهمة تقديم باخ وبيتهوفن للجماهير ، أو الموت في سبيل ذلك .

وقد اكتشف جيمس البيانو أول الأمر كملاذ له خلال السنوات الأولى من عذابه السري في طفولته ، ولكن بعد اختياره الجامعة بدل كلية الموسيقى ، تخلى عن البيانو في الثامنة عشرة من عمره ولم يلمسه لمدة عشر سنوات . بتعبير أوضح ، كانت تلك العشر سنوات التي لم يعزف خلالها هي التي أحدثت خلالها العفاريت في رأسه أكبر ضرر ، وبلغت ذروتها بمحاولة الانتحار . لكن لحظة الآي بود تلك أثناء العلاج أعادت عزمه بالدخول على الأقل إلى صناعة الموسيقى . فوضع لنفسه هدفاً لأن يصبح وكيلاً لعازفي البيانو الكلاسيكيين واتصل بوكيل محترم جدّاً ليطلب وظيفة . في المقابلة ، جعله الوكيل يعزف على البيانو . استمع الوكيل لخمسة عشر دقيقة من العزف ، ثمّ قال إنه لن يدعم جيمس لأن يكون وكيلاً ، بل عليه أن يصبح عازفاً بدلاً من ذلك . أما بقية القصة فستشاهدها في السينما قريباً (حيث سيتم تحويل سيرته الذاتية ، الموسيقية ، إلى فيلم) .

هنأته على نجاحه وأيضاً على الانضباط الذي يلتزم به في حياته كعازف بيانو ، إذ يستيقظ كل صباح ليتمرن طوال اليوم ، وكل يوم . وأدهشتني ضراوة رده .

«هذا ليس انضباطاً ، فأنا أحب أن أتمرن . الانضباط هو الحضور

للعمل في الوقت المحدد ، الذهاب يومياً إلى العمل ، تسديد الرهن العقاري الخاص بك ، وكسوة أطفالك ، وإطعامهم وإرسالهم إلى المدرسة . هذا هو الانضباط . هذا هو التحمل . وهو أكثر شيء مبخوسٌ حقه ، وغير ملحوظ ، وبطولي ، لتتخطى يومك في النهاية دون مكافأة أو تصفيق ، حينها يكون كل ما ترغب في القيام به هو أن تضرب وجهك وتلقي بنفسك خارج المبنى» .

في الأساس ، هو رجل يعيش حلمه في حين لا يزال يتعين عليه تحمل كابوسه . «اسمع ، أنا أدرك كيف أن حياتي تبدو جيدة . أنا محظوظ للقيام بما أفعله . لكنني ما أزال أرغب في الموت أكثر مما أريد أن أعيش ، وأنا أعلم أنه لم يبق أمامي سوى بضع أدوية وبضع أسابيع على العودة إلى جناح الأمراض النفسية ذاك» .

وبالنظر إلى أنه أدرى بكيفية العيش مع الشياطين أفضل من أي شخص آخر ، فقد طلبت نصيحته لأولئك الذين يعيشون حالياً في أعماق الصدمة .

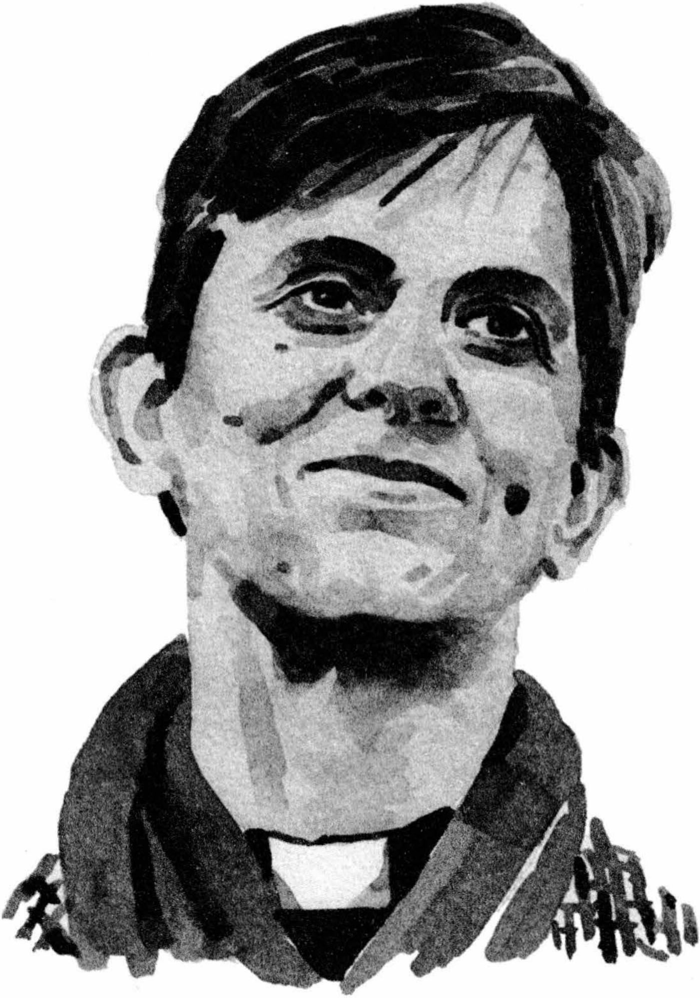
«حسناً ، يمكنك أن تقول كل الأشياء العادية مثل التحدث إلى الناس ، الاعتناء بنفسك ، طلب المساعدة . لكن لا شيء من ذلك سيحدث أي فرق . لا فرق على الإطلاق . أعتقد أن نصيحتي ، وليست نصيحة حقاً ، هي رغبة أكثر : أتمنى أن تكون محظوظاً بما يكفي للبقاء على قيد الحياة عندما لا ترغب في ذلك ، لأن الأمور يمكن أن تتحسن . فقط ابق على قيد الحياة . فقط على قيد الحياة بأي طريقة ممكنة»[١] .

---

(١) إذا كنت تعاني ، الرجاء التفكير في الاتصال بـ «مايند» ، جمعية خيرية رائدة في مجال الصحة العقلية . سوف يقدمون لك العون . زر موقعهم على الانترنت لمزيد من المعلومات : www.mind.org.uk. (الكاتب)

«فقط ابق على قيد الحياة .
فقط على قيد الحياة
بأي طريقة ممكنة»

جيمس رودس



ليبي لاين،
الكاهنة المبجلة التي لا تعرف الخوف

الدين، هو عالم الرجال. أو على الأقل كان كذلك تاريخيّاً. لكنني أجلس الآن مع الشخص الذي يوضح بشكل أفضل التزام كنيسة إنجلترا بالبدء في تغيير ذلك: أسقف ستوكبورت، المعروف أيضاً باسم الكاهنة ليبي لاين، أول أسقف أنثى في المملكة المتحدة.

«*لم يكن الأمر متعلقا بي. لقد كانت لحظة تغيير، وقد حدث لي أن أكون فيها*»، هذا ما تقوله الأسقف لاين عن انخراطها في أحد أهم التطورات في تاريخ كنيسة إنجلترا منذ نشأتها. تواضعها حقيقي. لم تسعَ أبداً لأن تكون أسقفاً، بل كان هذا طلب أحد كبار كنيستها، وما كان عليها إلا أن لبت الدعوة. لكنها لا تنسب الفضل لنفسها أبداً في هذه اللحظة الثورية جدّاً حتى لا تتخلى عن يسوع وتشترك مع الشيطان.

على غرار معظم محاولات تغيير الوضع الراهن، واجه ترسيمها مقاومة، وصولاً إلى تكريسها الفعلي، حيث رفض بعض زملائها الأساقفة وضع أيديهم عليها وصاح أحد القساوسة معترضاً على الطائفة في بث تلفزيوني مباشر. سألتها عن رأيها حول كبار أعضاء الكنيسة هؤلاء، الذين كانوا وما زالوا ضد ترسيم أساقفة نساء. «*أعتقد أنهم على خطأ، لكنني لا أشك في أنهم مسيحيون أتقياء، وأنّ المؤسسة محقة في السماح لهم بتولي مناصبهم لأن الرب أكبر منا جميعاً*». ثمّ صمتت قبل أن تضيف بروح ثورية أكثر: «*قد يتبيّن، يوم الحساب، أنهم كانوا على حق وأنه ما كان عليّ أن أفعل ذلك، لكن يمكنني العيش مع ذلك*».

اتضح أن تلك الومضة من الاستقلالية البنّاءة، وحتى التحدي، ليست مجرد حدث منفرد، بل هي سمة دائمة في شخصية ليبي، وقد ظهرت في وقت مبكر. كان دخول ليبي للكنيسة للمرة الأولى حين كانت في الحادية عشرة من العمر، من قبل صديق، إذ لم تكن أسرتها تتردد على الكنيسة. بعدها أصبحت منغمسة جداً في أنشطة الكنيسة، ولم تكن تجاوُزَاتُها بالأمر النموذجي لدى فتاة مراهقة، حيث كانت تذهب إلى الصلاة بدلاً من الحفلات. «*لم يكن ذلك تمرداً واعياً، بل كنت أنشئ هوية مستقلة، كما يحتاج المرء أن يفعل في سن المراهقة. وأشعر أنني كنت مباركة لأنني تمكنت من القيام بذلك بشيء كان بنّاء وداعياً للحياة وإيجابيّاً*».

وجاء التزامها هذا ليس لأنها شعرت بيد الرب حين دخلت الكنيسة لأول مرة، بل ببساطة لأنها وجدت القبول والاعتراف من قبل زملائها من مرتادي الكنيسة. «*لقد تعاملوا معي بمساواة منذ البداية. لم أكن مجرد فتاة تبلغ من العمر أحد عشر عاماً، بل كنت أنا. وتذكر الكاهن اسمي، وكان هذا الشيء الصغير، الذي هو بمثابة مؤشر على احترامه لي كطفلة، هامّاً جدّاً بالنسبة إلي*».

سمحت سنوات طفولتها تلك التي قضتها في الكنيسة وبين جماعتها بتطوير إحساس أعمق وأطول أمداً بالغاية والإيمان. «*كانت الجماعة بمثابة هبة لي. لقد كان مكاناً آمناً لاكتشاف أننا جميعاً متشابكون، وأننا مسؤولون، ليس فقط أمام الرب بل أمام بعضنا البعض أيضاً. لقد تعلمت أنه يمكنني أن أضع الآخرين قبلي لأنه بالمقابل سيعتني الآخرون بي، وأنه من خلال الاستعداد لمنح الأولوية للآخرين، فقد كنت بدوري محفوظة ومصانة*».

قضيت أكثر من ساعتين في الحديث عن الدين مع ليبي لاين . وتطرقنا لكل موضوع يمكن تخيله فيما يتعلق بإيمانها ، إلهها ، كنيستها ، عيوبها وتعاليمها . لم يسبق لي وأن التقيت بشخص رقيق الروح وحازم في الوقت ذاته مثلها . إنّها منفتحة جداً على التحدي ومع ذلك ثابتة في اعتقادها . تمتلك رؤية واضحة جداً حول قضايا منظومتها ، ومع ذلك فهي مفتونة بمبادئها الأساسية . ويختلف مستوى سلامها الداخلي وطمأنينتها عن مستوى أي الشخص صادفته . بعبارة واحدة ، فإنها تترك لدى المرء إحساساً مفاده : «*أريد بعضاً مما لديها*» .

في لحظة هادئة وهامة على نحو خاص ، شاركت ليبي أعمق المعتقدات التي ترتكز عليها حياتها وهويتها ومهنتها وإيمانها ، وما ينتج عنها من إحساس بالسلام : فهي ، مثلنا جميعاً ، محبوبة من الرب . «*ما يأتي أولاً هو تقدير الرب لنا ، وهذا يعطي إحساساً بالتقدير الذاتي الذي لا يحتاج إلى أن يولد أو يُبحث عنه في أحداث خارجية . هذا يعني أنني حر وهادئ ولدي هدف وأمل*» . هذه هي الطبيعة المطلقة لهذا الاعتقاد التي تمنحها الثقة لمتابعة رسالتها في الكنيسة ، على الرغم من أنه في ذلك الوقت لم تكن هناك أي علامات حول إمكانية ترسيم النساء . ومن ثم تحملت الألم من نبذها من قبل بعض كبار مؤسستها الموقرة حين أصبح الترسيم ممكنا في النهاية . وقد فعلت ذلك بكل بساطة لأنها ، كما قالت : «*لم أتمكن من فعل أي شيء آخر*» .

هذا الإحساس العميق بالانتماء والطمأنينة والذي يمكن أن يجلبه الدين هو جزء لا يتجزأ من إجابتها حين طلبت منها نصيحتها الأثمن :

«هناك لازمة دائمة
في الكتاب المقدس :
«لا تخافوا» - لا تعيشوا بدافع
الخوف . بالتأكيد ، من الطبيعي
أن نشعر جميعاً
بالخوف في بعض الأحيان ،
فنخاف من الوحدة ،
من الفشل ، ومن عدم التكيف .
ولكن إذا كنا نعيش حياتنا
بدافع الخوف ،
فإن هذا يضر بنا ،
وبعلاقاتنا ، وبمجتمعاتنا . يحتاج المرء

إلى العثور على شيء يمنحه
الشعور بالسلامة ، والأمن ،
والانتماء . وهذا يأتي
مع قبول أنّ الرب يعرفنا جميعاً
ويحبنا . وإذا أدركت هذه
الحقيقة ، فستتيح لك
التحرر من الخوف . لذا
يمكنك العيش دون
دافع الخوف بل بدافع الأمل
والامتنان» .

الكاهنة ليبي لاين



ألان دو بوتون، مطارد الأشباح

بينما كنت متجهاً نحو منطقة الأمتعة في مطار هيثرو، جال فكري، كما يفعل دائماً في هذه المرحلة من الرحلة، حول ألان دو بوتون، الكاتب وفيلسوف الحياة اليومية. والذي يصف في كتابه «أسبوع في المطار» (والعنوان حرفي، فقد كتب الكتاب على مدى سبعة أيام من العيش والنوم والكتابة في المحطة النهائية رقم ٥ في مطار هيثرو)، ذلك التفاؤل غير العقلاني، والحزن الذي يليه، والذي نواجهه جميعاً عندما نمر عبر بوابة الوصول ونتفحص سرّاً وجوه الأشخاص الذين ينتظرون وإيماءاتهم، على أمل أن نجد بينهم شخصاً ما في انتظارنا، رغم أننا نعرف جيّداً أنه لا يوجد أحد. قبل أن أقرأ هذا، كنت أظن أنني الوحيد الذي يفعل.

ما هذا إلاّ مثال من آلاف الأمثلة على ما يقوم به الرّجل على أفضل وجه: غربلة قلعة الرمل الهشة للروح البشرية، وفحصها حبّةً حبّة، وطمأنتنا بأن مشْكال الأفكار والمشاعر التي نختبرها في يوم عادي أمر طبيعي ولَا يجعل منّا معتوهين. أو على الأقل، ليس أكثر من الشخص القادم.

يعتبر منزله في شمال لندن، أين التقينا، تجلياً ماديّاً لعمله. حيث يقع في شارع هادئ بين كنيسة قديمة وورشة رسام، مكانٌ للراحة الفلسفية بين عالمي الفن والدين، موضوعان من الموضوعات الكثيرة التي يكتب عنها. كما أن غرفة الحديقة الهادئة التي جلسنا فيها كانت جاهزة للاستفسار العلاجي: كرسيان مريحان يواجهان بعضهما البعض يدعوان للمحادثة، علبة مناديل ورقية وسرير نهاري، جميعها في متناول اليد في حال ما أصبحت الأمور مضطربة للغاية، وجدار من الكتب يضفي جواً مطمئناً من المعرفة على كلٍ ذاك.

يعدّ إنتاج آلان دي بوتون غزيراً: ثلاثة عشر كتاباً تغطي الفن،

والجنس، والعمل، والعلاقات، والسفر، والدين، والموضوعات الأخرى المهمة في الحياة. علاوة على ذلك، فقد قدّم عدداً لا يحصى من الأفلام الوثائقية، وأنشأ مركز للتعلم يدعى «مدرسة الحياة»، تُقدّم فيه دورات حول التعامل مع المعضلات المختلفة التي تواجه الإنسان. لا شك أن ألان دو بوتون هو فيلسوف في مهمة: «*هدفي هو أن يكون المجتمع أكثر تعلّماً سعادة، من الناحية العاطفية، دون أن يغفل، بأي حال من الأحوال، حقيقة أن الحياة مأساوية في بنيتها*».

ومن معتقداته الرئيسية أنّ معظم الناس يفترضون أن أكبر المشاكل في المجتمع هي مشاكل سياسية واقتصادية، ونحن نقلل من أهمية العواطف إذ «*ينظر إليها على أنها ليست جادة نوعاً ما، فهي شيء تفعله في عطلة نهاية الأسبوع، ولكن الأشياء التي تبدو أكثر جدية كالاقتصاد والسياسة هي، في معظمها، تدور حول العواطف البشرية وعمل هذه العواطف*».

علاوة على ذلك، فإن أنفسنا العاطفية هي التي غالباً ما تتسبب في مشاكل الإدمان، وانهيار العلاقات، والقلق، والغضب، والإحباط، وكل المآسي الأخرى التي تعيق الناس. وبالنظر إلى حجم المشاكل، فقد أدهشه ألاّ يكون هناك نظام أكاديمي واحد يُهيئك «*لما يعنيه أن تكون مخلوقاً عاطفياً يخرج، في كثير من الأحيان، عن نطاق السيطرة*». ومن هنا كان شاغله أن يجد لنا طرقاً لإرشاد أنفسنا وتعزيتها.

إذاً، هل كانت هذه هي رسالته دائماً؟ هل شرع في سن مبكرة في المساعدة على سبر أغوار الحالة الإنسانية؟

«*انظر، أنا شخص خجول، ذو روحٍ مذعنة بالفطرة. أردت الحصول على وظيفة عادية. كنت كادحاً، أحببت إطاعة الأوامر، وأحببت الاندماج. لكنني عرفت أن الأمر برمته مجرد زيف، عرفت أنّه بأكمله هراء. لقد كنت أفعل كل ذلك فقط إرضاء لعائلتي*

المتطلبة جدّاً ولأن أكون فرداً طيباً ، لكن مع تقدمي في العمر ، أصبحت فكرة الوظيفة العادية ، في أن أكون محاسباً إدارياً أو ما شابه ، تجعلني أشعر بأنني ميت من الداخل على نحو متزايد . لكنني واجهت أزمة حين غادرت الجامعة ، وأنا أفكر ، ماذا بعد هذا»؟

ويرى أن المجتمع يمارس ضغطاً كبيراً على الناس حتى يعرفوا ما الذي يريدون فعله ، ويمكن لهذا الضغط أن يكون عائقاً . ففي حين يعرف بعض الأشخاص المحظوظين منذ سن مبكرة ما الذي يريدون القيام به ، يكتفي البعض الآخر فقط بالقيام بعمل ما طالما يكفل لهم تسديد الفواتير ، وهناك فئة ثالثة واسعة من الناس الذين يشعرون على نحو : «أعلم أن هناك شيئاً أريد فعله ، لكنني لا أعرف ما هو حتى الآن» . ويمكن ألاّ يكون العالم صبوراً مع هؤلاء الناس . وما لم تستطع أن تقول للعالم : «أريد أن أفعل شيئاً محدداً» ، فإننا مغلوبون على أمرنا» .

لذا فإن نصيحة ألان دو بوتون حول كيفية عيش حياة أكثر ثراء تخاطب مباشرة هؤلاء الأشخاص من هذه الفئة الثالثة : «اعثر على ما يقودك . ليس هذا بالأمر السهل ، فمعظمنا ليس واضحاً مع نفسه . لكننا نلتقط أحياناً إشارات غامضة ، كنوع من التوق الغامض النابع من شيء يشبه شبح الذات ، الكامن عميقاً داخلنا . شيء يرفض الموت ، ولكنه ليس على قيد الحياة أيضاً . هذا الشبح هو ذاتنا الحقيقية ، وهي تحاول الخروج . أصغ إليه . لأ نه ينبغي علينا أن نحوّل شبح الذات هذا إلى شخص حقيقي . إننا بحاجة إلى أن نبعث في الشبح الحياة» .

طلبت منه نصائح لأولئك الذين يحاولون تعقب شبحهم . وعلى نحو مثير للدهشة ، تبيّن أن كلاً من الحسد ، والتشاؤم والموت قد تجنّد للمساعدة في مطاردة الشبح .

«قم بتحليل ما يثير حسدك . من المستبعد جداً أن نحسد

شخصاً بأكمله ، فإذا فككت الأمر ستجد أنك *في الواقع تجسد صفات محددة فيه ، لنقل منهجه في التصميم الغرافيكي أو قدرته على صنع الكعك ، وعليه يمكنك أن تبني ، انطلاقاً من تحليل ما يثير حسدك ، نموذجاً لذاتك المثالية»* .

ستحتاج أيضاً إلى اختبار أشياء جديدة وتجريبها ، لذلك ، فإن وجود خلفية من التشاؤم تساعدك على التقليل من الضغط . «*«سيحدث كل شيء على نحو خاطئ» ، هي نقطة بداية مفيدة ، تتيح لنا تقبل الفشل . كثيراً ما كنت أوطن نفسي في المشاريع المحفوفة بالخطر على إحساس مفاده : «أوه اللعنة ، قد ينهار كل شيء ، لكن لا بأس بهذا»»* .

في الأخير ، يمكنك استخدام الموت للمساعدة ، وإن كان ذلك بشكل غير مباشر . «*لا يريد المرء أن يخيف الناس ، لكن من الواضح أن الحياة قصيرة جدّاً ، وتذكير أنفسنا بذلك ينبغي أن يقوينا وينفض عنا ذلك الخمول الذي يصيبنا أثناء بحثنا*» .

وإذا كنت ، بعد كل ذلك ، لا تعرف ما عليك فعله ، فلا تقلق . يقول ألان أنّ من الممكن أن يكون الفلاسفة الوجوديون السوداويون ، الذين عاشوا أواسط القرن العشرين ، على حق . فقد كانوا يعتقدون أننا جميعاً أشبه بمن يطلق النار في الظلام عندما يتعلق الأمر باتخاذ القرارات الكبرى بشأن ما يجب فعله في حياتنا ، ولا ينبغي لنا أن نتوقع معرفة ذلك ، أو حتى الاستمتاع باكتشاف ذلك . وفي النهاية ، أقرّوا حكمة سولون بدلاً من ذلك ، والذي أعلن : لا يجب أن يوصف أي شخص بأنه سعيد قبل موته .

كم هم مبتهجون ، هؤلاء الفلاسفة .

«ينبغي علينا أن نحول
شبح الذات هذا
إلى شخص حقيقي . إننا بحاجة
إلى أن نبعث في الشبح
الحياة» .

ألان دو بوتون



روح الدعابة لدى روبي ووكس

«*لم أستطع التوقف . كنت أطلق النكات حتى أثناء خضوعي لعملية قيصرية*» . تتحدث روبي ووكس ، الممثلة ، والكاتبة والكوميدية ، عن الضغط المرضي الذي اعتادت أن تشعر به لتكون مضحكة . لم يكن هذا من باب التذمر ، بل كانت تشرح فقط أحد الجوانب السلبية لكونها ممثلة كوميدية محترفة : يتوقع الناس منك أن تكون مهرّجاً مسلّياً طوال الوقت .

ومما زاد من حدة هذا الضغط هو تاريخ روبي مع نوبات الاكتئاب الشديدة ، وهي الحقيقة التي كانت تشعر أن عليها إنكارها بسبب عملها اليومي . وقد بلغ هذا المرض حدود المنطق . ذات مرة خرجت بنفسها من مركز العلاج النفسي أين كانت تتلقى العلاج ، لتذهب لإجراء مقابلة في أحد البرامج التلفزيونية ، ثمّ عادت إلى المستشفى في ذلك المساء . «عندما عدت نظر إليّ المرضى وقالوا : «*هل أنت مجنونة؟*» *وكان هذا إطراءً منهم*» .

لا تزال سيدة طريفة جدّاً ، ولكن لديها هذه الأيام هدف آخر أكثر جدية : إطلاق حملة لأجل صحة عقلية أفضل وتغيير النظرة السائدة حول هذه المشكلة . وهي على دراية كبيرة بهذا الميدان ، ليس فقط من خلال تجاربها الخاصة ، بل لأنها أيضاً في محاولتها لفهم المرض الذي كان ينال منها بانتظام ، تحصلت على درجة ماجستير في العلاج المعرفي السلوكي من جامعة أوكسفورد ، وأخذت على عاتقها مهمة إدراك ما الذي يحدث حين يصاب المرء بالاكتئاب .

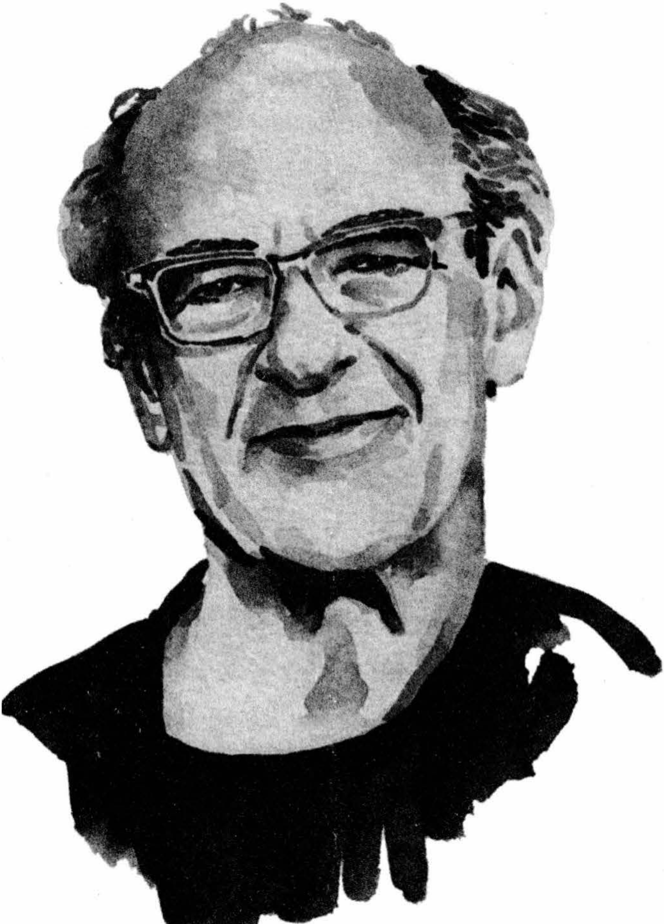
لم تكن تنوي أن يجعلها هذا المسار الجديد الوجه الإعلاني للصحة العقلية ، لكنها أصبحت كذلك ، بأتم معنى الكلمة . حيث أطلقت مبادرة ، تموّلها منظمة الإغاثة الكوميدية لرفع الوعي بالأمراض العقلية ، تقوم على تعليق الملصقات في جميع أنفاق لندن والتي تظهر عليها صورة روبي معلنة أنها قد عانت من الاكتئاب . صدمها الاهتمام في الأول : «*ظننت أنه يبدو كملصق من ملصقات المشاهير ، لكنني قررت أن أساير الأمر عن طريق القيام بعرض فكاهي عن الأمراض العقلية والتظاهر بأنني فعلت كل شيء عن قصد*» . وأدت العرض للمرة الأولى في عيادة بريوري للعلاج ، أين كانت قد تعافت سابقاً من الانهيار العصبي ، ولأنه لاقى استحساناً جيّداً ، قامت بجولة حول معاهد الصحة العقلية الأخرى عبر جميع أنحاء البلاد . تلا ذلك العديد من الكتب والعروض ، يهدف كل منها إلى توفير الراحة ، والبصيرة والمشورة للأشخاص الذين يعانون من القلق ومن مشاكل العصر الحديث .

بعد خمس وعشرين سنة قضتها في إضحاك الناس على التلفاز ، تقول إنها في هذه الأيام تفضل أن تكون في قاعة التدخين بمراكز الصحة العقلية تتحدث إلى المرضى الذين تشير إليهم الآن باسم «شعبي» . وحتى لو كان من الصعب التفكير في أي شخص آخر قام بأكثر مما قامت به هي لإخراج مشاكل الصحة العقلية إلى العلن ، إلاّ أنّها لم تنته بعد . فقد كانت آخر مبادراتها هي إطلاق مقاهي «فريزلز» ، وعقد لقاءات دون موعد في متاجر «إم آند إس» عبر جميع أنحاء البلاد ، أين يمكن للناس الذين هم على «*مشارف الاحتراق ، والذين يشعرون بالعزلة*» أن يجتمعوا ، ويدعم بعضهم البعض ويتشاركوا قصصهم .

كل ذلك يتناسب مع مقاربة روبي للمرض العقلي المنفتحة جداً والرحبة: أخرجه إلى العلن، وتحدث عنه. توقف عن المعاناة في صمت وشعورك بأن عليك إخفاءه. وهي على علم تمامًا بأنه لا وجود لحلول يسيرة، على الرغم من أنها تدعو إلى ممارسة تمرينات ذهنية يومية («*عليك أن تتمرن، لن تحصل على عضلات بطن مثالية بمجرد التفكير فيها*»). وهي عمليّة فيما يتعلق بأخذ الأدوية إذا كانت مفيدة: «إذا كنت مصاباً بمرض السكري، فعليك أن تأخذ الأنسولين».

مع ذلك، لا تزال تعاني من الاكتئاب في بعض الأحيان، غير أنه يدوم الآن لأسابيع فقط بدل أشهر، وقد غدت أفضل في استشعاره والتعامل معه. أما من ناحية النصيحة التي تقدمها، فإنها لا تقلل ولا تبالغ من أهمية طريقة استجابتك للمرض العقلي.

«*لا تشعر بالاكتئاب من الاكتئاب. قد يجلب الاكتئاب معه شعوراً بالخجل، ونلوم أنفسنا عليه، ونخجل من هشاشتنا هذه. لكن عليك أن تسامح نفسك وأن تسمح لها بالشعور به. إنه أمر عادي وطبيعي ونقطة ضعف إنسانية أساسية تؤثر على واحد من بين كل أربعة أشخاص منا. لذا استمد القوة والتضامن من تلك الأرقام*».



في الظلام مع شيب غوردون

نحن على متن سفينة سياحية خارج ميامي . إنه منتصف الليل . هنالك أكثر من ٣٠٠٠ رائد أعمال على متن السفينة ، ويبدو الأمر كما لو أنها ندوة وسط البحر . في الواقع ، إنها حفلة نهاية أسبوع تكاد تتنكر في زيّ مؤتمر . لكن امتنع أغلبنا ، للمرة الأولى ، عن ارتياد الحانات والنوادي والمطاعم ، وبدلًا من ذلك ، احتشدنا جميعاً في القاعة الرئيسية ، نصغي بإجلال لرجل واحد يتحدث على خشبة المسرح ، مرتدياً سروالاً قصيراً وصندلاً وقميص برمودا . هذا الرجل هو شيب غوردون .

هناك في العالم نوعان فقط من الناس : أولئك الذين يحبون شيب غوردون وأولئك الذين لا يعرفون من هو . بالنسبة لأولئك الذين هم من المعسكر الثاني ، فإن أفضل نقطة ينطلقون منها هي الوثائقي الذي أعده صديقه مايك مايرز «الإنسان الخارق : أسطورة شيب جوردن» ، والذي يغطي حياة واحد من المديرين المحبوبين للغاية في هوليوود ، الذي بدأ مسيرته المهنية كعقل موجه لفرقة أليس كوبر السيئة السمعة في السبعينيات ، والذي يعمل الآن كمستشار مقرب من دالي لاما ، عبر كل شخص مهم تقريباً .

يُعد الفيلم الوثائقي دورةً متقدمةً في مذهب المتعة والصداقة واستهلاك المخدرات والإدارة والروحانيات . ولا يبدو أن هناك من عاش حياة أسرع ، وأكمل ، وأكثر تكريساً لجعل الآخرين سعداء منه . وكان الفيلم الوثائقي أشبه بمشاهدة مقطع فيديو أُعِدّ بمناسبة

عيد ميلاد أحد الأشخاص المحبوبين ، ولكن بدل أن يكون الحضور أفراد عائلته الذين يعبرون عن حبهم له ويروون قصص شقاوته ، كان حاضراً كل نجم هوليود يمكن أن تفكر به .

انفردت بشيب بعد خطابه الذي تخلّلته النوادر التي تتجاوز حدود الدهشة حول رؤى بوذية عميقة وأقاويل مثيرة رائعة . ويظهر شيب ، من خلال كل ذلك ، كرجل في سلام مع ذاته ، سعيدٍ ، يقوم بما يريد القيام به . وقال نفس الشيء حين قدّم نصيحته .

«نصيحتي هي : ابحث عن سعادتك» .

طلبت منه أن يستفيض في الشرح أكثر .

«إذا كنت تسعى لعيش حياة طيّبة ، فعليك أن تعثر على ما يجعلك سعيداً ، ثمّ تقوم به» .

وإذا لم تكن تعرف ما هو؟

«إذاً ، فنصيحتي أن تذهب إلى غرفة ، غرفة مظلمة ، بنفسك ، وتظل هناك لثلاثين دقيقة على الأقل كل يوم . واجلس هناك في الظلام وفكّر . واستمر في فعل ذلك ، واستمر في الدخول إلى تلك الغرفة كل يوم ، حتى تعثر على ما يجعلك سعيداً» .

ثمّ سألته ، عدا الجلوس في غرف مظلمة ، ما هي سعادته .

«سعادتي في أن جعل الآخرين سعداء . لقد سعيت لذلك طوال حياتي» .

وكانت إجابةً منسجمة مع كل ما رأيناه وسمعناه . وكذلك جاء تعليقه الأخير .

«والآن سأجعل نفسي سعيداً بالعودة إلى مقصورتي ، أين أجلس على شرفتي وألف لنفسي سيجارة حشيش» .

شيب غوردون : رجل خارق .

«ابحث عن سعادتك .
إذا كنت تسعى لعيش
حياة طيّبة ، فعليك
أن تعثر على ما يجعلك سعيداً ،
ثمّ تقوم به»

شيب غوردون



عقول المُراَهقين للبروفسورة
ساره- جاين بلاكمور

من النادر أن تلتقي بشخص يعرف حقّاً ما يتحدث عنه ، لكن الدكتورة سارة جاين بلاكمور ، أستاذة علم الأعصاب الإدراكي في جامعة كاليفورنيا ، شخصٌ من هذا النوع ، وموضوع تخصصها هو الدماغ المراهق ، وقليل من الناس من يعرفون عنه أكثر منها .

قامت سارة جين ببحث حول المراهقين وأنشطتهم العصبية خلال السنوات الخمسة عشرة الأخيرة . وما يدّل على أنّ عمل الدكتورة بلاكمور كان سابقاً لعصره ، هو أنها حين تقدمت بطلب للحصول على مِنَح لفحص دماغ المراهقين ، تم رفض طلبها لأن مقدمي المنح اعتبروا ًأن هذا ليس حتى بمجال بحث . وببساطة ، لم يقم أحد فعليّاً بالتحقيق في السنوات العصبية لدى المراهقين ، وقد ساعدت سارة جاين على تغيير كل ذلك .

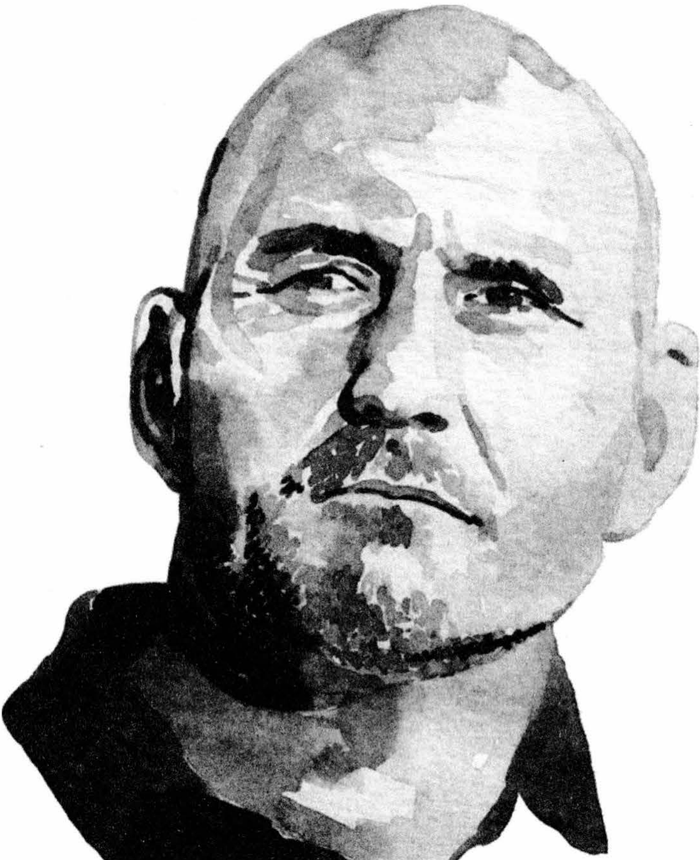
كان الفضول العلمي الطبيعي هو ما دفع البروفيسور بلاكمور إلى الشروع في رحلتها في العقل المراهق . وكان مجال أبحاثها ، في الأصل ، هو انفصام الشخصية . وبعد دراسة مئات الحالات ، لاحظت أن كل مريض قال إن الأعراض قد بدأته بين سن الثامنة عشرة والسادسة والعشرين . لذا فقد أثار اهتمامها ما كان يحدث للدماغ في تلك السنوات التي سبقت ظهور الاضطرابات . وحين بحثت عن معلومات حول دماغ المراهقين ، كانت المصادر شحيحة . لذا قررت دراسة المراهقين بنفسها .

كان لهذا المسعى دور في قلب الإجماع العام حول علم الأعصاب في سن المراهقة، القائل بأن الدماغ يتوقف عن النمو في مرحلة الطفولة، ولا يتغير الكثير بعد ذلك. وما أظهرته ساره جاين وزملاؤها من خلال دراسة المراهقين المتطوعين عبر أجهزة مسح الدماغ بالرنين المغناطيسي، هو أن الدماغ في سنوات المراهقة يخضع لتطورات هائلة، وهذه التغيّرات تساعد على تفسير بعض السلوكيات المرتبطة بسنوات المراهقة: المخاطرة، التأثر بالأقران، الوعي بالذات. علاوة على ذلك، فإن هذه السلوكيات التكيفية التي غالباً ما يتم استبعادها باعتبارها «هرمونية» أو مزاجية، تخدم غرضاً أساسياً وتطورياً. ويحتاج المراهقون إلى تحمل هذه المخاطر والتأثير على الآخرين من أجل تطوير شعور بالهوية الذاتية والاستقلال عن آبائهم. وبدأ البحث المتواصل على أدمغة المراهقين يكشف عن العوامل العصبية التي تقف وراء مثل هذه المشاكل المتعلقة بالصحة العقلية في سن المراهقة، مثل اضطرابات الأكل والقلق والاكتئاب، مما يزيد من إمكانية إيجاد الحلول الصحيحة.

وزاد عمل سارة جاين من تعاطفها مع من كانوا موضوع دراستها، وهي تأمل أن يفعل نفس الشيء بالنسبة للمجتمع. «*لقد غيَّر بحثي وجهة نظري للمراهقين تماماً. أشعر الآن وكأنني مدافعة عنهم، لأنهم يشكلون قطاعاً من المجتمع يتلقى الكثير من الضغط، فنحن كمن يقوم بإلغائهم، والسخرية منهم. إنهم المجموعة الوحيدة في المجتمع التي لا يزال يعدّ وصمها أمراً مقبولاً. لا أستطيع أن أخبركم عن عدد الأشخاص الذين قابلتهم والذين، عندما أقول لهم أنني أدرس الدماغ المراهق، يقولون: «لم نكن نعتقد أن للمراهقين أدمغة». نحن لن نقبل هذا الكلام عن أي فئة أخرى من المجتمع*».

لذا ، بالنظر إلى فهمها الأوسع للحياة الداخلية للمراهقين ، طلبت نصيحتها حول أفضل السبل للتعامل مع شخص يمر بسنوات المراهقة الصعبة هذه :

«الشيء المهم هو ألاّ نحكم عليهم : في سن الخامسة عشرة قد يبدون كأشخاص بالغين ، لكن ليس لديهم أدمغة شخص بالغ . لذا تسامحوا معهم ، ولا تسخروا منهم . وفي أي مرحلة ، يمكن للشخص الذي لا يظهر أي استعداد للتعلم أن ينجح مع ذلك : فدماغهم سوف يستمر في التطور ، وما يبدو غربالاً اليوم قد يكون إسفنجة غداً . ما علينا سوى أن نتيح الوقت والمكان لأدمغتهم للقيام بعملها . لا تستعجلوهم . وستشكركم أدمغتهم البالغة لاحقاً» .



الفوز مع لورانس دالاغليو

«الخسارة أمر مقرف . لا يوجد شيء جيد على الإطلاق في الخسارة . إذا كنت تلعب الرياضة في المستوى الذي ألعب فيه ، فينبغي أن تكره الخسارة . لا بد وأن تجعلك تشعر وكأنك مريض» .

لن أجادل ، لا لشيء سوى أنك لا تجادل رجلاً بحجم لورانس دالاغليو ، كابتن إنجلترا السابق للرغبي ، والعضو الوحيد في الفريق الذي لعب في كل دقيقة من بطولة كأس العالم للرغبي عام ٢٠٠٣ ، إنه رجل أشبه بمجموعة متكاملة .

كنا نتحدث عمّا يلزم لتحقيق التفوق والهيمنة في الرياضة التي يختارها المرء . وبالنظر إلى كونه أكثر لاعب رغبي تتويجاً شهدته المملكة المتحدة على الإطلاق ، فهو يعرف عما يتحدث .

يعترف دالاغليو بأن الموهبة مهمة ، ولكنها ليست أهم شيء : *«يمكنك إضافة الموهبة في وقت لاحق إذا كان لديك عطش لا يرتوي لتعلم أشياء جديدة ، وممارستها مراراً وتكراراً»* . كما تحدث عن الواقع البشع الذي يعاني منه اللاعب الرياضي المحترف : تكرار إتقان تلك اللمسة ، وتلك الركلة ، وتلك التمريرة ، طوال اليوم ، كل يوم .

ومن الواضح أن الفوز ليس سهلاً على أحد ، لاسيما بالنسبة لأولئك الذين يجعلون الأمر يبدو سهلاً . *«عليك أن تعاني من أجله . وفي كل مرة تذهب إلى الملعب ، هناك فريق آخر يحتاج إلى الفوز ويكره الخسارة بقدرك تماماً . وسيرغبون في تدمير كل عملك الشاق ، وأخذ الفوز منك»* .

إذن كيف تواجه ضغط اللعب على هذا المستوى وتحرص على ألاّ تغادر الملعب إلاّ وقد حمل الفريق الكأس؟

في نهاية المطاف، يوضح دالاغليو أن الفوز أو الخسارة يبدأ وينتهي بما يدور داخل رأسك. إذا كان الأمر يتعلق بأي شيء، فهو بالإيمان بالذات. وينبغي على المحترفين التحكم في الشكوك وكذلك التقنيات.

«تبدأ أسبوعك بالتفكير: علينا أن نلعب مع فريق «أول بلاكس» يوم السبت، كيف سنهزهم بحق الجحيم؟ لكن هزيمتهم هي مهمتك. لذا يجب عليك أن تجلس وتقول لنفسك ما يجب عليك أن تقوله لها حتى تبدأ في تصديقه، بأنه يمكنك التغلب عليهم، وأنك سوف تتغلب عليهم. قد تضطر إلى الاستلقاء قليلاً في البداية لترسخ داخلك هذه القناعة، مهما استغرق ذلك. ومنذ تلك اللحظة، وبمجرد أن تبدأ بالإيمان بهذا، عليك أن تتأكد من أنك صريح ومخلص مع نفسك. هل عملت بأقصى ما في وسعك؟ هل فعلت كل شيء، وأقصد كل شيء، بإمكانك فعله استعدادًا لهذه المباراة؟ ويجب أن تكون الإجابة دائماً نعم. يجب ألاّ يكون هناك أي شك في عقلك. وإلا، فستخسر».

ونحن نعرف كم أنه لا يريد أن يخسر.

لورانس دالاغليو: ليس خاسراً بالتأكيد.

«هل عملت بأقصى
ما في وسعك؟ هل
فعلت كل شيء ، وأقصد كلٍ شيء ، بإمكانك
فعله استعداداً
لهذه المباراة؟ ويجب أن تكون الإجابة
دائماً نعم» .

لورانس دالاغليو



مارغرت باسباي، ابنة أفريقيا

لقد تحصلت على أدق التفاصيل حول كيفية إنشاء مؤسسة نشر خاصة بك من قبل مارغريت باسباي، الكاتبة، والمذيعة، والناقدة الأدبية وأحد مؤسسي شركة أليسون آند باسباي، وهي ناشرة جريئة كاسرة للقواعد بدأت عملها في الستينيات. «لم يكن *لدينا المال ولم نكن نعرف ما الذي كنا نفعله*»، تقول عن نفسها هي وكلايف أليسون. «كل ما كنا نملكه هو مُثلنا والكثير من الطاقة».

كانت تلك المُثل والطاقات واضحة منذ الكتاب الأول الذي نشراه، والذي كان عبارة عن رواية تنتمي لحركة القوة السوداء عنوانها «سبوك الذي جلس عند الباب». وتروي قصة جاسوس أمريكي من أصل إفريقي يعمل في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ثمّ يدرك أنه قد تم تجنيده كـ «أسود رمزي»[1]، فيغدو مارقاً، يجند الشباب السود من «مقاتلي الحرية» للتمرد ضد الحكومة. في تلك الأجواء المشحونة بالعنصرية التي ميّزت أواخر الستينيات، كانت الرواية تعتبر جدّ مثيرة للجدل وقد رفضتها جميع دور النشر على جانبي المحيط الأطلسي. لكن مارغريت كانت تؤمن بالكاتب وأهمية القصة، لذا اقترضت ٥٠ جنيهاً

---

(١) يشير هذا المصطلح إلى الأفراد المنتمين للأقليات، لاسيما السود، الذين يتم منحهم أدواراً صغيرة فقط لإعطاء انطباع أنه لا توجد عنصرية. (المترجم)

إسترلينيا لاستضافة المؤلف في لندن والعمل معه على المخطوطة .

«*حين انتهينا من ذلك ، أرسلناها إلى صحيفة ذا أبزرفر ، واقترحنا عليهم نشرها على حلقات ، فأعادوا إرسالها قائلين إنهم لا يقومون بنشر الروايات الخيالية على حلقات ، وحتى لو فعلوا ذلك ، فلن تكون أولَ رواية تنتمي لحركة القوة السوداء على هذا النحو . فأعدنا إرسالها لهم قائلين «أنتم على خطأ» ، وانتهى بهم المطاف إلى نشرها*» .

إن التزام مارغريت باستخدام الكلمة المكتوبة لسرد قصص مهمة وإعطاء صوتٍ لأشخاص غير مسموعين ظل ثابتاً على مدى مسيرتها المهنية التي استمرت لخمسة عقود . كانت مهمة مؤسستها هي «*القيام بما لم يقم به أي شخص آخر ، وكنا نؤمن أنه ينبغي القيام به*» . إلى جانب النشر لمؤلفين من جميع العقائد والألوان والجنسيات ، صنعت تاريخاً أدبياً مع عملها الرائع «بنات أفريقيا» ، وهي عبارة عن مجموعة من ألف صفحة شملت كلمات ورسائل من أكثر من مائتي امرأة من أصل أفريقي ، تحتفي بإعطاء منبر عالمي لأصواتهن التي تم تجاهلها أو نسيانها أو الاستخفاف بها .

وتدرك ، على الصعيد الشخصي ، معنى أن يكون المرء مهمشاً . ليس فقط لكونها ولدت في غانا وأرسلت لتلقي تعليمها في المدارس الداخلية الإنجليزية ، بل كذلك لكونها ، سيدة سوداء تعمل في ذلك الوقت في صناعةٍ يهيمن عليها الرجال البيض . وواجهت باستمرار عنصرية متأصلةً متدنية ، حيث كان الناس ممن يأتون لمؤسستها يفترضون أن شريكها ، أليسون ، الرجل الأبيض ، هو المسؤول ، وأنها ، بصفتها المرأة السوداء ، لم تكن سوى مساعدته أو حبيبته أو كلاهما معاً . «*كان المجتمع يعتبرني غير كفؤ له . وكان*

الجميع ، من مدير البنك إلى منظف النافذة ، يطلبون دائماً التحدث إلى شريكي . لقد كنت مجرد فتاة سوداء» .

على نحو آخر ، ما تزال تتعرض لمثل هذه الافتراضات إلى غاية اليوم . «يُطلب مني فقط كتابة مراجعات لكتاب سود . لقد ذهبت إلى الجامعة ، ودرست اللغة الإنجليزية ، وأنا أعرف شكسبير ، ولكن كل ما طلب مني أن أغطيه هو أدب السود» . وأضافت أن هذا «ليس لأن الناس متعصبين ، بل لأنهم ضيقو الأفق» .

سألتها إن كان الأمر يزعجها . «قلت ذات مرة لرئيس تحرير «أتعلم ، يمكنني أيضاً مراجعة الكتاب البيض» . ثمّ نصب العمل . لقد كانوا محرجين جدّاً من أن يرسلوا لي كتّاباً سودًا ، لكنهم لم يرسلوا لي كتّاباً بيضاً أيضاً» .

لا تعطي مارغريت أي انطباع بالانهزام أو الشكوى ، بل هو مجرد تأريخ مباشر لما هو عليه الوضع حين تكون امرأة سوداء في عالم الرجل الأبيض . «يمكنك أن تخوض قتالا في كل يوم ، لكن في بعض الأحيان من الأفضل أن تعض لسانك وتمضي قدماً» .

وبطريقة بليدة ، توجد أوجه شبه بين كون المرء ناشراً وكونه رئيس تحرير ، حيث أن وجود قدر معين من عض اللسان هو أمر ضروري . «مهمتك هي أن تحرر عمل كاتب ، وإذا فعلت ذلك بشكل جيد ، سيقول الناس يا له من كاتب رائع ، ولكن إذا كان الكتَاب سيئاً فسيقولون يا له من رئيس تحرير فظيع . لكن هذا هو المتوقع» . وترى أن هذا الدور «أشبه بدور القابلة . فأنت تساعد الكاتب على قول ما يريد أن يقوله بأفضل طريقة ممكنة . وعليك أن تتخلى عن الأنا» .

وعلى نحو مثير للاهتمام، فإن هوايتها الأساسية تعكس مسيرتها المهنية المتمثلة في حرصها على أن تُسرَدَ القصص وتُسمع الأصوات - ويسعدها ألاّ ينسب لها الفضل في القيام بذلك. حيث أنها ساهمت في كتابة مئات الصفحات حرفياً في ويكيبيديا، دون الإفصاح عن هويتها، حول أي شيء تعتبره مهماً: الأشخاص، والأحداث، والناشرون، والكتب، والموسيقى. «*إن الأمر مهم، ولولا هذا، لكانت جرت أحداث، ومات أناس ورحلوا، ونُسوا إلى الأبد. هذه الطريقة هي بمثابة إرث للمستقبل، أو غرس شجرة من نوع ما*».

وترتبط النصيحتان المفضلتان لديها بهذا الالتزام بتحسين الأمور دون انتظار أي مقابل. أولاً، تكرر مقولة هاري ترومان الشهيرة: «إنه أمر رائع ما يمكنك إنجازه إذا لم تكن تهتم بمن سينال الفضل». وهو شعار مناسب لامرأة عملت بلا كلل خلف الكواليس لتعزيز التنوع والتصدي للأحكام المسبقة من خلال الفنون الثقافية. لكنها تقول إن أفضل ما يمكن أن يلخص أسلوبها في الحياة في نهاية المطاف هو مثل يوناني قرأته:

«*ينمو المجتمع حين يزرع كبار السن الأشجار التي يعلمون أنهم لن يجلسوا أبداً تحتها*».

إنه تلخيص جميل لما تقوم به.

ويسعدني أن اكتشف حين أتصفح الانترنت في وقت لاحق أن شخصاً ما في المجتمع قد ذهب إلى ويكيبيديا وزرع شجرة لمارغريت باسباي.

«إنّه أمر رائع
ما يمكنك إنجازه إذا
لم تكن تهتم بمن سينال
الفضل»

هاري ترومان
على لسان مارغريت باسباي



جيمس كوردن، الرجل المحنك

يمكن القول إن استوديوهات «ألستري فيلم» شمالي لندن تفتقر إلى بعض البهجة والفخامة التي عند نظيراتها في هوليوود، ولكن من الناحية الإيجابية، فإنها تتوفر على مطعمناندو المحلي. كما أنها المكان الذي يتم فيه تسجيل السلسلة الحادية عشرة من برنامج A League of Their Own، من تسجيل وتقديم جيمس كوردن واحد من خبراء التمثيل، والتقديم، والكتابة، وسياقة الكاربول الأكثر جاذبية في المملكة المتحدة.

أُدخلت إلى غرفة الملابس الخاصة به بعد الظهيرة قبل عرض المساء. كان التلفاز مشغلاً، وجيمس جالسٌ على أريكة يشاهد رفيقه آندي موراي في مباراة نصف نهائي بطولة ويمبلدون، فدعاني للانضمام إليه. انشغل كلانا بمشاهدة المباراة، ونحن جالسان جنباً إلى جنب، وأقدامنا على طاولة القهوة، نطلق تعليقات عرضية. ثم، وبعد فترة وجيزة، وصل أحدهم من ناندو، ووجدت نفسي أتناول عشاء جاهزاً مع أكبر شخصية تلفزيونية في الوقت الحالي.

لابد من القول إن جيمس كوردن هو رفيق عظيم في تناول الطعام الجاهز. إذ لديه تلك الميزة الغامضة التي تجعلك تسترخي بمجرد أن تقابله. وقد تُشعر مواهبُه في الغناء والتمثيل والكتابة والعرض والرقص أي شخص بالتهديد، ولكن ذبذبات «الرجل الطيب» لديه أقوى بكثير، ما يجعلك تشعر غريزياً أنه في زاويتك، أو، في هذه الحالة، في أريكتك.

هذا السحر الهادئ والمتواضع هو أحد الأسباب التي كانت وراء رغبة أكبر الأسماء في مجال الترفيه في الظهور في برنامجه

التلفزيوني الأمريكي . حيث ركبت أديل معه في الكاربول كاريوكي ، وارتدى جاستين بيبر ملابس جيمس وشارك في تقديم البرنامج ، وقام توم هانكس بإعادة تمثيل تسعةٍ من أشهر مشاهده السينمائية مع جيمس في حلقة الافتتاح . حتى أن المشاهير لا يفعلون ذلك بهدف إيصال آخر أخبارهم ، بل يريدون فقط المشاركة في البرنامج .

لا أحد يقدّر أكثر من جيمس كم جعله نجوم الصف الأول الأمريكيين يشعر بأنه مرحب به . «*لا أعرف تماماً ما فعلته لأستحق هذه الذكريات الرائعة . في الأسبوع الماضي كنت أقود سيارتي في البيت الأبيض مع ميشيل أوباما وقلت لنفسي : «لا أعتقد أن هذا كان سيحدث لو أنني بقيت في مدينة هاي ويكومب*» .

وأحد أهم العوامل التي دفعت بنجوم الصف الأول للمشاركة هي شعورهم بأنهم بين أيد أمينة . فهم يعرفون أنه مع جيمس لن ينتهي بهم الأمر بأن يبدوا أغبياء ، إلا إن أرادوا ذلك . «*هناك درجة من الثقة التي تأتي من حقيقة أنني لست مهتمّاً بجعل أي شخص يقوم بأي شيء عدا التألق . وننطلق دائمًا مما سيجلب البهجة أكثر*» .

خلق البهجة هو وصف مناسب لما يقوم به جيمس لكسب عيشه . وبالنسبة لنا ، نحن المشاهدين ، تأتي هذه الفرحة ، في جزء منها ، من رؤيتنا لشغف جيمس في كل ثانية من البرنامج . «*تعلمت هذا من الوقت الذي قضيته في برودواي من خلال مسرحية «فتيان التاريخ» . كان الناس يقولون دائماً إنّهم يحبون كوننا نبدو مستمتعين جدّاً ، لذا فكرت في نفسي ، إذا كان هذا هو ما يحبه الناس حينها لماذا لا أهدف إلى قضاء وقت جيد بدلاً من التصرف كما أفعل*» .

في الواقع ، يأتي الاستمتاع بالتجربة على نحو سهل نسبيّاً . «*أنا فقط لا أتذكر وقتاً لم أكن أرغب فيه في الأداء ، أو ، لنكون صادقين ،*

أن أظهر بصفة ما» . لكن جودة الإنتاج تتطلب أخلاقيات عمل جادة . ومن بين الأسباب التي جعلت جيمس يحب إقامة شراكات مع العظماء أن ذلك يساعد على رفع أرباحه الخاصة . ويروي كيف استقل توم هانكس الطائرة قبل يوم من إطلاق البرنامج ليتدرب مع جيمس عليه مراراً وتكراراً . *«لم أستطع التوقف عن قول : «شكراً جزيلاً لقيامك بهذا»* ، فقال : *«جيمس ، هذا عمل استعراضي . والعمل الاستعراضي يدور حول العمل بجد ، لأنه كلّما عملت بجد ، نسيت بشكل أسرع»* . وفكرت : *«يا إلهي . أنت على حق تماماً»* ، فالأشياء التي تعمل عليها بجد وتقوم بها على نحو جيد ، لا تشغل بالك كثيراً . *إنها تلك التي لم تبذل فيها كل ما لديك هي ما يظل يزعجك بعد ذلك»* . القاعدة التي تنطبق على الحياة عموماً .

ويُعد مسلسل «غافن وستايسي» الكوميدي من الأشياء التي لم يتردد فيها جيمس أبداً . فكل سطر كتبه هو وزميله المؤلف روث جونز ، وأداء كل واحد منهما ، قد صمد أمام اختبار الزمن ، ويتضح ذلك من خلال التكرار المستمر لمسلسلات على نمط مسلسل «فريندز» على التلفزيون البريطاني . قلت له أنه بالنسبة إليّ فإن السلسلة تصور بهدوء وبراعة جميع الخصوصيات الجميلة والتافهة لكونك بريطانياً ، وأنه إذا أرادت كائنات فضائية فهم بلدنا ، فيمكنك إخبارها أن تجلس فقط لاحتساء فنجان من الشاي وتشاهد الحلقات العشرين بأكملها .

رفض جيمس هذا جزئيّاً وقال إنه كان يأمل أن يكون البرنامج أكثر عالمية منه بريطانيّاً فقط . لقد كان يفضل أنه *«إذا قال أحدهم أنها قصة تدور حول شخصين وقعا في الحب وبسبب هذا تغيرت عائلتاهما ومن ثمّ تغيرت عائلة العائلة ، فإن هذا يحدث في جميع*

أنحاء العالم» . مما يسلط الضوء على سبب آخر لنجاحه : أن المحتوى الذي أنشأه جيمس لديه جاذبية عالمية ، فبرنامج كاربول كاريوكي مبهج للناس في إيران كما هو الحال مع الناس في أيسلندا أو إيطاليا .

إن هذه الحقيقة التي يوضحها نجاح جيمس ، بأنه بغض النظر عن مكان الناس ، فإنهم يجدون النكات ذاتها مضحكة ، والقصص ذاتها مثيرة للاهتمام ويرغبون في رؤية الأشخاص ذاتهم أمام الكاميرا ، تنم عن نظرة عالمية أكبر لديه . *«إننا جميعاً متشابهون أكثر من كوننا مختلفين . وإن لم تفكر بالضرورة في نفسك على أنك تنتمي لبلد واحد فقط ، ولكن كمواطن عالمي ، عندها ستقّل الكثير من القضايا . فعلى سبيل المثال ، لا تفكر أولاً كيف يمكننا تقليل الهجرة إلى بلدنا ، لكن فكر بدل ذلك في كيف يمكننا أن نجعل من كل البلدان مكاناً أفضل»* .

وروى قصّة لطيفة عن نقل روح العالم الواحد هذه إلى ابنه البالغ من العمر خمس سنوات ، الذي سأله مؤخراً عن سبب أهمية إعادة التدوير .

«قلت له : «تخيّل لو أنك وجدت كرة عائمة بارتفاع خمسة وعشرين قدماً ، وليست فقط عائمة ، لكنها تدور برفق . وإذا اقتربت منها ، يمكنك أن ترى الكثير من المخلوقات تسير فوقها . وإذا نظرت عن كثب ، لن تجد المخلوقات متشابهة ، فكلها فريدة تماماً ، تعانق بعضها البعض وتحب بعضها البعض وتبني أشياء مدهشة . ثمّ أتى شخص ما وقال : «دعنا فقط نصب بعض الأحماض على هذا الجزء من الكرة هنا ، ونغطي هذا الجزء بأكوام من القمامة» ، حينها سيهب الناس ويقولون إن علينا أن نحمي كرتنا إلى الأبد ، أليس كذلك؟ حسناً ، أرضنا هي تلك الكرة . وكل ما قاله كان : «أجل ،

حسناً ، يا أبي . هل يمكننا الخروج للّعب الآن»؟

بالنظر إلى انتقاله إلى الحكمة ، سألته عن أفضل نصيحة لديه . رداً على ذلك ، دعا إلى أهمية عثور المرء على «شيئه» .

«هناك صلابة داخلية تأتي من معرفة أنك جيد في شيء ما . قد يكون السباكة أو صناعة الطاولات أو قيادة سيارة أجرة أو أي شيء ، ولكن قدرتك على أن تقول : «عندما يتعلق الأمر بهذا ، فأنا أعرف ما أفعله» ، هو أمر جيد لتعزيز ثقة المرء . لذا فإن نصيحتي لشخص أصغر سنّاً هي البحث عن الشيء الذي يجيده دون توقف» .

بعد تقديم هذه النصيحة ، راح يقص بصراحة كيف أن عثوره على «شيئه» ساعده في العثور على صلابته الداخلية والتعامل مع الأوقات التي كان يتعرض فيها للمضايقات وهو طفل .

«أتذكر أنني حين كنت في المدرسة ، كنت أفكر : نعم ، يمكنك أن تركض أسرع مني وأنك أقوى مني وأنك أفضل في الرياضيات مني ، وأفضل في العزف على البيانو مني ، ولكن عندما تأتي مسرحية المدرسة فلن تكون هناك . وأوقفني هذا عن الشعور بالإحباط والنبذ» .

وقد شجعه شعوره بذاته هذا ، وبأن هناك شيئاً يجيده . وانتهى بإخباري عن الوقت الذي أجرى فيه مقابلة مع المستشار المهني وسأله عما سيفعله عندما يكبر . «قلت : «سأكون ممثلاً» ، فقال : «كلا ، قد ترغب في أن تكون ممثلاً ، ولكنك ستحتاج إلى شيء آخر» . فاكتفيت بقول : «لا ، سأصبح ممثلاً» ، والتزمت تماماً بذلك . بعد كل شيء ، إذا لم تستسلم ، فلن تفشل أبداً» .

إنه التزام قد تحقق بشكل واضح ، ومن حقنا كمشاهدين أن نستمتع بنجاحه بقدر ما يفعل .



نيكولا ستارجن، الشُجاعة

البرلمان الاسكتلندي في العطلة الصيفية، ونيكولا ستارجن، الوزيرة الأولى لاسكتلندا، على وشك أخذ عطلة، والوجهة ستكون البرتغال. تتطلع الوزيرة الأولى إلى قضاء بعض الوقت للراحة، ولديها حقيبة مليئة بالكتب حتى تتمكن من الانغماس في أفضل أنواع الاسترخاء بالنسبة لها، ولكن يقع اختيار مواقع العطلات على خيارها الثاني، لأن عائلة زوجها تمتلك منزلاً هناك. إذاً، ما كان خيارها الأول؟ حسناً، لا ينبغي أن يكون هذا مفاجئاً: إنّه اسكتلندا.

نيكولا ستارجن هي تجلٍ لجوهر اسكتلندا، وشجاعةٌ سياسيةٌ قُدِّر لها أن تقود وطنها المحبوب إلى الاستقلال أو أن تموت وهي تحاول. لقد حولت الخريطة الانتخابية لاسكتلندا إلى اللون الأصفر، لون الحزب القومي الاسكتلندي، الحزب الذي انضمت إليه حين كانت طالبة في السادسة عشرة من عمرها، وأصبحت زعيمة له في الرابعة والأربعين. في عام ٢٠١٥، خاضت أول انتخابات عامة لها كزعيمة لحزبها وكوزيرة أولى لاسكتلندا، وانتقلت بالحزب القومي الاسكتلندي من الحصول على ستة مقاعد فقط من أصل تسعة وخمسين مقعداً في اسكتلندا، إلى الفوز بستة وخمسين مقعداً، مما ترك ثلاثة مقاعد فقط لحزب المحافظين والعمال والديموقراطيين الليبراليين ليتصارعوا عليها. لم يسبق لأي زعيم حزب سياسي آخر عبر التاريخ أن حقق مثل هذه النتيجة المذهلة. وبهذا يمكنك أن تفهم لماذا اعتبرتها مجلة فوربس ثاني أقوى امرأة في المملكة المتحدة - في

المرتبة الثانية بعد صاحبة الجلالة .

سألت رئيسة الوزراء ما هي حيلتها لتكون فعالة للغاية ، فحمل جوابها انعطافاً متواضعاً ، إذ قالت إنّها لا تعتقد أن بإمكانها ادعاء هذا ، لكنها ستقول : «*لا ينبغي أن ينظر إلى السياسة على أنها خيار مهني . ينبغي على الناس الذين يتجهون نحو السياسة أن يفعلوا ذلك لأن شعوراً عميقاً بالقناعة يقودهم . ويجب أن يكون لديك شعور بمعرفة سبب قيامك بذلك والأشخاص الذين تفعل ذلك من أجلهم . ثم تحتاج إلى نقل ذلك بطريقة ذات صلة وثيقة بحياتهم*» .

لدى نيكولا ستارجن هذه القدرة وزيادة . إنها محاورة بارعة ، وليس هذا بمعنى استخدام العبارات النبيلة والخطب المتصاعدة ، بل بقدرتها على أن تكون واضحة تماماً ومتشبعة بشغف حقيقي في آن واحد كلما تحدثت ، في حين تحافظ على هدوئها وهي تتطلع لجمهورها مباشرة في عيونهم طوال الوقت . وحين وصفت نتائج الاستفتاء الذي أجراه الاتحاد الأوروبي بأنه «غير مقبول ديمقراطيا» (وكانت اسكتلندا قد صوّتت بشكل أساسي على البقاء) بنبرة من الغضب المحكوم والموزون ، لم يكن لدى أي أحد شك حول ما تعنيه وماذا تريد أن تفعله بعد ذلك . وبعبارة أكثر وضوحاً ، حين أشارت بعض الصحف أن فوز الحزب القومي الاسكتلندي في الانتخابات العامة قد ساعد منافسيها في حزب المحافظين على ترَؤُس الحكومة ، لخصت المزاعم بـ «الهراء» ، وهي إجابة لا يشوبها أبداً ضباب اسكتلندا . باختصار ، فإن رئيسة وزراء اسكتلندا هي سلالة نادرة من السياسيين : إنها تقول ما تعنيه وتعني حقاً ما تقوله .

حين سألتها ما هي القناعة التي تقودها ، لخصتها الوزيرة الأولى بلفظة واحدة : التمكين . «سيكون جميعنا *أفضل حالاً إذا*

تم تمكيننا من السيطرة بشكل أكبر على مصيرنا . من الواضح أن هذا يتعلق باسكتلندا كدولة والحق في اتخاذ قراراتنا الخاصة ، ولكنه يرتبط بنا كأفراد ومجتمعات أيضاً . يجب أن نكون أكثر تمكناً على تشكيل العالم من حولنا» .

كان مبدأ تقرير المصير على كل المستويات هذا يحفر داخلها في سن مبكرة . «لقد نشأت في عهد مارغريت تاتشر ، عندما كانت البطالة في اسكتلندا مرتفعة للغاية ، في مجتمع هلك بسبب إيقاف التصنيع ، الذي كانت وراءه قرارات سياسية لحكومة لم يصوت لها أي منا . وكان من الواضح لدي أن هذا لم يكن صحيحاً» .

كان مجيء امرأة من حزب العمل إلى المدرسة لتتحدث عن وظيفتها هو ما دفع نيكولا للتوجه نحو السياسة كوسيلة للتعامل مع القضايا الاجتماعية والمظالم التي شاهدتها حولها . «وأنا ممتنة جداً لتلك السيدة لأخذ الوقت الكافي للتحدث إلينا في ذلك اليوم ، ولكن كان هناك افتراض أنه إذا كنت ستتجه إلى السياسة في اسكتلندا فإنك ستنضم إلى حزب العمال ، لكنني تمردت على ذلك ووجدت نفسي في الحزب الوطني الاسكتلندي» . قرار جيد تماماً للحزب الوطني الاسكتلندي ، وكارثي تماماً لحزب العمال .

هل ستحقق نيكولا ستارجن ، على المدى الطويل ، رغبتها في الحياة ، والهدف التأسيسي لحزبها ، ألا وهو استقلال اسكتلندا ، يبقى أمراً لم يتضح بعد . لكن لا يوجد شخص أكثر التزاماً بالكفاح وأكثر استعداداً له منها . وأيّاً كانت آراؤك السياسية ، فهي شخص يحظى بالاحترام في جميع المجالات ، لأجل المهارات التي تنشرها ، والطاقة التي تدعمها ، والأهم من ذلك كله ، لشجاعة قناعاتها وثباتها . إنها امرأة تسير على وقع نصيحتها الخاصة .

«قف لأجل ما
تؤمن به ، دائماً ،
باقتناع وشغف
ونزاهة . لا تدع
الأيديولوجية تعميك ،
بل ابق صادقاً مع
ما يرشدك .

وتحدث بصوتك
أنت ، وبكلماتك أنت ،
بطريقة تعني لك
شيئاً ولا يمكنها أن تكون
من أي شخص آخر» .

نيكولا ستارجن

كلمة شكر

من المعروف أن الكتابة هي مسعى فردي ، لكن هذا الكتاب كان عملاً جماعيّاً خالصاً . أتوجه بخالص شكري إلى المدرب الرئيسي والناشر جيمي بادا بينغ ، رجل يحمل من الطاقة ما يكفي لتزويد غربِ لندن كلّها ، والذي يبدو في أغلب الأوقات أنه يقوم بذلك فعلاً . هو المثال الأول والأخير عن الشغف ، ونفاذ البصيرة والتشجيع ، والوسيط المثالي الذي لا مثيل له ، والرجل المناسب الذي عليك أن تتصل به إذا أردت تناول أجنحة الدجاج على الفطور .

وكيلي المتبصر طوني توبينغ الذي ظلّ مصدراً ثابتاً للنصيحة المعرفية والمشورة الحكيمة ، والذي كان صريح الكلام كفايةً ليُذكرني بالمبادئ المتعلقة بكتابة كتاب ، لاسيما أنه سيتعيّن عليّ كتابته بالفعل .

شكر كبير لصوفي ساتكليفر التي ، وبالرغم من حملها ، عملت على خطوط الهاتف والبريد وحصلت لنا على مشاركين رائعين . وشكراً للصغيرة بوبي للسماح لأمها بالقيام بذلك .

فرانشيسكا زامبي ، شريكتي السابقة في الجريمة ورفيقتي المحتالة ، التي كانت مشجعة للغاية منذ البداية وقدمت لي دفتر العناوين الخاص بها . كذلك كيم شابل ، الذي قام بعمل رائع فيما يتعلق بالاتصالات ، والذبذبات الإيجابية والإيميلات ، وهو شخص محبب لاحتساء الشاي معه . لوسي مكينتاير التي كانت نجمة

بكل المعاني وفتحت لي أبواب نيويورك ، وليزي بول ، نيك كليج وآلان دو بوتون الذين كانوا جد لطفاء وساعدوني للوصول إلى أشخاص مميزين تماماً مثلهم .

فريق العمل بكانون جيت الذي كان محترفاً بشكل دؤوب ، مجموعة مرحة وذكية للعمل معها جعلت من الأمر كله متعة ، مع شكر خاص لجو دينغلاي ، الذي قاد السفينة بصبر وحافظ عليها متماسكة ، ولرافي روما يا لنظرتها الفنية ، وآنا فريم وجيني فراي على إذاعة الصيت ، لارا جارديلليني على دعمها وجيني تود على قدومها وترتيب كل شيء حين كنا في أمّس الحاجة لها .

سام كير ، وكما ولابد أنكم رأيتم ، فنان بارع وقد أضافت بورتريهاته الكثير للكتاب .

خلف الكواليس ، هناك بعض الأشخاص الذين قد لا ألتقي بهم أبداً لكن أظل دوماً ممتنّاً لهم : النُّسّاخ ، خاصة ناسخنا الأول كالوم كرو ، وديبس وورنر المحبوب والمتوفر دوماً كرئيس تحرير بديل .

أنا بالطبع جد ممتن لكل مشارك أعارني وقته ، قصته ، والأهم من ذلك ، نصيحته لهذا المشروع .

ومن ناحية الأجزاء العاطفية ، فالشكر المطلق لوالدتي ووالدي اللذين ، إلى يومنا هذا ورغم التقائي بالعديد من الأشخاص المميزين ، ما يزالان مصدر أفضل النصائح التي تلقيتها ، ولنادية وباي روز ، نِتاج الأخذ بهذه النصائح ولكل الأشخاص الذين انتظرت طوال حياتي لقائهم .

الفهرس

R I C H A R D   R E E D

يمكن لنصيحة واحدة أن تغير حياةً، وقد غيرت حياتي في عدة مناسبات. وعلى مدى سنوات اكتسبت تقديرًا عميقًا للتعلم من الناس الأكثر حكمة وخبرة مني. لذا قبل عشر سنوات، قطعت وعدًا بسيطًا على نفسي: كلما قابلت شخصًا بارزًا، سأطلب منه تقديم أفضل نصيحة لديه. ويبدو الأمر دائمًا أجدر بالاهتمام من طلب سيلفي.

لو كان بإمكاني إخبارك بشيء واحد فقط... يمر عبر كامل أطياف التجارب والعواطف الإنسانية، من تجربة سايمون كاول على أحد الطرفين، إلى تجربة ليلي إبرت، إحدى الناجين من معسكر أوشفيتز، على الطرف الآخر. وبينهما، ستجد الحكمة الثمينة من الرؤساء والنجوم، ورجال الأعمال والفنانين والمشاهير والناجين. من الأشخاص الذين نجحوا في حياتهم والأشخاص الذين عانوا من مصاعب لا تصدق، ومن أولئك الذين ارتقوا إلى أعلى مستوى ممكن في الحياة، ومن الأشخاص الذين شهدوا أسوأ ما يمكن للبشر فعله ببعضهم البعض.

عندما أسأل الناس عن أفضل نصيحة لديهم، أحثهم على التفكير في ما يعتبرونه أكثر أهمية. أطرح السؤال نفسه على الجميع: بالنظر إلى كل ما لديك من خبرة، وفي ضوء كل ما تعرفه الآن وكل ما تعلمته، إذا كان بإمكانك تقديم نصيحة واحدة فقط، فماذا ستكون؟ هناك شيء ما حول مطالبة الناس بالوقوف وراء فص واحد فقط من فصوص الحكمة يجعلهم يفكرون بشكل أكثر جدية، ويحفرون أكثر عمقًا ويكونون أكثر صراحة في إجابتهم، وقد أدى ذلك إلى بعض الإجابات غير العادية. إن المادة متنوعة وواسعة النطاق، وتشمل كل شيء، من تحقيق النجاح إلى التعامل مع الفشل، ومن العثور على الحب إلى امتلاك حياة أفضل، ومن الحصول على أفضل النتائج من الناس إلى سوء المعاملة. لابد أن يكون هناك في هذه المجموعة شيء يخاطب الجميع.

معظم الناس حين تطلب منهم النصيحة يكونون سعداء لتقديمها. هذه الرغبة في المساعدة هي تجل لأفضل جزء في الطبيعة البشرية. إنها لا تكلف شيئا، ويمكن تقاسمها بشكل لا نهائي وسوف تستمر إلى أجل غير محدد. وآمل أن يكون هذا الكتاب الأول من بين عدة كتب. ذلك أن هناك عددًا لا يحصى من الأشخاص الرائعين على هذا الكوكب، وهذه المجموعة الأولى تلتقط فقط رؤى جزء منهم. هناك عدد لا نهائي من القصص لتروى والحكم لتكتسب.

مكتبة

KALEMAT
www.darkalemat.com
9 789996 695605